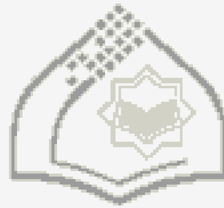


معادن الذهب

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م

دار الملاح للطباعة والنشر

معادن الذهب

في

الأعيان المشرفة بهم حلب



تأليف

أبو الوفا ابن عمر الحلبي العرضي

٩٩٣ - ١٠٧١

حققه وشرحه

الدكتور محمد التونجي

الأستاذ بجامعة حلب


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه اتكالي

توشيح الكتاب :

في زحمة الاعصار العثماني على الأقطار العربية والاسلامية . وفي أزمة تأريث الفتن بين السلطان العثماني وشاه العجم، وتزحيف الجيوش شرقا وغربا ،مرورا بحلب . وفي أيام اضطراب الشام بجشع الباشاوات الأعاجم والغرباء ، وحرصهم على اجتلاب القلاقل .واصطناع الحبائل ، والاعتصام في المعاقل ، واحتلاب الشعب بالرضا أو بالمخاذل .. نشأ أبو الوفاء العُرضي .

كانت حلب آنئذ تشمل قسما من الجزيرة وكيليكية وإنطاكية والاسكندزونة ، وتمتد جنوبا حتى حدود طرابلس وحمص ، وكانت حلب عاصمة الديار الحلبية موئل العلماء ، وملتقى الفقهاء ، ومنتدى المتصوفة الأجلاء ، منذ أيام الأمويين . يشهد على ذلك ما بني فيها من مدارس وتكايا ومساجد وزوايا وما زالت حتى اليوم قبلة الأنظار وأعجوبة الحضار .

كما كانت حلب محطة قوافل العلماء الذين يقصدون الباب العالي من شتى الأصقاع ، وعلى اختلاف المشارب ، وهي نقطة الحِلّ التي يرتاح فيها من ودّع العاصمة العثمانية قاصدا الحجاز، أو هادفا منصبا ما عين له في الشام أو العراق أو مصر أو اليمن .

وقد كانت حلب منذ القديم نبع العلم ومنطلق إشعاع الحضارة الذي لا يخبو . فها هي ذي جحافل الأدباء تمر بها عبر العصور، مرورا بامرىء

القيس، فربيعة الرقي، فالعتّابي ، فالبحتري، فالصنوبري، فالفارابي، فأبي الطيب اللغوي ، فالمتنبي ، فأبي فراس ، فكشاجم ، فابن خالويه ، فأبي علي الفارسي ، فالخالديين ، فابن جني ، فياقوت ... وتستمر مواكب الأدباء تنشأ في حلب أو تقصدها ، حتى عصرنا الحاضر ، حتى شاعرها الفذ عمر أبي ريشة .

فليس عجيبا أن ينهد العلماء ليؤرخوا عن حلب ، ويضموا في صحائفهم وأسفارهم منذ القديم ، وحتى اليوم والغد ، أسماء علمائها وشعرائها وأعيانها ، الذين نشؤوا فيها أو تربوا ، قصدوها أو حلوا ، أو مروا بها مكرمين كراما .



سلاسل التاريـخ حـول حلب :

تعد مدينة حلب من أكثر البلدان العربية حظوة في التأريخ • فقد لاحظت شرذمة من المؤرخين أهمية المدينة ، فتسابقوا الى تدوين تاريخها، وتسجيل معالمها ، ورصد أعلامها وعلمائها ، بدءاً من القـرن الخامس الهجري • صحيح أن بعضا من هذه الكتب فـُقد أو فـُقد بعضه ، لكـن مجرد وجود أسمائها و بعضها دليل على مدى أهمية هذه السلاسل •

ومن حسن الحظ أن أغلب هؤلاء المؤرخين كانوا يشيرون في مقدماتهم الى ما فعل الأسبقون • لكن أفضل من هؤلاء جميعا الشيخ راغب الطباخ حيث أفاض في الشرح ، ودقق في المتابعة • ولقـد أفـدنا من إشاراتـه ومتابعاته • ومن هذه الكتب :

١ ـ تاريخ الأثاربي :

تأليف حمدان بن عبد الرحيم التميمي الأثاربي ، المولود سنة ٤٨٣ والمتوفى نحو ٥٢٠ • وهو طبيب مؤرخ • صنف كتابا في التاريخ سماه « القوت » بدءاً من سنة ٤٩٠ فمـا بعدهـا ، ويتضمن أخبار الفرنـج وأيامهم وخروجهم الى الشام • وهو أول كتاب في تاريخ حلب كذا قـال ابن الحنبلي • وذكره ياقوت •

٢ ـ تاريخ العظيمي :

تأليف محمـد بن علي ، أبـو عبـد الله التنوخي الحلبي المعـروف بالعظيمي • ولد في حلب سنة ٤٨٣ • ألف كتابه هذا مرتبا على السنين، وانتهى الى سنة ٥٣٨ • والكتاب مخطوط محفوظ في الآستانة • وهـو الكتاب الثاني • توفي العظيمي سنة ٥٥٦ •

٣ ـ معادن الذهب (أو سلاسل الذهب) في تاريخ حلب :

تأليف يحيى بن حميدة الغساني الحلبي، الشهير بابن آبي طي النجار

المتوفى سنة ٦٣٠ • له كتب كثيرة، أغلبها مخطوط • أهمها هذا الكتاب• ويعد الكتاب الثالث في تاريخ حلب •

٤ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب :

لابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ • والكتاب ضخم يعد أربعين جزءاً ، لكنه مفقود ، ولم يبق منه إلا جزءان مخطوطان • وقد أحب ابن العديم أن يختصر كتابه البغية ، وأسماه :

٥ ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب :

وإذا فقد معظم البغية فان مختصره هذا مطبوع • ويعد هذا الكتاب الرابع في تاريخ حلب • وهو مرتب على السنين •

٦ ـ الزَّبـد والضَّرب :

اختصر ابن الحنبلي (ت ٩٧١) كتاب الزبدة وأضاف عليه بعض المعلومات وأسماه الزبد والضرب • وما زال مخطوطا •

٧ ـ حضرة النديم من تاريخ ابن العديم :

اهتم طاهر بن الحسن المعروف بابن حبيب الحلبي (المتوفى سنة ٨٠٨) بكتاب الزبدة لابن العديم واختصره بهذا الاسم •

٨ ـ تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء :

انتحل الطبيب الألماني بيشوف جزءاً من كتاب الزبدة لابن العديم ، وأضاف عليه ما انتحله من كتب حلبية مغمورة أخرى ، وطبعها في بيروت عام ١٨٨٠ ، وادعى تأليفها •

٩ ـ الدر المنتخب في تاريخ حلب :

لعلي بن محمد ، علاء الدين الطائي الجبريني المعروف بابن خطيب الناصرية • ولد ومات في حلب (٧٧٤ ـ ٨٤٣) • وهو مؤرخ مشهور •

ألف كتابه الدر المنتخب ذيلا على كتاب ابن العديم · وله كتب آخرى ، ما زالت كغيرها من كتب علماء حلب مخطوطة ·

١٠ ـ المنتخب من الدر المنتخب :

لأحمد بن محمد بن علي الحصكفي ، المعروف بابن الملا · أصله من « حصن كيفا » ، لكنه ولد في حلب سنة ٩٣٧ ونشأ فيها ، وقتل في إحدى قراها سنة ١٠٠٣ · اختصر عدداً من كتب التاريخ مثل : « اختصار التاريخ الذهبي » و « النشر العابق من اقتطاف الشقائق » · لكن الذي يهمنا أنه اختصر الكتاب السابق « الدر المنتخب » ، وما زال مخطوطا ·

١١ ـ كنوز الذهب في تاريخ حلب :

تأليف أحمد بن إبراهيم ، أبو ذر · المعروف بسبط ابن العجمي (ت ٨٨٤) · مولده ووفاته في حلب · وكتابه هذا ذيل على الدر المنتخب ، وما زال مخطوطا · كما له عن حلب « الكواكب المضيئة » ·

١٢ ـ در الحبب في تاريخ أعيان حلب :

لابن الحنبلي التاذفي ، من أحفاد ابن الشحنة (٩٠٨ـ٩٧١) · يضم كتابه هذا أكثر من ستمئة ترجمة لأعيان حلب ونزلائها والوافدين عليها ، مطبوع · وله نيف وخمسون كتابا أكثرها مخطوط ·

١٣ ـ نهاية الأرب من ذكر ولاة حلب(١) :

لمحمد بن أحمد المعروف بابن المنلا الحلبي الذي ولد في حلب سنة ٩٦٧ ، وتوفي فيها سنة ١٠١٠ · ألف كتابه الثمين هذا في ترجمة من حكم حلب منذ أيام الصحابة الى زمن إبراهيم باشا الملقب بالحاج إبراهيم (ترجمنا له فوق) · وكان الحاج إبراهيم تولى حلب سنة ١٠٠٨ ·

---

(١) أسماه الشيخ راغب الطباخ « شفاء السقيم بآيات ابراهيم » ·

١٤ ــ إنعاش الروح بمآثر نصوح :

تأليف إبراهيم بن الملا الحلبي ، المتوفى بعيد سنة ١٠٣٠ • ألف كتابه هذا في أحداث حلب أيام حكم نصوح باشا (ترجمنا له فوق)لحلب• وكان تولى حلب بين ١٠١١ ــ ١٠١٣ •

١٥ ــ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب[١] :

نسب هذا الكتاب الى ابن الشحنة (ت ٨٩٠) ، كما نسب الى أبي اليمن البتروني (ت ١٠٤٦) ، ولابن خطيب الناصرية ، وللشغيفي ، ولأحمد بن محمد المعروف بابن الملا • ويذكر الشيخ كامل الغزي وغيره أن هذا التاريخ قام على انتخابه مجموعة من الناس، كل منهم أضاف إليه ما وصل إليه علمه ، مما أدى الى اختلاف نسخه واختلاف النسبة الى مؤلفه،ولكن نستطيع القول إن أصل هذا الكتاب من تأليف ابن الشحنة[٢] على أن المرجح أن أبا اليمن البتروني اهتم به ، ولعل له يدا كبرى في إعادة تأليفه • بينما يؤكد الطباخ[٣] على أن : « من يقرأ الخطبة الثانية ويتتبع بقية الكتاب يجزم بفساد ذلك الظن (النسبة الى ابن الشحنة) لأن أبا اليمن يقول : « فهذه نبذة انتخبتها من كتاب نزهة النواظر في روض المناظر تأليف مولانا أبي الفضل محمد بن الشحنة الحلبي » • فنزهة النواظر لابن الشحنة (ت ٨٩٠) والدر المنتخب لأبي اليمن (ت ١٠٤٦) •

---

(١) طبع في دمشق عام ١٩٨٤ •
(٢) الدر المنتخب ، المقدمة : ١١ •
(٣) إعلام النبلاء : ١/ ٣١ •

١٦ ـ التاريخ الطبيعي لحلب[١] :

كتبه بالانكليزية « باتريك راسل » (ت ١٧٦٨) ، وأعانه فيه أخوه « اسكندر راسل » ، وطبعه في لندن عام ١٧٩٤ في مجلدين ٠

١٧ ـ تاريخ حلب :

ألفه عبد الله بن حسن آغا ميرو (ت١١٨٤)، المعروف بأبي المواهب٠ مؤرخ حلبي ٠ لم يذكر المؤلف اسما محدداً له فسمي تاريخ حلب كما دعي تاريخ عبد الله ميرو ، كما أنه لم يتمه ٠ أخذ منه المرادي كثيراً[٢]٠ وذكر الطباخ أنه اطلع على نسخة ناقصة منه في مكتبة الشيخ كامل الغزي٠

١٨ ـ نهر الذهب في تاريخ حلب :

ألفه كامل بن حسين ، البالي الحلبي ، الشهير بالغزي (١٢٧١ ـ ١٣٥١) ، مؤرخ وعضو في المجمع العلمي بدمشق ٠ طبع في حلب بأربع مجلدات ٠ وقد جمعه مؤلفه من الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية، ومن كنوز الذهب لأبي ذر ، ومن معادن الذهب للعرضي ، ومن كثير من الكتب المذكورة ٠

١٩ ـ طرائف النديم في تاريخ حلب القديم :

لطائف الحديث في تاريخ حلب الحديث :

ألفه ميخائيل بن أنطون الصقال الحلبي (١٨٥٢ ـ ١٩٣٨) ٠ ولد في مالطة ، ونشأ ومات في حلب ٠ قسم كتابه قسمين ، بحسب العنوان

---

(١) اسم الكتاب الأصلي : The Natural History of Aleppo ٠ والحقيقة أن الكتاب ليس تاريخا بالمعنى السليم ، فهو تصوير لعيش الفرنج في حلب ، ودراسة للمسيحيين واليهود ، ثم وصف حالة حلب من النواحي الطبية والحيوانية والأوبئة والعادات ٠ طبع بالعربية باسم « الإفرنج في حلب في القرن الثامن عشر » في حلب عام ١٩٦٨ ٠

(٢) اسم كتاب المرادي « سلك الدرر ٠٠ » ٠

المذكور، بحيث جعل القسم الأول في تاريخ حلب القديم حتى ميلاد السيد المسيح ، وجعل القسم الثاني في تاريخ حلب الحديث ، بدءاً من السيد المسيح • والكتاب غير مطبوع • ولعله لم يتمه •

٢٠ ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء :

تأليف محمد راغب الطباخ (ت ١٣٧٠) • وقد تعب الشيخ راغب في كتابه حقا ، لأنه جمع فيه كثيراً من الأعلام ، والاشارات التاريخية ، والمواقع ، والأماكن • وطبعه في مطبعته بحلب سنة ١٣٤٢ •

٢١ ـ ادباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر[١] :

ألفه قسطاكي الحمصي الحلبي • ولد في حلب ١٨٥٨ وتوفي فيها ١٩٤١ • ترجم فيه لخمسين علما من أعلام حلب في عصره وقبيل عصره، كان المؤلف آخرهم في كتابه •

٢٢ ـ الحركة الأدبية في حلب[٢] :

ألفه سامي الكيالي ، وألقاه محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة • وقد حدد مسيرته التاريخية وترجمة الأعلام عن الأموات والأحياء من ١٨٠٠ ـ ١٩٥٠ • وأفاد كثيراً من كتاب قسطاكي الحمصي (انظر الرقم ٢١) •

٢٣ ـ حلب ـ ALEPPO

تأليف « كاوبه » و « يرب » كتباه باللغة الألمانية • وهو دراسة ضخمة عن حلب ضمت مساهمات تاريخية وجغرافية في فن البناء والتنظيم الاجتماعي والنشاط الاقتصادي لاحدى عواصم التجارة البعيدة في الشرق الأدنى ، مع كثير من التراجم والأعلام • طبع في ألمانية عام ١٩٨٤[٣] •

---

(١) طبع الكتاب في حلب عام ١٩٢٥ ثم أعيد طبعه ١٩٦٧ •

(٢) طبع في القاهرة : ١٩٥٧ •

(٣) ينوي الاستاذ محمد وحيد خياطة مدير الآثار العامة ترجمته لأهميته •

وهناك كتب أخرى في التاريخ تعرضت كثيراً لحلب ولأعيانها وأعلامها • وهي غير كتب التاريخ التي تتحدث عن الحوادث العامة كالكامل والطبري ومروج الذهب • أكتفي في هذه العجالة بتعدادها ، زيادة في توضيح أهمية المؤرخين نحو حلب وإذا كان مؤرخو سلاسل التاريخ عن حلب من سكان حلب أو الوافدين عليها ، فان الفئة الثانية لا تشترط ذلك • فمن هذه الكتب :

- مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١) •
- الاشارات الى معرفة الزيارات، لابن أبي بكر الهروي (ت٦١١)•
- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، لابن شداد (ت ٦٨٤) •
- التاريخ المنصوري ، وهو تلخيص « الكشف والبيان في حوادث الزمان»: تأليف أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي (ت٦٣٧)•
- المختصر ، لأبي الفداء (ت ٧٣٢) •
- تتمة المختصر ، لابن الوردي (ت ٧٤٩) •
- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨)[١] •
- درة الأسلاك في دولة الأتراك ، لابن حبيب الحلبي (ت ٨٠٨)•
- تاج النسرين في تاريخ قنسرين، لابن عشائر الحلبي (ت٧٨٩)•
- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، لابن الحنبلي أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦) •
- روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، لابن الشحنة (ت٨١٥)•
- نزهة النواظر في روض المناظر ، لأبي الفضل بن أبي الوليد (ت ٨٩٠) •
- تاريخ سورية ، لفيليب حتي • ترجم الى العربية وطبع في بيروت ١٩٥٨ •

---

(١) صدر منه ١٨ جزءاً عن مؤسسة الرسالة ـ دمشق ، وما زالت الأجزاء تصدر •

معادن الذهب :

والكتاب الذي حرصت على إخراجه كان مشغفة عامة سكان حلب ومثقفيها ، ومطمح الباحثين الحريصين على رؤية هذه الحلقات الأدبية المتصلة ، ولا سيما في حقبة غامضة ، نتطلع جميعا الى إنارتها ووضع المعْلمات الهادية في سبل الجادين ، وكانت النفوس تتطلع دائما الى صدوره ، وتبحث طويلا عن مكان وجوده · وكان في نفسي رغبة ملحاحة في أن أقوم بشيء نحو بلدتي ، لأبرهن لها عن حب آبنائها لها على مدى الدهور · فهي الجزء العلمي الحي من وطننا العربي الذي تنبض كل زاوية منه بنوع من الخير ·· وخير حلب في علمائها ·

وبحثت عن الكتاب طويلا · فرأيت علماء العصر العثماني وعصر النهضة جميعا يذكرونه وينهلون منه · لكنهم جميعا صرحوا بأنهم راوا منه جزءاً: فالمحبي في خلاصة الأثر يبين أنه اطلع على جزء منه، واستفاد من أخباره· والخفاجي في ريحانة الألبا يذكر جزءا من رسالة أبي الوفاء العرضي له ، يقول : « وإن العبد كتب تاريخا سماه معادن الذهب ·· سيعرض بعضه عليكم ، ويؤتى بأنموذج منه لديكم » · والشيخ راغب الطباخ يقول : « رأيت منه قطعة ، ونقلت بعض تراجم لزمني ذكرها ·

وقصدت كتب الفهارس ، فلم يذكره إلا بروكلمان ، فدلني على وجود جزء منه في المتحف البريطاني ، فاقتنصته من المتحف في شتاء عام ١٩٨٤ · وكان الشيخ راغب الطباخ ذكر أن في منزل الشيخ كامل الغزي جزءاً · وأحسب أن هذا هو الجزء الذي نقل الى لندن[١] · وآنا بدوري أعدت الكتاب المفقود الى مسقط رأس مؤلفه (ومحققه) ، ومنهل نِقْس

---

(١) لدى مراجعتنا للجملة الأولى والجملة الأخيرة فيه ، تبين لنا أنه نفسه حتماً ، أو أنه نسخة مثيلة ·

كاتبه. وها هوذا يعود الى الحياة، ليعيد الى حلب إشراقة استمرار التأليف، في حقبة كان يظن أن علمـاء هذه البلـدة غفـوا أو سهوا ، ولو كـان الكتاب كاملا لجاء أضخم كتاب عرفته مدينة حلب .

وعثرت في استنبول ، من أوقاف فيض الله أفندي على جزء مؤرخ بسنة ١١١٣[١] ، مؤلف من أربع وثلاثين ورقة ، يعادل من حيث الحجم ثلث حجم نسخة المتحف البريطاني . يبـدأ بالمقدمة ، ويضم تسعـة وعشرين علمـاً ، آخرها إبراهيم بن أحمد الحصكفي ذو الرقم ٣٣ . ولما كانت الترجمة مضطربة ، فقـد ختم كتاب تركية بنصف ترجمـة أحمد بن أبي ريشة ، ذي الرقم ٢٦ .

كما أن النسخة التركية كثيرة الاختلاف في رصف الجمل ، وعرض الأفكار ، والتقديم والتأخير ، حتى إنني أحسست بأن أحد الناسخين كان يتطوع فيبدل ما لا يعجبه . ويبدو واضحاً أن النسخة التركية كتبت عن نسخة أخرى ، وفي وقت متأخر نسبياً عـن النسخة البريطانية ، لأن ناسخها يذكر بعض الأعلام أحياء ، في حين أن النسخة البريطانية تحدد سنة وفاتـه[٢] .

ولم يكن اختلاف النسخة الألمانية عن النسخة التركية ذا أهمية ، في حين أن النسختين الأُخريين شديدتا الاختلاف . مما اضطرني الى لمّ شعث المتفرق بينهما ، وضم شتات الجمل والأفكار، لأصوغ منهما نسخة متكاملة قدر الامكان ، وكنت أشير الى الساقط والمضاف منهما ، مهملا تقديم الجمل على بعضها الآخر .

(١) وهو تاريخ ختم الوقف .

(٢) انظر على سبيل المثال ختام ترجمة أبي بكر بن عبد الله (ذي الرقم ٥) ، فقد ذكرت النسخة التركية أنه ما زال حيـاً ، في حين أن ناسخ النسخة البريطانية حـدد وفاته سنة ١٠٥١ .

ولما كانت النسخة الألمانية صغيرة جداً ، وكانت النسخة التركية تضم ثلث الكتاب ، فقد اضطررت الى اعتبار النسخة البريطانية (ورمزها : ل) أماً وأصلا ، مع يقيني بأن أيا من النسخ الثلاث ليست من خط المؤلف نفسه ٠

وذكر الشيخ راغب الطباخ أيضا ، نقلا عن جرجي زيدان ، أن نسخة أخرى في برلين[1] ـ ولم يذكرها بروكلمان ـ ولا يعلم إذا كانت كاملة أو ناقصة هي الأخرى ٠ وأحسستنا ببصيص أمل جديد ٠ فأعملنا مراسلاتنا حتى حصلنا على النسخة البرلينية فتبين لنا أن ست ورقات فقط هي من « معادن الذهب »، وهذه الورقات ممزقة، ناقصة ،مهترئة، أما الباقي فهي في تاريخ الأيوبيين منذ صلاح الدين ، وتاريخ الخلفاء الفاطميين ، ويدخل في ذلك ترجمة لبعض ملوك السلاجقة ، وبعض الأعلام أمثال : ابن القيسراني ، ابن الشجري ، أبي البركات الأنباري، ابن عساكر ، الجواد الاصبهاني ، ابن التلميذ ٠ وهذا يعني أن المؤلف خص القرن الخامس والقرن السادس من غير اعتناء بالألفباء ـ منهج العرضي ـ ولا بالأعلام الذين عاصرهم، على عادته٠ وأكثر من الشواهد الشعرية ، والاستشهادات ، مما يخرج عن خطة مؤلفنا ٠

وعلى هذا فان نسخة برلين ليست « معادن الذهب » إلا صفحة من المقدمة ، وترجمة لستة أعلام[2] ، بخروم كثيرة وعيوب عديدة ٠ ثم هي مكتوبة ـ ومشكولة ـ سنة ١٢٠٠ ، بينما نسختنا يرجع تاريخها الى ١٠٥٨ ، أي أنها كتبت في عصر المؤلف ٠

---

(١) ورقمها :
W. Ahlwort Arabichen Handschiften - Berlin, 94 76 (Pet 697) .

(٢) هم : أحمد بن محمد الكواكبي ـ أحمد بن محمد سليل القطب الرباني ـ أحمد بن عمر الحمامي ـ أحمد بن عثمان الحموي ـ أربعة سطور من أحمد بن منلا ٠

ويرى المسؤول في قسم المخطوطات ببرلين أن المؤلف مات قبل أن يتم كتابه . ربما نوافقه على رأيه ، ولكننا لا نقبل قطعا آن تكون النسخة التي بين أيدينا هي التي كتبها قبل موته . فلا بد إلا أنه كتب أكثر من هذا كما أشرنا الى ذلك قبلا .

ولعل العذر الذي جعل الكتاب يصل إلينا ناقصا أن ناسخه « أحمد الحموي» أحد تلامذة المؤلف توقف عن النسخ بغتة في أواخر حرف الخاء، وفي وسط الورقة . وهو لم يتمه لأسباب نجهلها . ولعل من أسبابها ضخامة الكتاب الأصلي .

ومن الطريف جداً والمهم ، أن الناسخ شرع في نسخ الكتاب في شهر صفر من سنة ١٠٥٨ ، أي قبل وفاة المؤلف بثلاث عشرة سنة ، وهو الذي قال في مقدمته : « أبقى الله لنا وللمسلمين وجوده » . وربما أن المؤلف كان يبيض نسخته ، ويدفع المنجز منها الى تلميذه ينسخه . وحين توقف المؤلف توقف معه الناسخ . لكن الأمر الذي نحن واثقون منه أن مسودات الكتاب ، أو أغلبها ، كانت موجودة . وثقتنا منبعثة من تكرار قوله : « الآتية ترجمته » . بقي شيء واحد يحيرنا ، هو : أين هي نسخة المؤلف ؟ أو أين هي مسودته ؟

وأحسب أن الكتاب لو تم لخرج بعدة أجزاء ثمينة دسمة . ولكن هذا القسم كاف لكي يعرفنا بأهمية الحركة الأدبية والعلمية في حلب .. والقليل يدل على الكثير . وللعرضي فضل يحمد ، لأنه أول من ذكر هؤلاء الأعلام . وكل من جاء بعده نقل عنه ، وأحيانا نقلا كاملا .. ولكن من الجزء لا من الكل . ويمتاز بذكره لكثير من الأحداث التاريخية التي كان كثير منها مجهولا في القرنين العاشر والحادي عشر ، كأمراء كلّس الجانبولاطيين ، وأمراء طرابلس من بني سِيفا ، والصراع المذهبي المفرق بين العثمانيين والأعاجم ، والمعنيين ..

يضم الكتاب أصلا تراجم للأعلام الذين وجدوا في حلب . وشمل

ستا وسبعين ترجمة رئيسية • أكثرهم ممن لقيهم ودرس معهم أو درّسهم أو تتلمذوا على أبيه الشيخ عمر • وسبق ذلك بمقدمة عن أهمية التاريخ والتراجم ، شملها في عشر نقاط تقريبا • ولم يكن هؤلاء الأعلام علماء كلهم • فهناك الأعيان، والوزراء ، والشعراء، والمفتيون ، والصوفيون، والمجذوبون ، والقواد • وكثيراً ما كان يعرج على أخباره وأخبار والده وجده • وكلهم ممن عاصرهم أو عاصر من عاصرهم • ولا شك أنه أفاد من كتاب لأبيه جمع فيه تراجم للأعلام ، لكننا لا نعرف مضمونه ، ولا وجوده •

ورتبه على الأحرف الهجائية ، معتنيا بالحرف الأول دون الثاني • أما خطته في الترجمة ، فانه بعد أن يذكر الاسم والنسب ، يقدم للعلم بديباجة مرصعة مصنوعة، يبرز فيها قدرته اللغوية، وبراعته البديعية، وثقافته الواسعة يحفها السجع والجناس والتورية •• وهذا ما دفع الطباخ الى قوله : « معظمه على طريق السجع »[1] • وهذا غير صحيح تماما ، فان العرضي سرعان ما ينتقل بأسلوبه الى العرض المسهب بأسلوب تاريخي متواضع ، يدنو أحيانا من العامية، ولا سيما في الحوار •

وهو في ديباجته يلخص مقام الرجل واختصاصه واتجاهه بايجاز شديد الغموض، ثم يعود الى الاسهاب، إذ يعرف بموطن العلم ، وشيوخه والكتب التي قرأها وعلى من ، ومدى اتصاله بالباب العالي أو بالباشا ، ومدى شعبيته • وقد سجل العرضي في مقدمته أنه جعل هدف كتابه أن يكون ذيلا لدر الحبب لابن الحنبلي أستاذ أبيه ، وقد قال : « •• ولم يذكر ابن الحنبلي ، أو ذكره وقصّر » • وكان حريصا على ذكر وفاة الرجل في آخر الكلام • لكنه قد يختم الترجمة من دون سنة وفاة ، فاما سهو منه ، وإما أنه ما زال حيا • فالناسخ أضاف بعد زمن سنة وفاة إسماعيل الكلشني لأنه مات سنة ١٠٧٦ أي بعد وفاة المؤلف • ولما كان

(١) إعلام النبلاء : ١/٣٤ •

المؤلف كتب كتابه وأنهاه ، ونقل الناسخ منه في سنة ١٠٥٨ ، فان أعلى سنة مرت بنا كانت سنة ١٠٥٧ وهي سنة وفاة إبراهيم البتروني • وأدنى السنوات التي ذكرها هي سنة ٩٨٤ •

ويزخر الكتاب ، إضافة الى ما ذكرنا ، بكثير من المعالم الهامة في حلب ، دل وجودها آنئذ على معرفة تاريخها ، وكثير من هذه المعالم مازال ماثلا الى اليوم ، كبعض الأحياء والأبواب والمزارات والمقابر والمساجد والتكايا • كما أنه أضاء لنا بعض عادات أهل حلب من لباس وطعام واحتفال وحرف ومعتقدات ••• ويذكر كتبا كثيرة ، بعضها لم نعثر عليه في المظان ، مما يزيدنا تأكيداً على أهمية الكتاب• وهو شديد الغيرة العلمية والأمانة ، فنراه يؤكد أنه لقي الرجل أو « لم أجتمع به » • وأنه رأى الكتاب ودرس فيه أو درسه ••

إلا أننا تعثرنا كثيراً لأن بعض الأعلام غير معروف ، أو أنه ذكره ناقصا ، ولأن الناسخ لم يكن دقيقا في العروض ، فسجل بعض الأبيات المكسورة ، مما اضطرنا الأمر الى التصويب ما أمكننا التصويب - كما أنه يقل من الشواهد الشعرية والنثرية ، ويسهب ــ أو يسف ــ في الروايات الزهيدة التي لا قيمة لها •

ثم هو لا يعتني بربط الجمل ، فيرسلها من غير أدوات تجمعها الى بعضها بعضا ، فحاولنا الرتق ضمن الحدود الموجبة ، مكثرين من علامات الترقيم ، التي قد تساعد الباحث على معرفة منتهى الجملة أو مبتدئها • ولا يعتني كثيراً باللغة ، كأن يهمل أمر العدد والمعدود، والمثنى والمؤنث• كما أنه استخدم كثيراً من العبارات العثمانية من التي كانت شائعة في عصره ، فحاولنا شرحها سواء بمعرفتنا ، أو بالمعاجم ، أو بسؤال أهل الذكر ، أو بالمراسلة الى الجامعات التركية •

وجاءت النسخة الوحيدة بخط واضح تقريبا على اثنتين وتسعين ورقة ، ليس فيها هوامش ولا تعليقات ولا إضافات • وهي بخط الناسخ أحمد الحموي الذي أنجز عمله سنة ١٠٥٨ وبمشاهدة أستاذه، مما يزيد من أهمية النسخة •

وحاولت أن أقدم الكتاب الى السادة الباحثين ، مشفوعا بما هيأت لي الظروف من تعليقات وشروح ومراجعات ، مع فهارس علمية سهلة التناول ، وترقيمات تخدم الباحث ، الذي هو بغيتي •

وكانت رموزنا في هذا الكتاب :

ب : النسخة الألمانية ـ برلين

ل : النسخة الانكليزية ـ لندن

ت : النسخة التركية ـ استنبول

فالى العلماء والباحثين، الى أهل حلب أقدم كتاب أبي الوفاء العرضي « معادن الذهب » •

حلب ٦ صفر ١٤٠٧ هـ

١٠ تشرين أول ١٩٨٦ م

د• محمد التونجي

أبــو الوفــاء العرضي(*)

اسمــه ونسبــه :

هو أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود بن علي ابن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين ، العرضي الشافعي الحلبي ٠

ولقد سها الزركلي في أعلامه ، فجعل اسمه : « أبو الوفاء محمد بن عمر ٠٠ » نقلا عن إيضاح المكنون (٢/٨٥) الذي ذكر اسم « محمد » خطأ ، فانساق الزركلي معه مع دقته المعهودة ٠ أما محمد بن عمر فانــه أخوه ٠ وأما المؤلف فهو أبو الوفاء بن عمر ٠ كذا ورد في الريحانة وفي إعلام النبلاء ٠ كما أورد المؤلف سبب تسميته بــأبي الوفاء ، في ختــام ترجمة أبي بكر بن أبي الوفاء (الرقم ١) ، إذ قــال : « ٠٠ رأيت في كتاب جمعه المحبون في مناقبه (مناقب ابن أبي الوفاء) ذكر فيه أنه حضر إليه الوالد فقال له : يأتيك ابن بعد موتي يسمى باسم والدي (وهو أبو الوفاء) يحصل منه خير وبركات لأمة محمد ﷺ » ٠

أما نسبته « العُرْضي » فهي بضم العين وسكون الراء ٠ نسبة الى « عُرْض » ٠ ولقد حددها السمعاني في أنسابه بأنها « ضاحية بدمشق » ٠ فرد عليه ابن الأثير في اللباب بقوله : « ليست عرض من نواحي دمشق ، وإنما هي مدينة صغيرة في البر بين الفرات ودمشق ، وهي من أعمــال حلب » ٠ وهذا التعريف واسع ، لا يحدد موقع « عرض » بدقة ٠ ولعل

★ مراجعنا في ترجمته : الأعلام ـ الأنساب ـ إعلام النبلاء ـ ريحانة الألبا ـ تراجم الأعيان ـ إيضاح المكنون ـ آداب اللغة العربية ـ بروكلمان ـ نهر الذهب ـ خلاصة الأثر ٠

ياقوتا أكثر تحديداً مكانيا ، فيقول : « بليد في برية الشام ، يدخل في أعمال حلب الآن . وهو بين تدمر والرصافة الهشامية » .

مولده ووفاته :

ولد أبو الوفاء العرضي ليلة الاثنين المسفر صباحها عن عيد الأضحى من سنة ثلاث وتسعين وتسعمئة في حلب .

وتوفي في الرابع من محرم سنة سبع عشرة وألف . من غير اختلاف .

تلامذته وشيوخه ونشاته :

نشأ العرضي في جو علمي ، يحوط به العلم من كل جانب . وكانت قريته منبع كثير من العلماء كمحمد بن إبراهيم العرضي المتوفى ٩٢٠ ، وعمر بن أسامة العرضي المتوفى سنة ٩٥٧ . كما كانت أسرته ذات شهرة كبيرة مرموقة . فكان أبوه أول شيوخه وموجهيه . كما كان يفيد من العلماء الذين يفدون على دار القرآن التي نشأ فيها في كنف أبيه . وطالع كذلك على بعض أعيان عصره كأبي الجود البتروني ، وأحمد بن المنلا توفيقي ، وأحمد بن جمال المجذوب ، وغيرهم كثير .

كما خرّج عدداً من التلاميذ ، برهانا على كفاءته العلمية وشهرته التعليمية . أمثال : أحمد الحموي ، أحمد بن حسين الشافعي ، أبي السعود الكوراني ، إسماعيل الكلشني ، جابر المرتحواني ، خضر بن حسين المارديني . ويجد الباحث كثيراً من أسماء شيوخه وتلامذته مذكورين بين دفتي الكتاب .

كان العرضي إماما عالما خيراً متواضعا حسن السمت لطيف التأدية للكلام واعظا . روى العلوم النقلية والعقلية عن والده[1] . وتصدر

---

(١) خلاصة الأثر : ١٤٩/١ ، ونقله الطباخ في إعلام النبلاء ٣٠٨/٦ .

للاقراء في دار القرآن الحيشية[1] ؛ زاويتهم التي يدرسون فيها . واشتغل بالتصنيف والتدريس والافتاء والوعظ . فقد كان يعظ الناس في كل يوم جمعة بعد صلاة العصر . ورث الافتاء عن أبيه على المذهب الشافعي، فكان أحد أعيان العلماء في المعرفة والاتقان . كما درّس في المدرسة الحلاوية الى جانب عمله في الافتاء .

اسرتـه :

جده لأبيه عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود .. العلامة تاج الدين العرضي الأصل ، الحلبي الشافعي ، شقيق أقضى القضاة شمس الدين محمد . تفقه على البرهان العمادي وغيره . أفتى ودرس بجامع حلب الكبير . كما كان مفتي حلب . له « شرح المراح » سماه « فتح الفتاح بقوت الأرواح »[2] ، مات بحلب سنة ٩٦٧ .

أما جده لأمه فهو الشيخ العلامة أحمد بن عبد الرحمن القصري الخلوتي الشافعي[3] . ففي أثناء ترجمته لـ « إخلاص » (رقم ٤٥) يقول : « كما أن الفرقة الأخرى من الخلوتية من أتباع جدنا لوالدتنا الشيخ أحمد القصيري بن عبدو .. » .

وأبـوه : عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم .. العرضي الحلبي الشافعي القادري المحدث الفقيه الكبير . مفتي حلب وواعظها، كان أحد وقته في فنون الحديث والفقه والأدب . اشتغل على مشايخ عصره . ولم يكن في عصره واحد مثله مجداً في الاشتغال وإفادة الطلبة . ولد بقاعة

(١) أخطأ طابع الخلاصة فقرأها : الحبشية .

(٢) إعلام النبلاء : ٤١/٦ .

(٣) انظر ترجمته في الكتاب (رقم ٨) .

« العشائرية » الملاصقة لزاويتهم دار القرآن شمالي جامع حلب سنة ٩٥٠[1] ، والمطل شباكها على الجامع الكبير[2] ٠

لازم الزاوية الحيشية[3] المنسوبة الى بني العشائر مدة أربعين سنة٠ من أفضل تلامذته الشمس محمد وأخوه البرهان إبراهيم ابنا الشهاب أحمد بن المنلا وولده أبو الوفا ونجم الدين الحلفاوي٠ درس على محمود ابن محمد البيلوني والملا إبراهيم بن محمد البياني وابن الحنبلي ٠

له تآليف كثيرة منها : شرح الكافية للجامي[4] ـ شرح رسالة القشيري ـ شرح العقائد ـ شرح الشفا في أحاديث المصطفى سماه فتح الغفار ، في أربع مجلدات ٠ وله كتاب في الأعلام ذكره ابنه أبو الوفاء ونقل منه ، كما ذكره الطباخ ٠ توفي سنة ١٠٢٤ ، وأرخ لوفاته صلاح الدين الكوراني فقال :

إمامُ العلوم وزَينُ العُلا سراجُ الهُدى عمرٌ ذو الوفا
تولّى فأرِّخْ : سراجٌ بها الـ علومُ هوى فَرَقاً[5] فانطفى

عرف به الخفاجي[6] فقال : « نسيج وحده وفريد فضله ومجده ٠ بحر لا تكدره الدلاء ، ولا تنزف بعض موارده المِلاء ٠ لم يزل صدراً للانارة والافتاء٠ ترعى في ربيع فضله سوائم الطلب٠ وتآليفه وتصانيفه تنقلها الركبان » ٠

---

(١) خلاصة الأثر : ٢/٢١٥ ٠
(٢) إعلام النبلاء : ٦/٣٠٨ ٠
(٣) الزاوية منسوبة الى الصوفي ابي بكر الحيشي ٠
(٤) أثنى ابن الحنبلي عليه فقال :

لكافية الإعراب شرح منقح ذلول المعاني ذو انتساب الى الجامي
معانيه تجلى حين تتلى كأنما هي الخمر تبدو شمسها في صفا الجام

(٥) إعلام النبلاء : ٦/٢٠٠ ٠
(٦) ريحانة الألبا : ١/٢٧٩ ٠

وقد أفاد من علمه شباب زمانه في حلب • فكثيراً ما يقع مطالع كتاب معادن الذهب على أعلام درسوا على يديه •

وأخوه : محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم العرضي • قال عنه الطباخ : « أنا أقول : لم تنجب الشهباء منذ بنيت بمثله • كان من الفضل بمرتبة الآحاد ، ومن الأدب في مرتبة لا تنال بالاجتهاد • وحاصل ما أقول : إني عاشق له ، والعاشق معذور فيما يقول ••»[1] •

وقريب من هذه الاشادة ما قاله الخفاجي : « فاضل نجيب حسيب • صحبني ••• ومخايل النجابة عليه لائحة ، وطيور البلاغة في قفص سطور خطه صادحة »[2] •

ولي القضاء مدة طويلة، ثم درّس في المدرسة الكلتاوية والسعيدية• وولي قضاء الحنفية بحلب مدة سنتين • ولما مات أخوه أبو الوفاء صار مكانه مفتي الشافعية ، وواعظا بجامعها ، وحصل له جذب إلهي • وتكلم بوعظه برموز ودقائق على لسان القوم[3] •

وأثنى عليه البديعي وعلى شعره ، فقال : « شاعر رقت طباعه ، وكثر اختراعه وإبداعه » ، وشعره أقوى من شعر آخيه أبي الوفاء • والشعر الذي بين أيدينا للأخ أكثر كمية من شعر أبي الوفاء • وشعره الغزلي طريف ، وفيه جدة • من ذلك قطعة تساءل فيها المحبوب عن سبب وضع نظارات على عيني العاشق، والتي يسميها المحبي« العيون المستعارة للنظر » :

قال لي الحب:لمْ وضعتَ على الأ ... ـف عيونا وفي عيونك مَقْنَعْ ؟
قلت : مذ خط كاتب الحسن نونا ... فوق ثغر كحاجبين وأبدع
فجعلت العيون أربع على ... أن أرى يا رشا حواجب آربع

---

(1) إعلام النبلاء : ٣١٨/٦ •
(2) ريحانة الألبا : ٢٧٤/١ •
(3) إعلام النبلاء : ٣١٨/٦ •

وقوله ، وفيه إشارة الى حديث للرسول ﷺ :

كان عهدي بالروم فيها يضوع الـ   حلم ، والآن ضاع فيها العلوم
شيَّبت فَود سيِّد الرُسْل هود"   ولقد شيَّبت فؤادي الروم

توفي سنة ١٠٧١ ، بعد بضعة أشهر من موت أخيه ، وعمره نحو ستين سنة(١) .

مؤلفاته :

مؤلفات العرضي كثيرة ، لكن أغلبها مفقود (حتى الآن) . ويعد كتابه « معادن الذهب » خير ما كتب ، وهو المطبوع الوحيد من تراثه . والصبغة البارزة على مؤلفاته ـ كما يبدو ـ : القضايا الدينية ، والتاريخية ، والنحوية . وكتبه هي :



١ ـ معادن الذهب .

٢ ـ طريق الهدى ـ في التصوف ـ وهو الكتاب الوحيد الذي ذكره إسماعيل باشا في « إيضاح المكنون » . وذكر الطباخ أن في حلب عدة نسخ، كالأحمدية ، والمولوية ، وبعض الأعيان .

٣ ـ فتح المانح البديع في حل شكل الطراز البديع . وهو شرح لبديعيته التي أتم نظمها سنة ١٠٣٧ ، ومطلعها :

براعتي في ابتدا مدحي بذي سلم   قد استهلَّت لدمع فاض كالديم

يقول الطباخ : « واطلعت عليها .. وعليها خط حسين الوفائي الحلبي المتوفى سنة ١١٥٦ ، وخط الشيخ حسن البَخْشي الحلبي شيخ

(١) وله أخ آخر اسمه « حسن » ، من أبيه . توفي شابا في حياة أبيه مطعونا سنة ١٠٠٥ ، فبكاه أبوه ، ورثاه الشعراء .

التكية الاخلاصية ، وقد أدرج الشيخ قاسم البكرجي هذه البديعية في شرحه لبديعيته المسمى ـ حلية البديع في مدح النبي الشفيع » ٠

٤ ــ سوابغ الانعام في تحرير أول سور الأنعام ، ذكره في المعادن ٠

٥ ــ شرح على ألفية ابن مالك ٠

٦ ــ حاشية على شرح المفتاح للسيد ٠

٧ ــ حاشية على البيضاوي ٠

٨ ــ حاشية على شرح المنهاج للمحلي ٠

٩ ــ شرح سورة « والضحى » على لسان القوم ٠

شعره :

وأبو الوفاء شاعر حسن الشعر ، أغلب شعره في التصوف والغزل والاخوانيات والمديح ٠ فبالاضافة الى « البديعية » الآنفة الذكر له :

١٠ ــ لامية « تضاهي لامية العجم » ، مطلعها[1] :

جلالة الفضل تنفي زلة الرجل ... وذلة الجهل توهي صولة البطل

ومنها :

واضربْ على العقل أسوارا محصّنة ... تقيك فتنةَ أحداث أولي حيلِ

ولا يروقك ماءُ الحسن قطّره ... نارُ الحياء على الخدين كالشُعل

ولا حلاوة ثغر حشوه دررٌ ... فكامنُ السمّ في العسّال والعسل

ويقول الطباخ : « بحثت عن هذه اللامية كثيرا فلم أعثر عليها ٠ ولو عثرت عليها لنشرتها بتمامها » ٠

(١) خلاصة الأثر : ١/١٤٩ ٠

كما ذكر الخفاجي أن أبا الوفاء كتب إليه قصيدة مدحية طويلة . وسجلها له في ريحانته ، مطلعها :

أرى الشهباءَ للعَليا قبابا ألم تر أفْقَها أبْدى شِهابا ؟
وقبل كست معالمها الدياجي مُسربِلة ذُراها والهضابا

كما رصد الطباخ بعض شعره ، وذكره في إعلام النبلاء • من ذلك:

عود الأراك قال خوفَ حاسد لما ارتوى من رشْف ثغر عابقِ :
إن الذي قد شاقني من ثغرها ذكرُ العُذيب والنقا وبارقِ

وقال :

سألتكَ يا عود الأراكة إنْ تعدْ الى ثغر من أهوى فقبِّلْه مُشفقا
ورِدْ من ثناياه العذيب فمنْهلا تَسلسل ما بين الأُبيرق والنقا

وقال :

أسرَ الناسَ باللحاظ حبيبٌ كلُّ مضنى بسجنه محبوسُ
فكأن القلوب منا حديدٌ وعيونُ الحبيبِ مغناطيسُ

وقال :

بوردِ الخدِّ ريحانٌ محيطٌ وتركي حبَّه لا أستطيع
وقلت:النفس خضرا ياعذولي كما قد قيل ، والزمن الربيع

وقال :

نصب الحمام لقوّتي شَرَكَ الردى في غُرَّة وأنا به لا أعلمُ
فطفقتُ ألقط حبةَ الأملِ الذي راودْته والشيبُ مني يبسمُ

وله فيمن دق على يديه بالزرقة :

البدرُ حين حكى ضياءَ جبينه فاحمر من غضب على هفواته
شفقٌ ومن جهة اليمين سماؤه فأرتْك زرقتَها على حافاته

ويقع المطالع على متفرقات من أشعاره طي ترجمات الكتاب ·

مقامه :

قال فيه يوسف البديعي في ذكرى حبيب: « عالم الشهباء وابن عالمها، ومن شد بالفضائل دعائم معالمها · وهو في الزهد كأويس وعروة ، وللسادة الصوفية قدوة ، وأنعم به من قدوة ·· » ·

ومما قاله الخفاجي في الريحانة حين زار حلب ، وقد عرف به قبل أبيه : « فلقيني بها حبر مجيد وشاعر مجيد ، وأديب يضع القلادة في الجيد · له الفضل لم تنظر عين الدهر لمنافيه ، بل كلما أجال طرفه رأى كل المنى فيه · فاذا واد خصيب النوى والثمر، وحديقة متنمنمة الأطراف والطرر · سقتها غمائم نداه ، وباكرها صيب جدواه ، بلا منة لحوامل السحائب ، ولا انتظار لقوافل الصبا والجنائب ·

صرف نقد أوقاته، ورأس مال عمره وحياته في تحصيل ربح الفضل والعبادة ، وترك فضل العيش وفضول الناس لما في تركهما من السعادة· ورأى في كل بكرة وعشية حبلى جنين نوائبهما في مشيمة المشيئّة · ولما شمت كرمه وسيبه، وردت ربيعا زر عليه جيبه، انتدب لملاقاتي وابتدر، وخير أنوار الربيع ما بكر ·· »·

وزيادة في مقامه ، مدحه الشعراء ، وأثنوا عليه وعلى علمه · ومن

جملة من مدحه الشاعر حسين بن أحمد الجزري (رقم ٦٠) بقصيدة طولها سبعة وثلاثون بيتا ، مطلعها :

موفيتَ نضوُ هواك برْحٌ داؤه	ولقد يعزّ على سواك شفاؤه

ومنها :

ما لقب « العرضيّ » إلا بعدما	عُرضت عليه من العُلا علياؤه
ولأنه قامتْ بجوهرِ ذاته	أعراض فضل لم تدم فضلاؤه
وإذا تأملت الزمان وجدته	شيخا يلوح وروحه علماؤه

كما مدحه الشاعر سرور بن سنين سنة ١٠١٩ بقصيدة طويلة ، مذكورة في ديوانه . يقول فيها :

العالمُ العلمُ الذي أفكارهُ	تنهل شرعاً للورى ومذاهبا
كنز الدقائق بحرُ كل فضيلة	يُبدي بمنهاج البيان مطالبا
صدر الشريعة جامعٌ لأصولها	مفتاح حل المشكلات له نَبا
وترى سهامَ جدالهِ برهانَها	قلبُ البغيض يغيض منه مذاهبا

هذا أهم ما وصلت إليه اطلاعاتنا عن العرضي . والله من وراء القصد .

ولا بد في الختام من تقديم الشكر للدكتور حريتاني الذي وضح لي بعض المواقع الأثرية ، وللدكتور شلهوب الذي سهّل لي عملية جلب نسخة برلين .

مقدمة ناسخ الكتاب(*)

/ هذا تاريخ أستاذي وملاذي ، مَن عليه بعد إلهي اعتمادي ، شيخ الاسلام ومفتي الأنام مولانا الشيخ أبي الوفاء[1] أفندي، مفتي الشافعية بحلب المحمية ، أبقى الله لنا وللمسلمين وجوده بجاه خير البرية . وسماه « معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب » . ٣

بدأت بكتابته في أواسط شهر صفر المظفر من شهور سنة ١٠٥٨ ، أحسن الله ختامه بالخير ، ببركة مؤلفه ، آمين .

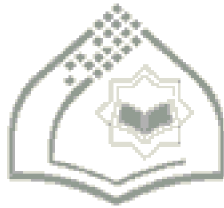
لو قيل لي،وهجيرُ الصيف متّقد" ونارُ شوقي في الأحشاء تضطرمُ:
أهمْ أحب إليك الآن تنظرهم أم شربة من زلال الماء؟قلت: همُ

يا رب عفوك أرتجي ، وكذا الشفاعةَ من محمد، في عواري الزمان.

في نوبة سلك ملك الفقير عفوَ ربه المنان ، الحاج حافظ أحمد أفندي الحموي بن محمود يس بن حسن بيك . غفر الله ذنوبهم ، وستر عيوبهم في الدارين ، بحرمة سيد الكونين ، وشفيع الثقلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه ، آمين .

★ كان الناسخ دقيقاً جداً في نسخه ، حتى إنه ذكر على هذه الورقة « تجربة القلم على القرطاس » وبعد أن اطمأن إليه ، عاد فقال عن الحبر : « تجربة المركب على الورق » .

(١) في الأصل : أبو الوفا .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

/ بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة المؤلف)

وبه العونُ والحول والقوة[١] . الحمدُ لله ذي البقاء المطلق ، والفناء المحقق ، والكمال التام ، (الحاكم القاهر و)[٢] لجميع مخلوقاته الموت والانصرام ، (المانع فطن العقول عن خفايا حكمه الباهر ، والكاشف الأبصار عن سبل سعادات الآخرة)[٣] الذي أبقى مآثر الكرام على صفحات الدهور ، وأنطق ألسنة الدفاتر بالثناء عنهم بعدما استوطنوا بطون القبور ، وجعل ذكرهم طراز حلل[٤] المفاخر ، وزينة المحافل ونزهة المحاضر . فأفواه المحابر تملي شروح أخبارهم على حواشي الزمان، وبلابل الأقلام تغرد بمكارمهم[٥] على أفنان الفضائل[٦] بكل لسان .

حازوا مراتب السعادة ، واقتطعوا مناصب (المجد و)[٧] السيادة حين نظروا الى الدنيا فرفضوها ، وترفعت بنصب زخارفها فخفضوها . سهروا والناس رقود ، وتعبوا والجاهلون في ظلال النوك[٨] وأفياء[٩] السعود . (فلذلك)[١٠] أضحوا يدور أفلاك المجد ، وجواهر قلائد الشرف[١١] والسعد ، وغرة جباه[١٢] الافتخار وذروة الحماسة وربوة الفخار .

---

(١) الجملة ساقطة من : ب وت .
(٢) إضافة من النسخة : ت .
(٣) ساقطة من النسخة : ت
(٤) ساقطة من النسخة : ت .
(٥) في النسخة ت : بكمالهم .
(٦) في النسخة ل : الغضا .
(٧) إضافة من ت .
(٨) النوك : مفردها الأنوك وهو الأحمق .
(٩) ساقطة في : ت .
(١٠) اضافة من : ت .
(١١) في ت : الفخر .
(١٢) في ت : محيا .

والصلاة والسلام على من شملت أئمة أمته بركاته عصراً فعصراً[١] وسرت أسرار[٢] علومه الى مشكاة أفئدتهم ، فامتلأت نوراً ، وطفحت سرائرهم سراً • (فهو معدن علومهم وعباب أفكارهم وفهومهم ، وشمس كمالهم وفلك مجدهم ونوالهم)[٣] سيدنا محمد، حديثه قديم في المعالي، وعنوان شرفه براعة استهلال كماله المتوالي • رفع الله ذكره حقيقة ومجازاً ، وشرح بالمعارف صدره ، (فاتضحت حقائق الحق تفصيلا وايجازاً)[٤] •

صاحب المقام المحمود ، وحامل اللواء المعقود ، ومنهل الحوض المورود • وعلى آله عمد الايمان ، وسفن النجاة والأمان ، المطهرين من الدنس حساً ومعنى ، والحاوين لمكارمه[٥] فرادى ومثنى • وصحبه نجوم الهدى ، ورجوم[٦] شياطين البدع والاعتدا، (وسبل الجنة ومناهج المنّة،وأبواب السعادة ومفاتيح أقفال السيادة)[٧] صلاة وسلاماً يهديان دواما ما طلع هلال ، وأشرق في سماء المحامد بدر كمال •

أما بعد ، فيقول « أبو الوفا بن عمر العرضي » ، منحه الله جادة المنهج المرضي : إن للتاريخ شرفاً لا ينكر ، ومزايا تنقل عنه ومنه تؤثر[٨] • لا يجحد شموس كمالها إلا[٩] أعمى البصيرة ، ولا يضرب عنها

---

(١) كذا في ب و ت • وفي ل : عطراً فعطراً •
(٢) في ت : أنواع •
(٣) إضافة من : ت •
(٤) ساقطة من : ت
(٥) في ت : للمجد •
(٦) رجوم الشيطان : يعني الراجمين للشياطين •
(٧) إضافة من : ت •
(٨) كذا في ل و ت • وفي ل : وتؤثر •
(٩) لا •• إلا (والتي بعدها) إضافة من : ت •

صفحاً إلا من (كانت)[1] يده في الكمالات قصيرة • ففيه من موائد الفوائد ما يشتهي الخبير الناقد :

منها التأسّي بمآثرهم ، واقتباس أنوار مفاخرهم •

ومنها حياة ذكرهم ، بعدما أبادهم جند الحمام ، ونشر (أزهار فضائلهم بعدما انطووا في سجل الأيام)[2] •

ومنها استفادة مالهُم من منثور ومنظوم، والاستضاءة في حنادس[3] الغوامض بأنوار هاتيك العلوم (إذا أظلم في المشكلات كل ديجور)[4] •

ومنها معرفة طبقاتهم في الفضائل ، واختلاف مراتبهم في إسداء الفواضل •

ومنها معاملة ذراريهم (بالاحسان و)[5] الاحترام ، (والاحاطة بمعرفة الدخيل في المجد)[6] والوارث له عن آباء كرام •

الاتعاظ بمن جرد عليه الدهر (أفظع حسام ، وأبادته حوادث النكبات حين ضل في أودية الغفلة وهام)[7] •

الدعاء لهم بالغفران ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان •

---

(١) إضافة من : ت •
(٢) كذا في ل • وفي ت : « عبير فضلهم بعد خفائهم تحت حجب تطاول الأيام » •
(٣) الحندس : الليل الشديد الظلمة • وتطلق « الحنادس » على ثلاث ليال من آخر كل شهر • وفي ت : « والاستضاءة بأنوار علومهم •• » •
(٤) إضافة من : ت •
(٥) إضافة من : ت •
(٦) كذا في ت • وفي ل : « وامتياز الدخيل » •
(٧) إضافة من : ت •

ذلك أحاول هاتيك الأمور ، وأرتقب فرص الفراغ وقران[1] السرور ، لجمع أشتات محاسن أهل هذه العصور . إذ لم أجد من شمَّر في ذلك ذيله ، (وجلب عليه رَجله وخيله)[2] . وجر ذيل همته، وصرف أزمَّة عزيمته ، (من أفاضل الأماثل وأماثل الأفاضل ، وإنه لسان جليل وأمر حسن جميل)[3] . فصدَّني (عنه)[4] عوائق الزمن ، (وعلائق المعسر)[5] والمحن . (وانتشار الظلم في الأقطار ، وعموم المصايب في الآفاق والأمصار . وإن مقتحم هذه السنن منهم مَن قبح صنيعه ، ومنهم من حسَّن)[6] . فتصدت صحيفة الأفكار بانتشار الظلم لا سيما في الأقطار ، وارتفاع حضيض الجهل ، وانحطاط دراري الفضل .

وإن المقتحم لهذه العقبة الكؤود مطعون فيه بين جاهل وحسود . فهذا شيخ والدنا (علامة العصر ونادرة الدهر العلامة الرضي ابن الحنبلي[7] بيض الله صحائف أعماله ، وجعل الفردوس نتجة آماله و)[8]

---

(١) ساقطة من : ت .
(٢) ساقطة من : ت .
(٣) إضافة من : ت .
(٤) إضافة من : ت .
(٥) كذا في : ت . وفي ل : وعواتق المعيشة .
(٦) إضافة من : ت .
(٧) هو شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي التاذفي(تاذف : من قرى حلب قرب الباب) المعروف بابن الحنبلي الحنفي ، من أحفاد ابن الشحنة . دخل دمشق وأفاد الأفاضل. وهو مؤرخ من علماء حلب . له نيف وخمسون كتاباً في اللغة والشعر والتاريخ ، ما زال بعضها مخطوطاً . وأشهر مطبوعاته « در الحبب » . وله شعر جيد متفرق . توفي سنة ٩٧١ .
ـ ريحانة الألبا : ١٦٩/١ .
ـ الكواكب السائرة : ٤٢/٣ .
ـ آداب اللغة : ٣٢٣/٣
(٨) إضافة من : ت .

نوّر الله ضريحه ، وجعل السلسبيل غبوقه وصبوحه ، صار غرضاً لسهام الملام ، وهدفا[1] لأسنة (القدح و)[2] المذامّ • فرفع مقام أحبابه ، وانتصب لخفض (أعدائه و)[3] أضرابه (وتسب للعلماء أموراً إن صدر منهم فعلى سبيل النسيان ، وطُعن بسهم بمطاعن كقوله : « فلان مع الصيانة يحب الغلمان »)[4] • وصدّني أيضاً (أن)[5] جماعة تلمظوا[6] / من حلاوة الفضل ، ولم يملؤوا بطوناً ، وقنعوا (بما يسدُّ الرمق من)[7] الملكة البعيدة ، و (إن)[8] لم يتعلموا ، ويعلموا شروحاً ومتوناً • وشمخوا بمارن[9] الكبر من (رفعة)[10] المناصب والأموال ، (ومتابعة الرجال)[11] ،زاعمين[12] أنهم هم العلماء(وأولي الفضل)[13] والغير من سقطة الجهال • ولو أحطت بهم خبراً ، لنظرت إليهم بعين ٥

---

(١) في ت : ومرمى •
(٢) إضافة من : ت •
(٣) إضافة من : ت •
(٤) إضافة : من ت •
(٥) إضافة : من ت •
(٦) لمظ : أخرج لسانه بعد الأكل أو الشرب فمسح به شفتيه • وتلمّظ : تذوق •
(٧) إضافة : من ت •
(٨) إضافة : من ت •
(٩) المارن : طرف الأنف ، أو مالان من طرفه •
(١٠) إضافة : من ت •
(١١) إضافة : من ت •
(١٢) في ت : وظنوا •
(١٣) إضافة : من ت •

الكمـــال شزراً ، (وتحققت أنهـم)[1] يعدُّون في مراتب الأفاضل[2] صفراً •

ثم إنني ، بحمد الله ، رفضت هذه الموانع ، (وأزحت بصارم)[3] الهمة قتام[4] القواطع • وضربت عن المثالب قطعاً[5] صفحا ، وطويت عن أعراض الأغراض كشحاً[6] • (على أنني ، والحمد لله ، سليم الفطرة من أدناسها ، غـير متضح بخبائث وسواسها)[7] • والتزمت الاقتصار على جميع الخصائص ، (ولم أشوّه)[8] وجه الصحائف بأدناس النقائص ، إلا إذا (اقتضى الحال)[9] العظة والاعتبار ، (وقصدتُ عما ارتكبـه ذلك الشخص من قبائح الأوزار)[10] • ومن كان ذا تقوى صرّحت بها في الأوصاف ، وسكت عن (بيانها لمن)[11] سلك سنن الخلاف •

ومن صحّ نسبه النبوي نصصت عليه • ومن طعن فيه بحق أشرتُ في مدّعاه بالنسب[12] إليه • (والتزمتُ ذكر المعاصرين من الحلبيين ،

---

(١) إضافة : من ت •
(٢) في ت : الفضل •
(٣) كذا في : ت • وفي ل : « ونفضت عن ذيل » •
(٤) القتام والقتمة : الغبار الأسود وغبار الحرب • وساقطة من : ت •
(٥) ساقطة من : ت •
(٦) إضافة من : ت • طوى عنه كشحا : أعرض عنه وقاطعه •
(٧) إضافة : من ت •
(٨) كذا في ل • وفي ت : « وعدم تشويه » •
(٩) في ت : « أردت بذلك » •
(١٠) كذا من : ت • وفي ل : « وردع الغير عن معرّة الأوزان » •
(١١) كذا من : ت • وفي ل : « حال من » •
(١٢) الكلمة إضافة من : ت •

ومن مرّ على حلب ، وبعض المعاصرين لمن عاصرناهم ، وإن لم أرهم حيث لم يذكرهم ابن الحنبلي أو قصّر فيما عليه وجب)[1] .

وسميته « معادن الذهب في الأعيان المشرّفة بهم حلب » ، فدونك غادة اتضح بشرها ، وتقلد الثريا (عوضاً عن الدر)[2] نحرها . وتمنطقت بالجوزاء ، وتقرطقت بزهر[3] نجوم السماء . وحديقة ضاع نشرها[4] ، وفاح عطرها ، ولاح نورها ، وتأرّج نَورها ، وتكللت فرائدها[5] (وغرّد على أفنان الأدب هزار مقاصدها[6]، (وجلت أجياد المحاسن قلائدها)[7]، قطوفها دانية، [و][8] ثمراتها حالية (ولم ألتزم في هذا التأليف البديع في الجميع بالتسجيع . وإنما[9] وشّيته بالعبارات البليغة المحكمة، (وطرزت بالبلاغات بعض أطراف حلل الترجمة)[10]. (وذكرت مسائل علمية يدخرها الماهر، ونبذاً من مقاطع وقصائد يحتفل بها الأديب الباصر . وأنثر فصولا هي لفروع الآداب أصول ، وأذكر مناقب قوم هم المقاصد والسول)[11] .



(1) إضافة : من ت .
(2) إضافة : من ت .
(3) إضافة : من ت .
(4) ضاع المسك : انتشرت رائحته .
(5) وفي ت : « فوائدها » .
(6) إضافة : من ت .
(7) ساقطة من : ت .
(8) إضافة المحقق .
(9) ساقطة من : ل . إضافة من : ت .
(10) كذا من : ت . وفي ل : « لم أعمم الجميع ، بل خصصت ذلك بصدر الترجمة » .
(11) إضافة : من ت .

وظني أن من كرر في تاريخي هذا نظراً ، واتخذه سميراً ، وألقى[1] إليه فكراً ، (رقاه في الآداب والفضائل أشرف مقام)[2] ، وخرج به من حضيض القصور الى ثريا الأفهام . وما فهت بذلك إلا تحدثاً بالنعم ، وشكراً لمن غمرني بوابل الكرم .

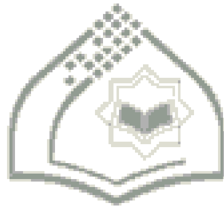
وقد رتبته على حروف الهجاء[3] ، وعلى الله اعتمادي وإليه الالتجاء[4] ، (وعند أحماله العالي تحط أحمال الرجاء . وأسأله التفضل بالاتمام ، والعصمة عن وصمة ما جرت به الأقلام ، وأضرع إليه في حسن الختام) .



(١) كذا في : ت . وفي ل : « يمعن فيه » .
(٢) كذا في ت : وفي ل : « أن يرقى معارج الأدب ، ويصادف جادة مناهج الأرب » .
(٣) أسقطنا من ل : « وإن كان محمود سجايا المزايا كيف الرجاء » .
(٤) ساقط من : ل وإضافة من : ت حتى آخر المقدمة .

مقـدمــــة

اعلم أنني لـم أعتبر في الأعلام إلا الحرف الأول ، فـان ذلك عليه المعوّل. فقد أذكر في حرف الألف مثلا « أحمد » ، ثم أذكر « إبراهيم »، ثم أذكر « أحمد » ، ثـم أذكر « إبراهيم » ، ثـم أذكر « أبـا بكر » . وسببه أنه قد يعسر عليّ ترتيب ما أوله ألف ، فباء ، ثم ما أوله ألف فتاء ، ونحو ذلك . وأذكر ما اشتهر به صاحب الترجمة ، فان اشتهـر بالاسم نحو « محمد » ذكرته به ، وإن اشتهر باللقب نحو « ناصر الدين » أذكره به ، وإن اشتهر بالكنية نحو « أبي بكر » أذكره به) .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ أبو بكر بن أبي الوفاء المجـذوب(*)

صاحب المزار المشهور في « أرتَـتْبا » : لفظة تركية معناها الذروة الوسطى (وهو جبل بقرب مزار الشيخ « بَيرم » خارج بـاب النصر · أجلُ مَـن)[١] خلع العادات وعاداها ، وتقاصر عن[٢] زينة الدنيا مـع سعة[٣] مداها · دعاه منادي : « ففروا الى الله »[٤] فلباه ، وكشف الغطاء له غطاء « أينما تولوا فثم وجه الله »[٥] · بدت له محاسن[٦] المشاهدات سافرة القناع ، وانجلت مرآة فؤاده في حضرات المسامرات والانخلاع ·

★ هو صاحب المزار الواقع شمالي حلب ، أفردت له الكتب وألفت عنه ، وأول من درس حياته أحمد الحموي العلواني فألف عنه « أعذب المشارب في السلوك والمناقب » و «منهل الصفا في مناقب أبي الوفا » · ولد في حلب في محلة سويقة علي سنة ٩٠٩ ، ويرجع نسبه الى آل البيت الحسينية · أخذه أبوه الى دمشق بعد أن أتم تحصيله في حلب ، فاختلط بالعلماء · ثم ترقى وانزوى · ولزم الخلوة ، وهجر الطعام ولزم المنام وساح · ولما عاد الى حلب اعتقده الناس · وسبب دفنه في هذا الجبل أن بعض أجداده كان مدفوناً فيـه ، وكان يزوره ، فدفنوه فيـه · وسكن دراويش الطريقة الوفائية حول المدفن ، وكانوا يتناولون مرتباتهم من ريع وقف التكية ، لأن كل واحد منهم له وظيفة (نهر الذهب : ٣/٤٤٠) · والتكية ما زالت معروفة وتدعى كذلك « جبل الغزالات » ·

(١) إضافة من : ت ·

(٢) وفي ت : ورفض ·

(٣) وفي ت : اتساع ·

(٤) تمام الآية : « ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين » الآية : ٥٠/ السورة الذاريات : ٥١ ·

(٥) الآية : ١١٥ / سورة البقرة : ٢ ·

(٦) كذا في ت ، وفي ل : مشاهد ·

(سجلت عليه مراسم الدواوين أنه من عقلاء المجانين ، بعدما)[1] مُحي من لوح خاطره رسوم الكونين ، وطمس معالم[2] وجوده علم العالمين[3] . تحلت به عقود[4] المعارف ، وتجلت له غادة اللطائف . وصقلت مـرآة صدره ، وأشرقت في آفاق جوانحه أسرار سره، وأحدق (بصر بصيرته[5] بحدائق الجمال ، (ونطقت سويداء سريرته في مظاهر الكمـال)[6] . ورتع في بروج القرب ورياض الوصال . وظهرت يوح[7] سمائه شاهدة في أفلاك الأسماء . (فشبب بلبل لسانه)[8] على أفنان المحبة ، موريـا بسعاد وبثينة[9] وأسماء .

أديرت عليه كؤوس الخمرة بين (رجال المحبة وندماء)[10] الحضرة إخوان الوفا وخلان الصفا ، سكروا فغابوا ، وشربوا فطابوا . وقرّ بهم وقرّ بهم العيون. وناداهم فأدناهم (الى خزائن الغيوب)[11] وأتحفهم[12]

(١) ساقطة من : ت .

(٢) في ل : في معالم .

(٣) كذا في ت ، وفي ل : عن الكونين .

(٤) ساقطة من : ت .

(٥) إضافة من : ت .

(٦) إضافة من : ت .

(٧) كذا في ت ، وفي ل : برد . ويوح : من أسماء الشمس .

(٨) كذا في ت ، وفي ل : فغرد .

(٩) ساقطة من : ت .

(١٠) كذا في ت . وفي ل : « أهل دير المحبة . وسمار » .

(١١) ساقطة من : ت .

(١٢) الكلمة إضافة من : ت .

بالسر المصون (والجوهر المكنون)[١] • إنا إليه راجعون[٢] •

كان (في عنفوان شبابه)[٣] بقالا (مع والده)[٤] في مبادىء عمره (بسويقة علي ، ووالده مؤذن بمسجد فيها ، لهصوت غليظ • فلما اعتراه الجذب[٥] اشترى منه شخص زيتاً ، فصبّ وعاء الزيت بأسره حتى سال على الأرض)[٦] ، فضربه والده •

ثم خرج هائماً (وتوجه الى دمشق)[٧] ، فصحب الشيخ المجذوب[٨] محمد الزغبي[٩] (المدفون الآن)[١٠] بدمشق الشام • (وبعد/مدة ٦

---

(١) إضافة من : ت •
(٢) ساقطة من : ت •
(٣) إضافة من : ت •
(٤) إضافة من : ت •
(٥) الجذبة : الواحدة من الجذب بمعنى الشد • وسموا المعتوه مجذوبا ، يريدون أن الله تعالى شده الى ملكوته فبهرته عظمته فسلب عقله • وهم يقولون : المجذوب اسم مفعول ، ويقولون : الجذبة (أو الاثنتان بلا نقطة) المصدر بمعنى اسم مفعول •
(٦) كذا في : ت ،.وفي : ل الكلام مضطرب وغير مترابط •
(٧) إضافة من : ت •
(٨) الكلمة من : ت •
(٩) هو محمد بن محمد بن عبد الرحيم الزغبي ، الشيخ الصالح المجذوب الدمشقي • كان منزله بمحلة القيمرية (وما زالت في الأحياء القديمة) • توفي سنة ٩٧٨ أو نحوها •
ـ الكواكب السائرة : ٣٢/٣ • ويذكر الطباخ أنه تآخى مع الشيخ أبي بكر بن أبي الوفاء • وقبره في جبل قاسيون بدمشق •
(١٠) إضافة من : ت •

مديدة رجع)[1] الى حلب ، يألف المزابل والمقابر[2] والأماكن الخربة ، (وينام على التراب بغير وسادة ، لا يبالي بحر ولا برد ، ولا ريح ولا مطر ، عنده الذهب والمدر في عدم الاعتناء بهما سيان • السلطان والخفير ، والغني والفقير عنده سواء)[3] •

(ولكونه مجذوباً كان)[4] يحلق لحيته ، ويثقب أذنه ، وتحتف[5] به الكلاب (فيدنيها إليه ، ويجزل الطعام لها)[6] • توقد (النيران الهائلة)[7] بين يديه • (حتى قلع جميع أسنانه في يوم واحد)[8] • لا يُعهد منه صلاة ولا صيام (لأنه كان ذاهل العقل)[9] • يخاطب الرجال بخطاب النساء • (يخلط الجد بالهزل والنصح باللعب • يغضب تارة ويرضى أخرى [و][10] ربما ضرب بعض الناس)[11] •

---

(١) كذا في ل ، وفي ت : « ثم اذن له بالرجوع » •

(٢) في ت : القفار •

(٣) كذا في ت ، وفي ل : « أينما أدركه الليل نام بغير غطاء ولا وطاء ، ولا يلقي جنبه على الأرض » •

(٤) إضافة من : ت •

(٥) كذا في ت ، وفي ل : تألفه •

(٦) إضافة من : ت •

(٧) كذا في : ل ، وفي ت : النار •

(٨) ساقطة من : ت •

(٩) كذا في ت ، وفي ل : « لغلبة الجذب عليه » •

(١٠) إضافة المحقق •

(١١) إضافة من : ت •

(وكانت الرجال والنساء غالبا يعتقدونه ، ويبذلون له النذورات، و)[1] يبالغون في اعتقاده والتبرك به[2] ، (ويزورونه حيث توجه)[3] ما اجتمعنا برجل اجتمع به إلا أخبرنا عن مكاشفاته ومناقبه المرات المتعددة[4] .

[5] وكان ذا جثة كبيرة سمينة ، كبير العينين ، الى البياض أقرب . معتدل القامة ، لم يتزوج النساء قط . وكان في البلد من العلماء وغيرهم من ينكر عليه، إلا أن الأغلب على اعتقاده، لما شاهدوا منه من المكاشفات والأمور الخارقة للعادات . ذكره الشيخ الحنبلي في تاريخه ، وكذلك ذكره الشيخ الوالد في تاريخه ، وأثنى عليه كل منهما خيراً . أما الوالد فلقد كان من أكبر محبيه ومعتقديه ،[6] ويلازم زيارته ، ويقبل أياديه. حتى قال لي : يا شيخ وفاء[7] ، ما رأت عيني في الكشف والأخبار عن الغائبات مثل الشيخ أبي بكر . وما رأت عيني ولياً مرشداً على الكتاب والسنة والتصرف في القلوب مثل جدك أحمد القصيري[8] .

[9] وجرت له معه وقائع كثيرة وأحوال عجيبة ، لم يذكر في تاريخه

---

(١) الجملة في ل مضطربة ، والصواب ما ذكرناه في : ت .
(٢) ساقطة من : ت .
(٣) إضافة من : ت .
(٤) ساقطة من : ت .
(٥) حتى الرقم التالي إضافة من : ت .
(٦) حتى الرقم التالي ساقطة من : ل .
(٧) يقصد : يا شيخ أبا الوفاء . وكثيراً ما يسقط الناسخ كلمة « أبا » من اسمه .
(٨) انظر ترجمته بعد .
(٩) ساقط من : ل حتى الرقم التالي .

شيئاً منهـا ، لكن ذكـر ذلك إجمالا • وأفرد له الشيخ أحمد الحمامـي الحموي تأليفا في مناقبه ، واستطرد الى ذكر بعض الكاملين كذكر الشيخ الوالد ، سماه « أعذب المشارب في الفضائل والمناقب »[1] •

[2]ولقد زاره علي أفندي بن سنان أفندي حين كان قاضياً بحلب ، فخرج إليه بالعصا ، وأراد ضربه فرجع القاضي • ثـم اجتمع والدي بالقاضي فندَّمه عنده • فقال الوالد : الشيخ أبو بكر لا يضرب أحداً إلا ناله الخيرُ الكثير • وجربتُ ذلك •

ولقد رأيت في ما ألفه الشيخ أحمد الحموي أنـه قال لوالدي[3] : « يأتيك مولودٌ ذكر بعد موتي فسمِّه باسم أبي ، أي بأبي الوفـاء[4] ، ويحصل من ذلك المولود خير » • وكنت الفقيرَ الحقير ذلك المولود• ولقد زاره أيضا حسن باشا بن محمـد باشا الوزير الأعظم • وكـان حسن المذكور أمردَ حسن الصورة جداً • وكان ولاه أبوه إمارة الأمراء بحلب، فخرج لزيارته• فوضع الشيخ أبو بكر يده على كفل الباشا وقال : أنت تصلح لكذا ، بعبارة لا يليق ذكرها • فغضب الباشا وأراد قتله • فقال له الحاضرون : هذا من أولياء الله تعالى ، إن قتلته هلكت • فتركه •

[5] أخبرني الشيخ الوالـد أن أخاه الشيخ أبـا بكر[6] سافـر الى

---

(١) ذكره إسماعيل باشا في « إيضاح المكنون » وسماه « أعذب المشارب في السلوك والمناقب» لأحمد الحموي (ت ١٠١٧) • وقال : « في شرح منظومته المسمى بتزويد الأرواح »•

(٢) النص من : ت ، وفي ل مضطرب التعبير ، وما بعده جاء في ل •

(٣) جاء في ختام الترجمة في ل مختصراً ، وذكر أنه « رأيت في كتاب جمعه المحبون •• » •

(٤) هذا دليل على أن اسم المؤلف « أبو الوفا » وليس محمداً ، وانظر تعليقنا في المقدمة •

(٥) الخبر من : ت ، وساقط في : ل •

(٦) عم المؤلف •

قسطنطينية ، وأبطأ خبره • فذهب إليه مكلماً له في نفسه : كيف حال أخي ؟ فقال له : لا إله إلا الله ، ماتت أبو بكر • فخرج الوالد باكيا متغيراً • قال له بعض التلامذة : هذا مجنون لا يُعبأ بقوله • قال : اسكتوا ، أو : أنا أعلم • فبعد شهر قدم الشيخ أحمد الكواكبي[1] وأخبر أن الشيخ أبا بكر مات في قسطنطينية •

(٢) وأخبرني الشيخ الوالد أنه زاره مرة فوجد الحاج محمود بن حُميد يسلم عليه ، فانه كان قدم من بلاد الروم ، وقد أهدى للشيخ أبي بكر طاقية فقراء منلاتكار[3] المسماة بالمدلوكة ، ومعها أشياء كثيرة من تحف الروم ، فلبس الشيخ أبو بكر الطاقية ، ووضعها على طاقيات متعددة ، حتى بقيت هيئته غريبة ، ثم ألقى جميع الهدايا في النار فاحترقت • فقال بعض فقرائه : يا سيدي أعطني هذه الطاقية ، فانني لا طاقية لي • فقال : اسكتي فأنت ما تعرفين تـعبي على هذه الطاقية ، جئت بها من وراء قونية •

ثم إن الوالد خرج فتبعه الحاج محمود ودعاه الى منزله للضيافة • فسأله الوالد عن سبب الطاقية فقال : جئنا قُبيل قونية الى واد ، فخرجت[4] اللصوص علينا • فاستغثتُ بالشيخ أبي بكر ونذرت له طاقية • فاذا بصوت عظيم ملأ الوادي ، وهو صوت الشيخ أبي بكر • فحين سمع اللصوص الصوت ولوا منهزمين • فاستحييت أن آتيه بطاقية فقط ، فضممتُ إليها ما أحرقه •

---

(١) ذكره آ ت •
(٢) الخبر من : ت ، وساقط في ل •
(٣) منلاتكار : أي عمل منلا وهو الشيخ •
(٤) في ت : خرجت ، أضفنا الفاء لربط الجملة •

[1]وأخبرني أنه قحط مطر ، فأمر علي أفندي والدي بالخروج الى الاستسقاء فصبّره الوالد وقال : إن شاء الله يرسل الله المطر . وإذا استسقينا بشهر القحط ترتفع[2] الأسعار . فسمع القاضي منه . ثم خرج الشيخ الوالد للشيخ أبي بكر يستنجده في طلب المطر ، فقبل أن يصل الوالد قام الشيخ من مكانه وتوجّه من غير طريق الوالد الى مزار الشيخ بَيرم ، ووقف عند المزار ، وقرأ الفاتحة مرتلة مرتبة ، مخالفاً لعادته ؛ فانه كان يقرؤها غير مرتبة ، ثم قال : « اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً .. » الى آخر الدعاء المأثور . وجماعة الشيخ لا يعلمون ماالداعي . ثم رجع فوجد الوالد . فاشتد غضبه حتى تكدر أهل المجلس . فلم يستطع الوالد أن يقول له في الباطن مطلبه .

ثم أراد الوالد المسير فزجره وقال : اقعدي . ثم تفجرت عيناه غضباً ، واحمر وجهه . والشيخ الوالد يريد القيام وهو يصده . ثم بعد زمن طويل خرجت سحابة صغيرة هطلت مطراً غزيراً . فأخذ الشيخ يرقص ويصفق[3] . ثم قال للوالد : برد خاطرك ؟ قومي عنا . فأخرج الوالد في شدة المطر حتى غرقت ثيابه .

وأخبرني الشيخ عثمان الزيني أنه مر على مسجد الشيخ أبي بكر ومعه ابنا الشيخ زين . فقالوا : حتى نزور الشيخ (ونشتهي عليه جَبَسا ، يعني البطيخ الأخضر)[4] . فقال أحدهم : اتركوا عنا هذا

---

(١) الخبر ناقص في ل ، نقلناه من : ت .
(٢) في الأصل : فترتفع .
(٣) وفي ل : يصعق ويقول : آه آه .
(٤) ساقط من : ل .

المجنون • ثم غلب رأيهم على الدخول • فأطرق الشيخ مليا ثم قال لمن نسبه الى الجنون : هاتِ الجبسة • فتناولها وأمره أن يقطعها ويطعم الشيخ عثمان قطعة وله قطعة واحدة • (وقال له : أنت لا تأكل أبدا منها • فاستعمله في حزها ونهاه عن أكلها)[1] •

وأخبرني الشيخ يوسف الأنصاري[2] أنه سلط عليه علي باشا بن الوَند سبعاً جائعا • فدخل إليه وفرّ الناس من حوله • فثبت الشيخ ولم يتغير حتى قعد السبعُ في حجر الشيخ • (فأعطى بعض دراويشه دراهم ثمن معاليق وثمن حلاوة • فجيء بهما ، فأعطى الحلاوة للأتباع[3]وأطعم المعاليق للسبع • حتى كان الشيخ يلقّم السبع المعلاق من غير مبالاة به)[4] • ولم يؤذ الشيخ أصلا ، ولم يضطرب له الشيخ أبداً •

وأخبر جمال الدين[5] خادم الجامع الكبير[6] أنه كان صغيراً يعتقد الشيخ « وكان مصلياً يحب الصالحين)[7]، وكان لجمال أخ يشرب الخمر، وينكر على الشيخ ، ويضرب أخاه حين يذهب الى الشيخ • فذهب أخو جمال ليلة لمحلة النصارى ليشرب الخمر ، وأخذ أخاه معه • وكانت ليلة

---

(١) ساقط من : ت ، إضافة من : ل •
(٢) هو يوسف بن أبي بكر الأنصاري عم والدة العرضي ابن بنت شيخ الإسلام ابن الحنبلي• ترجمه الشيخ محمد العرضي (أخو المؤلف) • وذكر له بضعة أبيات ، ذكرها الطباخ، ولم يذكر سنة وفاته •
(٣) في الأصل : للسباع ، ولم نر صواب الكلمة ، فأثبتنا الأتباع فوق •
(٤) ساقطة من : ت • والإضافة من : ل •
(٥) الكلمة اضافة من : ل •
(٦) الكلمة اضافة من : ل •
(٧) إضافة من : ل •

مقمرة . فبعد العشاء ، وقد أغلقت الأبواب ووضعت الكؤوس (خرج ليبول)[1] . فاذا بالشيخ معلق على جدار الدار الذي لا يُصعد إليه إلا بسلالم متعددة ، (والدار داخل زقاق ، لا يمكن الوصول إليها خوفا من الشوباصي[2])[3] ، فصعق بجماله وقال : لا تشرب الخمر . فرجع جمال فزعاً ، فقال له أخوه : الله أعلم تزعم أن شيخك جاءك ! قال : قم وانظر . فخرج فوجد كما قال أخوه . فتاب الى الله (حينئذ وأناب)[4] .

وأخبر جمال الخادم أنه (زارَه مرة) فأعطاه الشيخ قميصه وقباءه[5] وقال : اجعل هذا قمصانا وسراويل لأولادك . فقال جمال ، وكان إذ ذاك غير مزوج قال : يا سيدي مالي أولاد . فضربه الشيخ بالعصا وقال : تكذبين وأنا أسمع أصواتهم . (قال بعض الحاضرين : خذها من الشيخ ، إن كان لك أولاد أو لم يكن . قال جمال : أخاف الكذب على الشيخ)[6] . فأخذها جمال وعزم أن يجعلها كفناً له إذا مات ، ووضعها في حشو مخدة ، ثم نسيها . فمضت عليها مدد[7] ، فتزوج جمال وجاءه أولاد ، ونسي تلك . فطلبت منه زوجته القمصان[8] لأولاده ، فقال :

---

(١) إضافة من : ل .

(٢) الشوباصي : تعادل مرتبة حاكم المدينة . رسمها الطباخ « سوباشي » (إعلام النبلاء : ٢٠١/٣) . ويكون من كبار الضباط ، ويكون تعيينه من قبل الوالي . ولفظها أهل حلب فيما بعد « صوباشي » (موسوعة حلب : ٢٣٨/٣) .

(٣) إضافة من : ل .

(٤) إضافة من : ل .

(٥) كذا في : ت ، وفي ل : قميصا ودراعة .

(٦) ساقط من : ت ، إضافة من : ل .

(٧) وفي ل : أعوام كثيرة .

(٨) وفي ل : الكسوة .

ما معي شيء ، عسى الله أن يفتح لنا • (فاستمر مهموماً عدة أيام لأجل أولاده ، فدخل يوما)(١) فوجد على أولاده قمصانا جديدة • قال : من أين لكم ذلك ؟ قالت الزوجة/ : غسلت المخدة ونزعت حشوها لاصلاحه فوجدت قميصا وقباء من خام • فبكى جمال ، وتذكر كشف الشيخ •

٧

(٢) وأخبرني الشيخ أحمد بن راضي أنه كان متوليا على « الكيزوانية » •وكان رجل من ذرية الشيخ الكيزواني ينازعه في وقفها • فسافر الى قسطنطينية ليأتي ببراءة تتضمن عزله • فتوجه للشيخ ، وشكا إليه في نفسه • فقال الشيخ : يموت ابن الكيزواني ، ويُدفن عند عين الماء تحت الجوزة • فبعد مدة سمع الشيخ أحمد موته • وسافر بعد مدة طويلة الى قسطنطينية ، فنزل بقرية فيها فقراء الكيزواني ، ثم قال بعض فقرائه : مات ابن الشيخ عندنا ، قم حتى تزور قبره • فقام فوجده مدفونا عند عين ماء تحت شجرة الجوز •

وأخبرني الشيخ محمد بن الموقع أن ابن عمه جاء الى حلب لتحصيل أوقافه، وأرسل الى دمشق يستأذن والده في السفر الى قسطنطينية، ليجعل له في الجبُول عشر قطع • فأرسل والده إليه : لا تذهب إلا أن يأذن لك الشيخ أبو بكر • فتوجه إليه فقال الشيخ : لا تذهب تموت ، والعشر قطع تأتي الى خدمتك • وكان حينئذ العشر قطع لا تحصل إلا بالتعب العظيم • فقال في نفسه : كيف تأتي العشر قطع وأنا لا أتوجه الى قسطنطينية ؟ فقدّر الله عز وجل أن قريبا له كان في قسطنطينية سمع أن المذكور يأتي الى قسطنطينية لأجل أخذ عشر قطع • فسمى ذلك الرجل •

---

(١) إضافة من : ل •

(٢) الخبر ساقط من : ل •

فيسّر الله العشر قطع . فكتب له مكتوباً بالا تأت ، وأنا كفيتك مهمّك . وقدّر الله أن المذكور سافر الى قسطنطينية من جهة وجاءت براءة القطع من جهة ، فمات في قسطنطينية ، وقيدت له بالملاقة .

[1]أخبرني الشيخ الوالد أنه ضاقت معيشته ، فأراد السفر الى دار السلطنة ، ليتولى منصب القضاء . فذهب واستشار الشيخ حسين الفتال، وذكر له ظاهراً قال له: لا أنت تصير شيخ الاسلام في هذه البلدة ، وتحشر يوم القيامة في زمرة الأنبياء ! وإذا صرت قاضيا يقع منك ظلم ، وتصير يوم القيامة تحت لواء الملوك . قال : فتوجهت الى صاحب الترجمة ، وعرضت الخاطر على ضميري ، فقال لي كشفا : هذه مجنونة ، تريد نعملها باشا ، تقول لنا : اعملوني محضراً . وزجر الوالد عن الخاطر . وكان الجبل المدفون فيه كله أحجار وأحطاب . ولما مات ودفن هناك كانت الصدقات والنذورات والاحسانات تأتي جماعته كالأمطار . وكانوا لا يصلون ولا يصومون ، ولا يعرفون الطين من العجين . فببركات الشيخ غرّم إسماعيل آغا محافظ القلعة مالا جزيلا حتى جاء بالماء . ولم تزل أرباب الدول يعمرون ويبنون حتى صار مزاراً ، لا يوجد له نظير في بلاد الاسلام . قال الوالد : الدعاء عند قبر الشيخ أبي بكر مستجاب . جربناه[2] .

وبالجملة مااجتمعنا بأحد وجده غالباً إلا أخبرنا عن كشفه ومناقبه .

مات سنة إحدى وتسعين مئة في ربيع الثاني . وصارت له جنازة حافلة . وحمل الأكابر نعشه . وقبره الآن مشهور .

---

(١) الخبر في : ل ، وساقط من : ت .
(٢) الكلمة إضافة من : ت .

٢ ـ أبو بكر بن شيخ الاسلام عبد الوهاب بن الشيخ العلامة إبراهيم العرضي

عمي شقيق والدي . مشيد دعائم الفضل بعد انصداع شعوبها ، وسباق الغايات في الكمال ، يجمع أشتاتها بعد افتراق ضروبها . ثمرة غصون مورقة، وذخيرة أيام مشرقة، وفرع أصول دوحة سقيت من المجد، ومدت ظلالها على حدائق الصدارة والسعد[١] . وسليل (أقوام وردوا مناهل)[٢] الفتوى ، (ورضعوا أخلاف[٣] الدين والتقوى) ، وتضلعوا من مشارع العلوم حين ارتووا من شربها . جد في إبان[٤] التمييز ، فاستظهر كل مطول ووجيز .[٥] وجد جواد فهمه في بيداء التعلم والتعليم . واقتحم كورد العقبات بعزائم التفهم والتفهيم .

الى أن بزغ هلاله ، واعتدل كماله . وطار ذكره ، وصدق فجره . فصار موقف البيان، ومرجع الأعيان . ترتفع في المباحث أخلافه، وتدار على الأذكياء سلافه ، لا ينكر برهانه ، ولا يثني عنانه ميزانه . (درس وأفتى ، ومهر في فنون شتى)[٦] .

---

(١) الى هنا ساقط من : ل .

(٢) كذا في : ت ، وفي ل : « قوم كرعوا من عباب » .

(٣) الخلف : حلمة ضرع الناقة ، جمعها أخلاف . وساقط من : ل .

(٤) في ل : أيام .

(٥) حتى آخر المقطع ساقط من : ل .

(٦) ساقط من : ل .

(قرأ في فنون العلوم على مشايخ متعددة)[1] ، فلازم والده في (العلوم الشرعية والعربية)[2] كالمنهاج وشرحه للمحلي[3] ، وشرح المنهج . وفي النحو كالألفية وشروحها ، وسمع الكتب الخمسة ، وأجازه والده فيها . وقرأ (برهة من الزمان في المنطق والفلسفة)[4] على العلامة المنلا[5] مصلح الدين اللاري (كشرح « الهداية في الحكمة »[6] و « شرح الشمسية في المنطق »)[7] ، وعلى العلامة (الشيخ الرضي)[8] ابن الحنبلي ، وعلى الشيخ محمد بن مسلم المغربي ، (وعلى الجمال بن حسن ليه)[9] .

---

(١) ساقط من : ت .

(٢) كذا في : ل ، وفي ت : الشرعيات .

(٣) منهاج الطالبين في فروع الشافعية للإمام النووي ، شرحه عدد من العلماء ، منهم الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، المتوفى سنة ٨٦٤ . سماه « كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين » (كشف الظنون : ٢/١٨٧٣) .

(٤) كذا في : ل ، وفي ت : في المعقولات .

(٥) المنلا : الشيخ ، أصلها « المولى » العربية .

(٦) هداية الحكمة لأثير الدين الأبهري (ت في حدود ٦٠٠) . ومن شارحيه مصلح الدين محمد بن صلاح اللاري (ت ٩٩٧) (كشف الظنون : ٢/٢٠٢٩) ، وأخطأ الزركلي فقال (ت ٩٧٩) . وفي شذرات الذهب (ت ٩٦٧) .

(٧) إضافة من : ل .

(٨) إضافة من : ل .

(٩) إضافة من : ت . وهو يوسف بن عمر الشيخ جمال الدين الحلبي الشافعي المشهور بابن حسن ليه . ولد سنة ٩٠١ . اشتغل على شيوخ عصره، ثم ترك التدريس واشتغل تاجراً بسوق البسط . شرح قصيدة ابن الفارض الطائية . توفي سنة ٩٧٩ . ـ إعلام النبلاء : ٦/٧٦ .

وأفتى (بحلب على مذهب الامام الشافعي)[1] بعد موت والده (مع وجود الأساطين من الأئمة الشافعية[2]، وكان عمره نحو[3] خمس وعشرين سنة . (وكان يكتب الخط الحسن . وظهرت له الفتاوى الحسنة ، وانتشرت مع وجود أعيان العلماء ، كالشيخ ناصر العَزازي والشيخ جمال الدين بن حسن ليه ، والبدر)[4] حسين النَّصيبي[5] .

وكان يتوقع البدر أغاليطه ، فلم يظفر سوى بجواب واحد ، أخذ البدر وشنع عليه فيه /، حتى رجا من الشيخ أبي الجود البتروني[6] ٨

---

(١) إضافة من : ت .

(٢) إضافة من : ل .

(٣) ساقطة من : ل .

(٤) إضافة من : ت . والجملة الأولى مذكورة في : ل ، قبل الشعر .

(٥) ذكره الحنبلي من وفيات سنة ١٠٠٠ وهو عنده بدر الدين حسين بن عمر بن محمد النصيبي الشافعي . أخذ النحو والصرف عن العلاء الموصلي والفقه عن البرهان التسيلي والبرهان العمادي . رحل الى حماة وغدا من مريدي الشيخ علوان وزوّجه ابنته . كان إماما عالما شاعرا . ونصيبين : مدينة كانت عامرة في الجزيرة السورية ، واليوم هي بليدة شمال شرقي حلب على الحدود .
   - شذرات الذهب : ٨/٤٤٢ .
   - معجم البلدان : نصيبين .

(٦) هو أبو الجود بن عبد الرحمن بن محمد البتروني (نسبة الى البترون) الطرابلسي ثم الحلبي الشافعي . كان أبوه واعظ حلب ، وكان مفتي حلب . قدم مع أبيه الى حلب ٩٦٤ . توفي سنة ١٠٣٩ ، وقد ناهز التسعين ، ورثاه الشعراء .
   - الكواكب السائرة : ٣/١٦٣ .
   - تراجم الأعيان : ١/٢٦٠ .
   - خلاصة الأثر : ١/١١٤ .

أن يحتال عليه في أخذها[1] . وكان الشيخ أبو الجود صاحباً له . فقال له : اكتب (جوابا صحيحا)[2] على نمط ورقة ذلك الجواب (لعلي أحتال وآخذ الفتوى)[3] . ففعل . فحضر[4] الشيخ أبو الجود عند البدر [النصيبي][5] ، فذكر له أغلوطة الشيخ أبي بكر ، وناوله الورقة . فغافله ووضع (الصحيحة موضعها)[6] . (فالتهى البدر عن ذلك)[7] ، ثم بعد مدة حضر الشيخ أبو الجود عند البدر ، فأعاد الكلام، (فذكر للناس ذلك)[8] . فقال له[9] : يا مولانا الشيخ أبو بكر فقيه عظيم[10] ، (لا تعجلوا في تغليطه)[11] ، فكرروا النظر . فأخذ[ها][12] وتأملها . فوجد الجواب حسنا ، (ثم أخرج النقل وبيّنها)[13] .



(1) وفي ل : « في سرقة الفتوى » .

(2) وفي ل : « فتوى صحيحة » .

(3) ساقطة من : ل .

(4) وفي ل : « فلما زاره » .

(5) إضافة المحقق للتذكير .

(6) وفي ل : « تلك التي كتبها » .

(7) إضافة من : ت .

(8) إضافة من : ل .

(9) يعني : قال الشيخ أبو الجود .

(10) الكلمة ساقطة من : ل .

(11) ساقطة من : ل .

(12) إضافة المحقق .

(13) إضافة من : ل .

(وكان البدر يأكل الكيف[1] . فقال : سبحان الله غلطناه وأخطأنا، لا تغلط أخاك بغير حق ، فيغلط ابن أخت خالتك . ومن نظمه :

ومحبوب تمنّع حين لاح ال   عِذار بخده الزاهي الشريقِ
فقلت لـه : عذارك يا حبيبي   زُمرّدة علـى لـوح عقيقِ

(ومن نثر الشيخ أبي بكر أيضا جواب لغز في خاتم)[2] سأله عنه الشيخ محمد سكيكر خطيب العادلية[3] ، فقال:« يا واسطة عقد الفضلاء وخاتم نظامهم ، بدرر ألفاظه اليتيمة . ويا ذخر العُفاة وحاتم العطايا العميمة ، أزح سيدي نقطة الغين عن حائم بفكري ، مشاهد بالعين ، جاثم لا يبرح من سويداء صدري . ما ذكرته إلا ذرف عقيق)[4] الدمع يجري . عمل فيه أخف العناصر وأحرُّها ، وعقدت عليه الملوك بالخناصر ، إذا أحكمت به أمرها ، (منتهى عدة حروفه من مراتب الحساب مرتبة عشرات الألوف ، ومجموعها يدل على حضرة النبي

(١) إضافة من : ت . والكيف : نوع من الحشيش .
(٢) ساقطة من : ل .
(٣) جامع العادلية كان في السفاحية على تلة معروفة بتلة عائشة . وهو من الجوامع المظيمة في حلب ، والجامع مؤلف من قبة واحدة واسعة وعظيمة ، متقن البناء . اشتهر بخطبائه . بناه محمد باشا بن أحمد باشا في حدود ٩٦٣ ، واشتهر بهذا الاسم لأنه كان يقع في جوار دار العدل التي هي دار الحكومة. قريب من خان البرغل (المعروف اليوم) .
ـ نهر الذهب : ١١٢/٣ .
ـ إعلام النبلاء : ٢٠٧/٢ .
(٤) وفي ل : « عطل عتيق » .

المخصص بالمعجزات والموصوف • إن صُحف دل في بعض اللغات على الروح• وإن حذفت الأخير منه بعد هذا التصحيف استعدت منه بالقدوح السبوح)[1] » •

أجابه الشيخ أبو بكر : « لك الحمد يا من ختم لنا بصالح الأعمال ، وزين المنطق ببدائع البيان عند أداء المعاني وبلغة الآمال • وأصلي على أفضل من حاز قصبات السبق في مضمار البلاغة وجاز • وكان هو الحري بكل كمال على الحقيقة دون المجاز » •

الى أن قال : « فيا من زيّن نسج الطروس بحسن بيانه ، ونسج عقود السطور على منوال صفائح الصحائف ببنانه • قد وفقني الله للوقوف على بدائع ما ألغزت ، وغرائب صنعك ما أضمرت منــه وما أبرزت • فلهج لساني عند ذلك لله شكراً ، ومالت الأعطاف عنـد سماع ألفاظك تواجداً وسكراً • وتذكرت عند ذلك القول : إن من البيان لسحراً »[2]•

وألغزه الشيخ أبو بكر فقال:«ما اسم شيء تحرك نغماتُه السواكن، ويذهب ثلثا عمره وهو حزين ساكن ، إن صُحف شطره دل على فـرح وسرور، وتراه لعظم شأنه نديم المخدرات في القصور• وإن صحف شطره الثاني فهو من رتب كثيب • وهو مع ذلك مع أبناء جنسه فصيح لبيب • (وشطره من غير ريب من الظروف ، وتنظر إليه عياناً وهو مظروف • وإن صحفت شطره كان عبـداً ، وعنـد تمامه ذا جناح يألف الطـيران فردا ؟)[3] » ثم أطال •

(١) إضافة من : ت •
(٢) المقطع كله ساقط من : ل •
(٣) إضافة من : ت •

فأجابه سكيكر : « الحمد لله الذي أقام عندليب الخال خطيباً برياض الخدود على منابر قامات الأغصان ، (مردداً ذلك المغني سجعا يزري معناه بالمغنى محركا سواكن اشتياق وليّ الأشجان)[1] » ، وأطال .

وله شرح على « قواعد الاعراب »[2] ، وشرح « الفتاوى » جعله كالمتن ، وشرح « الأجرومية »[3] .

توفي غريبا في قسطنطينية ، سنة أربع وثمانين وتسعماية ، وعمره أربعون سنة . (وكان تولى تدريس السلطانية عن العلامة الحسين النصيبي)[4] . قال الشيخ أحمد العناياتي[5] مؤرخا موته :

قد قضى الشيخ أبو بكر	العالم مغفور ...[6] الذنوب
نازح الدار غريباً ، هكذا	جاء عن سيدنا الهادي الحبيب
ما أرى الشهباء تبدي مثله	كأخيه عمر الحبر[7] الأديب
يا نجيباً قلت في تأريخه :	رحمة الله عليه من نجيب

(١) إضافة من : ت .
(٢) اسم الكتاب « الإعراب عن قواعد الإعراب » لابن هشام (ت ٧٦٢) ، وهو مختصر مشهور بقواعد الإعراب .
(٣) الأجرومية في النحو لابن آجرُّوم محمد بن محمد الصنهاجي (ت ٧٢٣) . وهو من علماء فاس . اشتهر برسالته الأجرومية ، وهي بلغة القبائل تعني « الصوفي » . وهي مطبوعة طبعات عديدة (أسماء الكتب : ١٢٤) .
(٤) ساقط من : ت .
(٥) هو أحمد بن أحمد بن أبي العنايات بن عبد الرحمن العناياتي . أصله من نابلس في فلسطين ، ومولده في مكة . رحل الى دمشق والحجاز والقدس وحلب واستقر بدمشق . نظم في جميع طرق الشعر . توفي سنة ١٠١٤ بعد أن تجاوز الثمانين .
— تراجم الأعيان : ٩٢/١ .
— خلاصة الأثر : ١٦٦/١ .
— آداب اللغة : ٢٩٤/٣ .
(٦) كلمة ساقطة ، موضعها بياض في النسختين .
(٧) كذا في : ت ، وفي ل : المورهلي .

٣ ـ أبو بكر بن الشيخ محمد بن شيخ الاسلام إبراهيم العمادي الشافعي العباسي

سبط (جد والدتي)[١] الشيخ الولي القطب الشيخ أحمد بن عبدو القصيري الخلوتي[٢] • ذو أخلاق تعلَّم من لطفها النسيم ، ومحاسن ذات وصفات من آدابها المعوج يستقيم (واهتزت قدود الأغصان للطرب من دماثتها عطفاً ، وسقى خلانه من خندريس[٣] وداده صرفا)[٤] • غصن دوحة[٥] مغدقة ، وثمرة أفنان مورقة • وشذره من معادن الأذكار والتقوى ، ودره من بحار[٦] العلم والفتوى • واسطة عقود محافل الذكر والتوحيد ، ورابطة قلائد محاضر الصلاة والسلام على السيد المجيد •

اشتغل في مبادىء عمره على الشيخ الوالد ، وعلى شقيقه الشيخ شمس الدين (الآتية ترجمته مدة طويلة)[٧]، فلم يحصل على طائل[٨]، / (ثم قنع برتبة خلافة الذكر عن والده وأخيه ، فكان يجمع الفقراء ليلة الجمعة ، وفي العشر الأخير من رمضان على قراءة سور من القرآن ، والصلاة على النبي ﷺ • والذكر بعد ذلك بالألحان ولهجة القادرية ، وقراءة أواخر البردة ، أو قراءة المضرية بعض الليالي)[٩] •

٩

---

(١) إضافة من : ت •
(٢) ساقطة من : ت •
(٣) الخندريس : الخمرة القديمة ، والكلمة يونانية •
(٤) إضافة من : ت •
(٥) وفي ل : « فرع سرحة » •
(٦) وفي ل : عباب •
(٧) ساقط من : ل •
(٨) وفي ل : « فحصل شيئا قليلا » •
(٩) إضافة من : ت •

(وكانت مدرسة العصرونية[1] بيد أجداده ، حتى وصلت إليـــه ، فجعلها مشيخة)[2] .

وكان يخرج أمام الجنايز ، فلما كثر ماله ترك ذلك . وكان يجتمع في مجلس ذكره الأعيان والأكابر ، وحظـي بالمجالس الحافلة . وكـان متواضعاً لينا ، حسن الأخلاق ، طيب الأعراق[3] .

ثم قُبيل موته حضر الشيخ علي الهلالي الدمشقي ، ومعه وقفيات متضمنة أن نور الدين الشهيد[4] وقفها على ابن أبي عصرون[5] جده ، الذي كان من أعظم الفقهاء الشافعية، ووقف عليه مدارس متعددة. ففي

---

(1) كانت في البدء داراً لأبي الحسن علي بن أبي الثريا وزير بني مرداس فانتقلت الى نور الدين (الآتي) فجعلها مدرسة سنة ٥٥٠ . سميت بالعصرونية لأن ابن أبي عصرون أول من درس بها . بلغ عدد فقهائها في القرن التاسع فوق المئة . كانت تقع في الفرافرة جنوبي جامع الحيات قريبة من خان الوزير خربتها الأوقاف سنة ١٣٤٣ (إعلام النبلاء : ٤/٢٨٢) .
ـ نهر الذهب : ٣/١٤١ .

(2) ساقطة من : ت .

(3) المقطع ساقط من : ل .

(4) هو محمود بن زنكي بن آقستقر ، نور الدين الشهيد والملقب بالملك العادل . ملك الشام والجزيرة والموصل ومصر . ولد في حلب ٥١١ وتسلم إمارتها ٥٤١ بعد أن استقل عن السلاجقة . حارب الصليبيين واعتنى بالعلم وأهله . مات بدمشق سنة ٥٦٩ وقبره مزار معروف . أخباره في : كتاب الروضتين .
ـ الكامل : ١١/١٥١ ، وأشهر الكتب التاريخية .

(5) من سكان سنجار . استدعاه نور الدين الى حلب ليدرس في المدرسة التي بناهـا . وبنى له نور الدين مدارس في منبج وحماة وحمص وبعلبك ودمشق ، وفوض اليه أمر تكليف من يدرس بها . وما زال في دمشق حيٌ (في السوق) يدعى العصرونيـة نسبة اليها (إعلام النبلاء : ٤/٢٨٢) .

الحال من غير مخاصمة سلم له التدريس ، ولم يعانده • ثم مضت مدة قليلة مات الشيخ أبو بكر ، وبعد سنوات قليلة مات الشيخ علي وخلّف ابنا أعمى ، فأخذ المدارس أفاضل الحلبيين[1] •

وأمه خديجة بنت الشيخ أحمد القصيري بغير واسطة • توفي سنة أربع وثلاثين وألف • ودفن في مقابر الصالحين[2]، بجانب أجداده[3] •



(١) المقطع ساقط من : ت •

(٢) ما زالت المقبرة معروفة •

(٣) الكلمتان ساقطتان من : ت •

٤ ـ أبو بكر الأرمنازي(*)

من قرية أرمناز من أعمال حارم[١] . ليس من حومة[٢] هذا الميدان، ولا ممن ينتظم في عقود تلك الجواهر[٣] والعقيان ، (ولا له فيما تكلف من الأعمال يدان)[٤] . (ولا ممن تطرز به حلل هذه الصحيفة ، ولا ممن يُذكر بالمآثر الشريفة)[٥] . (هو الساعي على حتفه[٦] بظلفه ، والجادع[٧] بيده مارنَ أنفه)[٨]، ولكنه من البُغاث المحاول أن يستنسر[٩] ومن البائل في بئر زمزم ليذكر ويشتهر .

مدع بما ليس فيه ، مُبطل فيما يدعيه ، حتى قُصت قوادمه ، وهدت دعائمه ، ونتفت أجنحة عدوانه[١٠] ، وطفئت نيران طغيانه ، (وألقته في شباك الهلاك سقطة مقالاته)[١١] .

---

* قتل في حلب سنة ١٠١٨ ، فقد شهدت عليه جماعة بالكفر ، فضربت عنقه تحت القلعة، كذا في نهر الذهب .

(١) جاءت الجملة في : ل بعد أسطر .
(٢) في ل : فرسان .
(٣) في ل : الفرائد .
(٤) ساقطة من : ت .
(٥) ساقطة من : ل .
(٦) الحتف : الموت .
(٧) الجادع : القاطع . مارن الأنف : طرفه أو مالان من طرفه .
(٨) ساقطة من : ت .
(٩) مثل مشهور . البغاث جمع مفردها بغاثة . تستنسر : تصير نسراً فلا يقدر على صيده. يُضرب في قوم أعزاء يتصل بهم الذليل فيعز بجوارهم (المستقصى : ١/٤٠٢). أورده الزمخشري مؤنثا .
(١٠) وفي ل : نزهاته .
(١١) ساقطة من : ت .

(كان من أكابـر أرمناز ، ثم)[1] أظهر الجذب ، وحلق لحيتـه ، (وأوقد النار بين يديه)[2] ، وأراد تقليد الشيخ أبي بكـر الوفائي في ذلك ٠ (وكان كبير الجثة ، سمين البدن ٠ له مشابهة بالشيخ أبي بكر ٠ وكان يبذ'ل قِـراه للواردين ، ويجزل عطاياه للوافدين)[3] ٠

وجمع حوله من الزنادقة اللئام ، وترك العبادة والصلاة والصيام ، وتكلم بكلمات أهل الزندقة، وخرق العوايد بأمور شنيعة وأحوال فظيعه[4] حتى يعث الى الشيخ الوالد هدية، وقال له: قم حتى (نزور الكنيسة مقر اليهود)[5] ٠ فسبه الشيخ الوالد وشتمه ، وغضب عليه وأهمله ٠ (ثم بعد ذلك أطال في الأوضاع الخارجة عن المعقول ٠ وعلى ما قيل إنه قال لليهود : أريد أباحثكم مع المسلمين حتى انظر الحقّ مع أي فرقة ٠

وقل المطر في سنة)[6] فهجم على قاضي حارم وضربـه قائلا : إن المطر لا ينزل إلا بضرب قاضي حـارم حسام أفندي ٠ (فادعى عليـه القاضي عند قاضي حلب ٠ فلاجل خاطر صهره الشيخ شمس وضعه في البيمارستان[7] ، بناء على أنه مجنون ٠ حتى أمر القاضي للشيخ شمس الدين أن يعلمه يقول في المحكمة هذيانا ، فعلمه ٠ ومع هذا لـم يقـل

---

(١) ساقطة من : ل ٠

(٢) ساقطة من : ت ٠

(٣) ساقطة من : ت ٠

(٤) الى هنا ساقط من : ل ٠

(٥) وفي ل : الكعبة ٠

(٦) ساقطة من : ت ٠

(٧) اختلط استخدامهم لكلمة « بيمارستان » ٠ فأوردها حينا بمعنى المستشفى الصحي وحينا بمعنى مستشفى المجانين ٠ وصواب المعنى هو الأول ٠ واسم المعنى الثاني هو « تيمارستان » ٠ ان كلمة « بيمار » مريض ، وكلمة « تيمار » مجنون ، و « ستان » لاحقة مكانية ٠

هذيانا · ثم بعد مدة قليلة أخرج من البيمارستان ، فمضت مدة قليلة مرض القاضي فمات · وكان يقول : هذا ببركاتي[1] ·

(ثم بعد مدة تولى كفالة حلب[2] سنان باشا[3] ، وكان من أعظم أتباعه هدايات بيك شقيق علي باشا العجمي كافل حلب سابقاً)[4] · (ثم اجتمع عليه قوم في زمن محمد افندي قاضي حلب المشهور بجشمي ، وكان أخو حسام أفندي رمضان أفندي نائبا بحلب وجماعة من أهل الدولة نحو هدايات بيك ، كان حصل له منه ضرر بواسطة قرية أرمناز ـ أخذها من الميري[5] ـ وكان يصده · وكذلك قريبه الشيخ شمس الأرمنازي الحافظ كان من القائمين عليه ، بعدما كان معينا له · فشهد جمع عليه أنه يشرب الخمر ويترك الصلاة والصيام ، ويقول : إني نبي، وتارة يقول : أريد أن أحكم بين المسلمين واليهود ، أي دين أقوم)[6]، (وتارة قطب · فشهد عليه الحاج محمود بن نصير والشيخ محمد بن

---

(١) إضافة من : ل ·

(٢) الكفالة : الإمارة والولاية · والكافل في اللغة : الضامن ، واستخدمها العثمانيون بالمعنيين ، على أساس أن الامارة تكفل لهم تحويل الأموال ·

(٣) سنان باشا : المعروف بكوجك (الصغير) · هو في الأصل من مماليك محمود باشا المقتول في مصر سنة ٩٧٥ · ثم مراد باشا وزير أعظم للسلطان محمد · عين على كفالة دمشق ثم عزل عنها وأعطي كفالة حلب · حصلت وفاته بعيد ١٠٢٠ · ـ خلاصة الأثر : ٢/٢١٨ ·

(٤) إضافة من : ل ·

(٥) الميري : السجلات الحكومية ·

(٦) إضافة من : ت ·

الشيخ عبد الرحيم السعدي وجماعة بذلك،وأمر النائب بقتله ،والقاضي يومئذ محمد أفندي جشمي امتنع عن سماع هذه الدعوى)[1] .

فأمر القاضي بقتله ، فخرج / وهو يقرأ سورة « يس » من غير اضطراب[2] ، حتى ضربت عنقه تحت قلعة حلب . ثم جيء بالنفط والقطران فحرقت جثته بذلك . (واختلف الناس في شأنه)[3] وأغلب الناس يحدثون عنه بالزندقة ، وقليل منهم من يشهد أنه مظلوم[4] ، وعلمه عند الله تعالى[5] . ١٠

قتل سنة ثمان عشرة وألف .



(١) ساقطة من : ت .
(٢) وفي ل : مبالاة .
(٣) إضافة من : ل .
(٤) وفي ل : « فمنهم من استحسنه ومنهم من استقبحه وزعم أنه مظلوم » .
(٥) ساقطة من : ت .

٥ ـ أبو بكر بن عبـد الله
(الحنفي العلوي)[١]

المغرم في العبادة ، والكلف في الاستفادة، (ذكاؤه يتوقد إشراقاً)[٢]، وأرج شيمته يضوع انتشاقا • نمير مودته لا يتكدر ، ومورد جوده لايتغير ودماثة طباعه تعلمت الصبّا لطفها ، وهزت غادة الألطاف منها عطفها • هزته الأطماع ، ولم تحنكه تجارب الاقتناع • فوضع على عاتقه عصا التسيار ، وقذفت بـه أخطار الأخطار الى قسطنطينية ؛ دار السلطنـة السنية • فأتحف[٣] بغادة ذات أموال ، (نكحها لقرابتها منه مجانا)[٤]، وقابلته بألطف الأعمال، الى أن استطال على أهلها، طالباً منهم جملة مالها • فوضعوا له في الطعام ما سلبه عقله ، (وفارق أهله)[٥] ، (واتخذه بين الكاملين مثله)[٦] • ثم بثّ طلاقهـا ، ونجز[٧] انطلاقها • فرجـع الى بلدته الشهباء بخفي حنين ، وأضحى بألم مصابـه سخين العين • (ثـم استطرد به الحال الى أن رقي درجات الرجال)[٨] •

---

(١) ساقط من : ل •
(٢) وفي ل : « وتتأرج شيمته انتشاقا » • وتتأرج : تفوح •
(٣) وفي ل : فنكح •
(٤) ساقطة من : ل •
(٥) إضافة من : ل •
(٦) ساقطة من : ل •
(٧) نجز الحاجة : قضاها • وفي ل : نجذ •
(٨) إضافة من : ل •

قرأ[1] المذكور على الشيخ الوالد والشيخ أبي الجود والشيخ أحمد الحموي (في مقدمات العلوم)[2] . ثم لازم دروس الشيخ الوالد[3] . فصارت له فضيلة حسنة ، ومعرفة كاملة بطريق القوم ، وتأدب على يد الشيخ أحمد الحمامي[4] وحضر مجالس شكواه الخواطر ، وكان مرة ذهب الى الحج ، فأذن له أن يشكو الخواطر مكانه . (وكان الشيخ أحمد يضربه ضرباً عتيقا ، وهو يصبر ولا ينكدر)[5] . (وشكوى الخواطر تحتاج علما زائداً)[6] .

وكان له قريب[7] ذو أموال غزيرة ، (خلّف بنتاً ، وصار عليها وصيا رجل من أكابر الروم . فزوجه بالبنت حين توجه الى قسطنطينية بغير مهر . وكان الوصي ينفق عليهما أحسن النفقات)[8] . (استولى على مالها ، وأراد أن يطمع على شيء ، ويعطي لصاحب الترجمة شيئاً ،

(1) في ل : اشتغل .

(2) ساقط من : ل .

(3) وفي ل : الشيخ أحمد .

(4) أحمد بن عمر الحمامي الخلواتي الشافعي نزيل حلب . تأدب على أستاذه أبي الوفا العلواني . ترك بلدته حماة ونزل في محلة المشارقة ، وكان يكتسب بالحياكة . توفي سنة ١٠١٧ ودفن بمقام الصالحين . ألف كتابين في الشيخ أبي بكر بن الوفاء .
– إعلام النبلاء : ١٨٤/٦ .

(5) ساقط من : ل .

(6) إضافة من : ل .

(7) وفي ل : « قريبة قاصرة » ، والحديث عنها مستمر .

(8) ساقط من : ل .

فطمع صاحب الترجمة في أخذ الجميع)[1] • ثم طالبه بمالها ، والبنت لا ترضى بذلك • فوضعوا له في الطعام (ما سلب عقله)[2] • (ثم سعوا في طلاقها)[3] •

ثم ورد حلب ، وهو مختل العقل • (فوعظ بين المغرب والعشاء على أسلوب بني البكري ، وأتى بكلام حسن وعبارات بليغة[4] • ثم توجه الى قسطنطينية ، وازداد خلله جداً فلبس الثياب القبيحة ، وتارة لبس الثياب الحسنة[5] • وكان يتكلم بالكلمات التي لا معنى لها ، وتارة يتكلم بكلام حسن •

واعتقده أهل الروم[6] ، وجعلوا له من الصدقات • وأخبر عنه جماعة أنه صار له حالة كشف وولاية •[7] وكان يأتي الحكام ويأمرهم بأوامر ، فيمتثلون تلك الأوامر •

وكان يعطيه المحبون أشياء كثيرة ، فيظهر الحرص عليها ، ويضعها أمانة عند الناس ، ثم ينسى غالبها • حتى حضر إليه ابنه من حلب ، فأعطاه شيئا قليلا ، ثم أمره بالعود الى وطنه • وكان بعض أولاد الموالي

(١) الإضافة من : ل •
(٢) وفي ل : « •• سحراً حتى اختل عقله » •
(٣) ساقط من : ل •
(٤) ساقط من : ل •
(٥) وفي ل : « وكان أحيانا يلبس الثياب الفاخرة ، وأحيانا يلبس ثيابا خلقة مقطعة مرقوعة » •
(٦) وفي ل : القسطنطينية •
(٧) من هنا حتى النهاية ساقط من : ت ، عدا وجوده ووفاته في نهاية الترجمة •

مارأ في الطريق فطلب منه شيئا ، فأخرج له كيسه ، وناوله إياها · قال له : خذوا ما شئتم · فأخذ نحو الثلثين[1] ، وهو أحلى[2] من السكر على خواطرهم ·

وكان يمر أحيانا بدار المفتي يحيى أفندي ؛ مفتي دار السلطنة ، فيشتم المفتي بكلمات قبيحة جداً ، قد تطابق الواقع ، فلا يغضب المفتي ، ويقابله بالرضى والاعتقاد · حتى جاء الى الديوان السلطاني ، وكان الوزير الأعظم بيرم باشا ، وقاضي روم إيلي[3] نوح أفندي ، فجلس بينهما وقال : يا نوح اهبط بسلام ·

وكان يحفظ القرآن العظيم · ومن شعره ، إذ أخبرته أن مولد والدي سنة خمسين وتسعمئة ، وتأريخه « شيخ حلب » فأنشد لنفسه :

أخبرَني مقالة	وصدْقُها لقد وجبْ
نجل الامام شيخنا الـ	ـعُرضيّ عاليَ الرتب
بأنه مولده	تأريخه : شيخ حلب
وهْو حقيقٌ كتْبُه	بلازَورد وذهب

وذكر جماعات أنه كان صاحب كشف وولاية · كان يكتب لهذا الفقير مكاتيب كثيرة ، مالها مضمون · وكنا نتبرك بها ·

(١) ربما هي : الثلاثين ·
(٢) في الأصل (ل) : أصلا ·
(٣) أي عسكر الروم · و « قاضي روم إيلي » أي الحاكم العسكري ·

وهو الآن موجود . وهو رجل صالح فاضل تقي ، لـه فهم حسن ، ونظم متوسط ، ومعرفة بكلام القوم . وبالجملة فلقد كان من محاسن الأفاضل ، أبقاه الله في طاعته[1] .



(١) المقطع ساقط من : ل . وفيه : « توفي تقريبا سنة إحدى وخمسين وألف » !

٦ ـ إبراهيم باشا(*)

الشهير بالحاج إبراهيم باشا

أمير الأمراء بحلب. /دعامة العدل، وزعيم الفضل، (وقسطاس العقل، ١١
أحاط بقطري العلم والعليا، واعتصم بحبلي الدين والدنيا، تثنّى
عِنان اعتنائه في إعانة المحروم، وإغاثة المظلوم. ووجّه أزمّة عزيمته
في نصرة العاجز المسكين، وتفريق كتاب المعتدين)[١]. (وقوام القوانين،
وسيف الشريعة والدين. من أصاخ الى المظلوم فنصره، وأذلّ كل جبار
وقهره. مقامه مثابة للمظلومين بقضّهم وقضيضهم، وزمزم عدله رواء
غليلهم وشفاء مريضهم. ركن مجده مستلم المفهوم، وقواعد بيت مهابته
مرغم الأنوف)[٢].

مهلك نمرود العدوان، وكاسر[٣] أوثان الجور وأصنام الطغيان.
(رافع قواعد الانصاف، خليل الجود والألطاف)[٤]. مذلّ كل متغطرف[٥]،

★ ابراهيم باشا، الشهير بالحاج ابراهيم. كان في مبتدأ أمره طالباً. ثم تدرج في المناصب حتى صار رئيسا لأرباب الدفاتر في القسطنطينية. ثم عزل فلبس خرقة التصوف. ثم سيره السلطان الى حلب ليضبطها. فسار فيها بعدل عمر بن عبد العزيز. ثم عزله السلطان لئلا تحصل بينه وبين الدمشقيين فتنة، وعينه وزيرا له. وكان في منصبه عندما ألف البوريني كتابه.
ـ تراجم الأعيان: ٣١٩/١.

(١) إضافة من: ل.
(٢) ساقط من: ل.
(٣) في ل: ومجذذ. ومجذذ: مكسر.
(٤) اضافة من: ل.
(٥) متغطرف: مختال في المشي.

ومبيد كل جابر صلف · ناشر العدل في الشهباء وضواحيها ، وراغم مارن من يرى النجم تحت ظل أقدامه تيها ·

ولي إمارة الأمراء [١] ، بعدما كان تولى قبل ذلك الأقضية ، وصار دفتردارأ[٢] بحلب · (فحين ولي حلب وجد الظلم عم و)[٣] انتشر سبب عساكر دمشق الذين (أفحشوا في ظلم الرعايا بواسطة الاستخدام)[٤] ، (واستولوا على القرى والبلاد، وعم الفساد · ووجد القرى خالية على عروشها خاوية · فبرزت مراسيمه برفع الظلم ومنع العدوان ورفع الشوباصية · وعين لكل جاويش[٥] بذهب من عنده على المدّعي ثلاثة غروش ، لا تؤخذ من المدعى عليه · وكان قبل ذلك إذا أراد أحد ضرر غيره بعث جاويشاً أخذ الخدمة البالغة)[٦] ثم أظهر أمراً سلطانيا برفع عساكر دمشق عن استخدام حلب ·

فانه كان من قديم الزمان بهم الاستخدام؛ يأتون كل مدة من دمشق، ويتعين عليهم شوربجي · فيجدون منافع حلب ، فيستمرون بها ويأخذون القرى ، ويعطون ما عليها من مال السلطان ، ثم يستعبدون أهلها[٧] · فنادى بموجب الأمر الشريف[٨] أن يخرجوا الى وطنهم دمشق، ولايجلسوا في حلب ·

---

(١) ساقطة من : ل ·

(٢) الدفتردار : رئيس ديوان المالية · يستخدم الفرس والترك كلمة « دفتر » بمعنى الديوان · و « دار » لاحقة بمعنى المالك والصاحب ·

(٣) ساقطة من : ل ·

(٤) إضافة من : ل ·

(٥) جاويش : (كلمة تركية) رتبة عسكرية تعادل الرقيب اليوم ·

(٦) ساقطة من : ل ·

(٧) الى هنا من : ت ·

(٨) الكلمة ساقطة من : ت ·

فخرجوا واجتمعوا[1] بناحية القصير، وشرعوا في نهب القرى وظلم العباد . فبعث إليهم رسولا ينصحهم فلم يعتبروا ذلك ، بل حشدوا أجنادهم ، وجمعوا أعوانهم ، واشتدوا في اغتصاب الأموال ، والاعتصاب بالأبطال ، والاعتصام بالعُدد ، والانتصار بكثرة العَدد . ونشروا ألوية البغي والخروج ، وافترشوا الأقدام واستوطنوا ظهر السروج . قادتهم بحرب البسوس ، وموسم تباع فيه بالمجان جواهر[2] النفوس . (ونار حرب موقدة ، تطّلع على الأفئدة . فأبوا إلا المقاتلة والمقابلة والمجالدة والمجادلة)[3] .

فأقبل بكتيبته الخضراء،وأجناده التي غصب منها أفواه[4] الغبراء. وجرت الرماح جري الرياح . وطارت النبال من أكنّتها ، وكادت الخيل أن تقتلع من أزمتها . (وكشفت قناع الحياء غادة الكفاح ، ومحت آية الليل أنوار الصباح)[5] . فالتحمت الفئتان ، واصطدمت الفتيان . (وسالت الدماء في الأقطار ، وظهر في محك الشجاعة البهرج[6] والنُّضار)[7] . وأسفرت الحرب عن أعمار تباح وأطراف تستباح ، (وأجساد طلقت خود الأرواح ، وأجسام تقري أضياف الكلاب والطيور والرياح)[8] .

---

(١) وفي ل : « وجمعوا جموعهم » .
(٢) في ل : جمان .
(٣) ساقط من : ل .
(٤) وفي ل : فم .
(٥) ساقط من : ل .
(٦) البهرج : الزائف . النضار : الذهب .
(٧) ساقط من : ل .
(٨) ساقط من : ل .

وأقبلت رايات النصر بطالع سعد الدمشقية ، وانفلَّت عزايم (الجيوش الحلبية)[1] وجحافل الباشا بالكلية ، راغبين في الفرار ، راغبين عن القرار . (الى أن برز سعد السعود ، وخفقت أعلام النصر بالبنود)[2] . وتقدمت شِرذمة من مماليك الباشا تسحُّ بأمطار المكاحل[3] (رمياً متواليا)[4] . (وأقبلوا بهمم تناطح الجبال وتطاول)[5] . (حتى صار النهار ليلا مدلهماً ، فيه الشهب تسّاقط تواليا)[6] .

فولى الدمشقيون منهزمين ، وجاء نصر الله والفتح المبين . فجاء برؤوسهم فوق رؤوس الرماح . وقدم حلب ليلا حتى أشرق ضياء صباح الأفراح، واتخذ الرؤوس قراطق الأسوار،وقناديل في محاريب الاعتبار . (وأذنت : « حيَّ على الفلاح » ، يا أهل العظة والاعتبار)[7] .

وبالجملة ، فلقد كان سَيره مقبولا ، وعدله مشهورا . يسمع الدعاوى بنفسه ، ولا يراجع القاضي . حتى أغلقت في زمنه أبواب القاضي . وكان القاضي حينئذ مظفر أفندي . يخرج الخصمان من عنده راضيين . لكن صار منه ضرر بسبب أنه جمع أهل القرى وقال لهم : ما مقدار ما كان يؤخذ منكم مال السلطان ؟ فالفلاحون لا عقل لهم .

---

(١) ساقطة من : ت .
(٢) ساقط من : ل .
(٣) المكاحل : البنادق .
(٤) ساقطة من : ت .
(٥) ساقط من : ل .
(٦) ساقطة من : ت .
(٧) ساقطة من : ت .

قالوا : خمسة أمثال مال السلطان . فقال : أنا أرضى بثلاثة أمثاله . وأرفع الأمناء ، فرضوا ، ثم لما عزل تضاعف عليهم الظلم ، وهم يعطون الثلاثة أمثال ، وفوقها أمثال كثيرة .

وكان من محاسنه يعطي الدعاجية[١] شهراً فشهراً ، يرسل متأدبا بطلبهم . وكان من محاسنه يحب كلام القوم ، ويحب الصوفية ، (ويحافظ على مطالعة « الفتوحات المكية »)[٢] . ثم عزله (محمد باشا بن سنان باشا السردار المأمور بقتال اليازجي ، وحسين باشا أمير لواء الحبشة الذي خرج عن الطاعة ، وولى مكانه أحمد باشا الحرامي ، هكذا شهرته، وكان وزيراً . فلما تولى ، وخرج إبراهيم باشا)[٣] بكى عليه أهل حلب كثيراً ، (ولا بكاء الخنساء على صخر)[٤] .

ثم تولى إبراهيم باشا كفالة الديار المصرية ، (وسلك المسالك الحسنة المرضية)[٥] . وكان يحب الشيخ زين العابدين البكري[٦] . حضر يوم الجمعة الصلاة ، فأمر البكري بالوعظ فوعظ في الحال بأفصح مقال . ثم قدَّر الله أن خرج زين العابدين البكري الى قلعة الجبل لزيارة

---

(١) الدعاجية : كلمة مركبة عربية وتركية ، معناها : أصحاب الدعوى ، و « جي » علامة النسبة .

(٢) إضافة من : ل . و « الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية » كتاب للشيخ محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨) .

(٣) ساقطة من : ل ، وفيها فقط : « ثم عزل عن حلب .. » .

(٤) إضافة من : ل .

(٥) إضافة من : ل .

(٦) هو محمد بن محمد ، أبو السرور زين العابدين البكري ، مفتي السلطنة بمصر وكان آية في علم التصوف ، وهو أول من لقب بمفتي السلطنة في الديار المصرية ، وله تآليف دينية . توفي سنة ١٠٠٧ .

الباشا المذكور (فأدخله منفرداً)[1] بعدما شرب السكر خرجت روحه الشريفة ، ونزل به جماعته ميتاً . (فذكر أنه نزلت عليه نزلة قتلته في الحال)[2] . فصلى الباشا عليه في اليوم الثاني بجامع الأزهر ، وحمل جنازته . ثم اتهمه جماعة بأنه وضع له سماً . وقيل وضع على وجهه فرش ، وجلس الجلاد عليها ، حتى خرجت روحه ، وما أظن فيه ذلك . (وجماعة يقولون : / إن الباشا بريء من ذلك)[3] . بل زار والدي جماعة من أتباع الباشا بعد موته . فحلفوا الأيمانات المغلظة أن الباشا بريء من التهمة ، حتى ذكر لي جماعة من العوام أن الشيخ قال يوم وعظه: ونحن على من ساءنا سم ساعة، ومن لم يصدق فليجرب ويعتدي. (وبلغني عن ابن الشيخ زين العابدين أنه كان يبرىء ساحة الباشا)[4]. ١٢

[5] ثم مضى بعد ذلك بأيام قليلة خرج الباشا الى الحديقة،ودعا الى الوليمة مصطفى أفندي عزمي زاده[6] القاضي بمصر يومئذ . وهو مؤلف « حاشية شرح المنار »[7] و « حاشية على الدرر »[8] و « حاشية

(١) إضافة من : ل .
(٢) إضافة من : ل .
(٣) إضافة من : ل .
(٤) ساقط من : ل .
(٥) ساقط من ، ت الى النهاية عدا قتله ورفع رأسه على رمح .
(٦) مصطفى بن محمد المعروف بعزمي زاده (زاده بمعنى ابن ، أي ابن عزمي) . أشهر متأخري العلماء ببلاد الروم وأغزرهم مادة . تركي مستعرب . ولي قضاء عدة مدن منها دمشق ومصر . له كتب كثيرة وشعر جيد بالعربية والتركية . ولد سنة ٩٧٧ وتوفي في حدود ١٠٤٠ .
ـ خلاصة الأثر : ٤/٣٩٠ .
(٧) أصل الكتاب « منار الأنوار » في أصول الفقه لحافظ الدين النسفي (ت ٧١٠) . له شروح وحواش كثيرة منها لعزمي زاده ، والذي سماه « نتايج الأفكار » . وعلى حاشية عزمي زاده حاشية ليحيى الأعرج (ت بعد ١١٣٠) (كشف الظنون : ١٨٢٥/٢) .
(٨) أصل الكتاب « الدرر والغرر » للمولى محمد بن فرامرز الشهير بمولانا خسرو (ت ٨٨٥) .

على المغني » • فبينما هما في لذة العيش ، وإذا بأجنـاد مصر متسلحـة بالأسلحة الكاملة ، ومعهم المئات • دخلوا وأحدقوا بالحديقة ، وقطعوا الباشا قطعا قطعا ، وأخذوا رأسه على رمـح ، والقاضي يستجير بهـم لنفسه • فما ضرُّوا القاضي ، لكن قطعوا أركان فؤاده فزعا وخوفـا ، ووضعوا رأسه على سور باب زويلة[1] • وقالوا : هذا رأس الخارجي • قال بعض المحبين للشيخ : إن سبب قتله للشيخ أن علي باشا كافل الممالك المصرية لما صار وزيراً أعظم عرَّض للسلطان محمد[2] بظلم الشيـخ • فأمر بقتله ، فخاف الباشا من عساكر مصر فعل هكذا، وأنه في تلك السنة مات السلطان الآمر وعلي باشا الذي عرَّض والباشا المباشر ، والله أعلم بحقيقة الحال •

ثم إن السلطان أحمد[3] صبر على العساكر مدة، وبعث إليهم محمد باشا المشهور بأكوز محمد باشا[4] • فاحتال على العساكر بمعونة بعضهم بعضا • وقتل جماعات متعددة ، أكثرهم الساعون في قتل الباشا ، حتى صارت العساكر المصرية في غاية الذلة ونهاية القلة ، وذلك سنة ثـلاث عشرة[4] وألف •

---

(١) باب زويلة : من أبواب القاهرة القديمة منذ أيـام جوهـر الصقلي • جدد بنـاءه بدر الجمالي وزير المستنصر (الخطط المقريزية : ١/٣٨٠) •

(٢) السلطان محمد الثالث بن مراد الثالث • حكم بين ١٠٠٣ ـ ١٠١٢ •

(٣) السلطان أحمد الأول بن محمد الثالث ، خلف والده ، وحكم السلطنة العثمانية من ١٠١٢ ـ ١٠٢٦ •

(٤) الوزير الأعظم محمد باشا المشهور بأكوز محمد باشا المدفون قبالة مدفن الشيخ أبي بكر من جهة الغرب • توفي في حياة الشيخ أحمد القاري معزولا عن الوزارة العظمى • وعمر مزاراً في حياته لنفسه بأذن القاري • وكبَّر قبة الشيخ أبي بكر وجدَّدها ، وهي كما هي الآن • و « أكوز » بالتركية الثور •
ـ إعلام النبلاء : ٦/٢٣٥ •

٧ ـ أسعد بن شيـخ الاسلام
سعـد الدين أفنـدي

الشهير والده بالخوجه[١]، لأنه كان معلم السلطان مراد بن السلطان سليم[٢] . مشيد وطائد[٣] الدين ، ومرسي سفن البراهين (على تيار التحقيق والتبيين)[٤] . حامي بيضة الاسلام ، والمناضل عن الأحكـام بأسنة الأقلام[٥] . طلاع نجائد المشكلات إذا اعتركت ، وسباق غايات التحقيقات إذا احتبكت .

(مَـن قصد نحو بابه ارتفعت أخبار مجده على الابتداء ، وانتصب تمييز حاله جزماً على الاهتداء به والاقتداء . ومن اقتفى بلاغات كلماته وكمالاته صار بديعُ معاني بيانها علمـاً مفرداً . ومن ألقى ركايا[٦] مقاصده في قاموسه المحيط . صاد الدرَّ والدراري ، وسطع في سمـاء معاليه النجم الساري)[٧] .

---

(١) خوجه : المعلم .

(٢) السلطان مراد الثالث بن سليم بن سليمان ، أجلّ آل بيته علماً وأدباً . كان له في علم التصوف مهارة . جلس على سرير العرش ٩٨٢ بعد موت والده . وأمر بقتل اخوته على عادتهم وكانوا خمسة . حارب في خراسان وآذربايجان وقبرس . ولد في القسطنطينية سنة ٩٥٣ وتوفي ١٠٠٣ . وخلفه ابنه أحمد .
ـ خلاصة الأثر ٤/٣٤١ .

(٣) وفي ل : دعائم .

(٤) ساقط من : ت .

(٥) وفي : ل إضافة « أجسامهم الأحلام » .

(٦) الركية : البئر ذات الماء ، جمعها : ركايا وركيّ .

(٧) ساقط من : ت .

ما نحاه في الفروع طالب إلا سقط على الخبير المفيد[1] ، وعند جُهينة الخبر الأكيد • (إذ هو المالك لأزمّتها ، والقائد لأعنتها ، مسهل مشارعها ، مذلل شوارعها • أسعد العلماء مجداً ، وأوفرهم رشداً ، وأوقاهم سهماً ، وأغزرهم نصيبا وقسما • مقرر الغوامض فروعا وأصولا ، محقق المشكلات جملا وتفصيلا)[2] •

شيخ الاسلام ، وسراج الأعلام • (حادي العفة المشهورة ، والعبادة المأثورة • تنزّه عن طرق الملام ، وطوى كشحاً عن استخدام الحسان مخافة المذام)[3] • وكان للاسلام عضداً، وللتدابير السلطانية ساعداً ويداً •

تشرفنا به في حلب حين مرّ للحج الشريف ، بعد انفصاله[4] عن قضاء عساكر روم إيلي ، (وفي صحبته ابناه العالمان الكاملان ، فرأيناه ذا فصاحة في اللغة العربية ، وتواضع ومحاسن أخلاق ومحبة للعلماء ، لاسيما الذين لم يتعلقوا بالمناصب ورضوا بالخمول • فانه كان يجلهم ويعرف مقامهم، ولا يعظم العلماء على قدر هداياهم كما هو عادة بعض الموالي •

كلامه جد لا هزل فيه ، واضح لا غشّ فيه • ولا يحب العظمة . ولا يحب الملابس الحسان، ولا يستخدم المرء كما هو شأن غالب الموالي • واشتهر في أقضيته بالعفة والاستقامة • يبالغ في إسباغ الوضوء، والاحتراز عن الماء المتوهم فيه الاستعمال ونحوه • وقد وجد قنوات حلب تجري بالزبل ، فأراد إبطال ذلك فلم يتيسر له هذا الأمر لأنه صار من ضرويات الماء • وأراد أن يؤخر صلاة العصر الى مصير الظل[5] •

---

(١) كذا في ل وهو الصواب • وفي ت : المستفيد •

(٢) ساقط من : ل •

(٣) ساقط من : ل •

(٤) وفي ت : منفصلا •

(٥) ساقط من ل • وساقط من « ت » من هنا الى آخر النص ، عدا الأسطر الأخيرة المشار إليها ، وما نقل كان من ل •

وكان أخوه مفتياً بدار السلطنة حينئذ . فالتمس من والدنا أن يقرىء ابنيه أبا سعيد أفندي ومحمد أفندي سعدي جلبي . فبعثهما إليه صحبة محمد أفندي أمين المنفصل عن قضاء بغداد . وقد كان قرأ على والدنا قديما . فقرأ جانبا من « صحيح البخاري » نحو كراس . واستخبرا الوالد ، فأخبرهما أنه أخذ صحيح البخاري عن والده شيخ الاسلام عبد الوهاب العرضي[1]، عن شيخ الاسلام القاضي زكريا الأنصاري[2] ، عن شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني[3] شارح البخاري وأشياخه مسطرة في ذلك الشرح .

وكان محبا للصوفية ، معتقداً لهم . يأتي في كل يوم اثنين ويوم

---

(١) عبد الوهاب بن ابراهيم .. تاج الدين العرضي الأصل الحلبي الشافعي . أفتى في حلب، ودرّس بجامعها الأعظم. له شرح المراح، سماه « فتح الفتاح بقوت الأرواح ». أفاد في الفقه الشافعي . توفي سنة ٩٦٧ . وانظر أيضا في المقدمة .
— إعلام النبلاء : ٦/ ٤١ .

(٢) زكريا بن القاضي محمد بن زكريا الشيخ الامام الأنصاري . ولد سنة ٨٢٣ في مصر بقريته « سنيكة » . وهو قاض مفسر من حفاظ الحديث كف بصره بعد ٩٠٦ . له تصانيف كثيرة أغلبها مطبوع . وهو أستاذ جد المؤلف . توفي سنة ٩٢٦ ، وصلي عليه بالأزهر .
— الكواكب السائرة : ١/ ١٩٦.
— معجم المطبوعات : ١/ ٤٨٣ .

(٣) أحمد بن علي الكناني العسقلاني ، ابن حجر . أصله من عسقلان بفلسطين (مما يلي حد مصر على الساحل) . لكنه ولد وتوفي في القاهرة . ولع بالأدب والشعر والترحال . فصيح اللسان ، راوية للشعر. ولي القضاء بمصر ثم اعتزل . تصانيفه كثيرة ، أشهرها « الدرر الكامنة » و « لسان الميزان » و « الإصابة » . وله ديوان شعر مخطوط . توفي سنة ٨٥٢ .

خميس لأجل سماع موعظة الشيخ محمود الأسكدرلي[١] العالم العابد الزاهد ، معتقد الملوك والسلاطين والأمراء ، محافظا على / الصلوات الخمس مع الجماعة في داره ، وقراءة الأوراد ، متعففا عن أخذ الرُشا . لم يتلوث ثوب عرضه بالمردان . واعترض على دراويش الشيخ أبي بكر من حلق اللحى وثقب الآذان، فأجابوا بأن شيخنا كان يفعل ذلك، ويسمع آلات الملاهي في قهوة أصلان داده . فقال للشيخ أبي الجود : ما هو إنصاف ، تسمعون المناكر !. فأجابه الشيخ أبو الجود مع الأدب بأنه : بلغني في قسطنطينية نحو ألف خمارة . فسكت ولم يعط جوابا ، ثم جاءنا بعد ذلك الى الجامع الأعظم ، وكنت ـ الفقير ـ شابا . فاعترض على أهل حلب ، حيث لا يؤخرون العصر الى مصير ظل الشيء مثليه[٢] ، كما هو المرجح عند الامام أبي حنيفة . حتى إن المؤقت جذب بالحبال الشاخص لصده العوام عن الاعتراض إذا أخر صلاة العصر .

١٣

ثم توجه الى دمشق الشام ، واعتكف في مقصورة الجامع ، مع أنه كان مسافرا . وتوجه الى الحج ، وفعل خيرات كثيرة في طريق الحج ، منها : جاء بماء لطيف الى جبل عرفات ، ورجع الى بيت المقدس ، فقال :

---

(١) أسكدار : من أقدم أحياء استانبول وأشهرها . يقع على شاطىء البوسفور من جهة آسية . وهو قطب الأقطاب ، أصله من « سوري حصار » ثم لزم التحصيل الى أن برع ونظم الشعر . رافق ناظر زاده حين ولي قضاء الشام ومصر . أعطي المدرسة الفرهادية ببروسة سنة ٩٨٠ ، وولي نيابة الجامع العتيق . له رسائل وديوان شعر . توفي بأسكدار سنة ١٠٣٨ .
ـ خلاصة الأثر : ٣٢٧/٤ .
ـ أسماء الكتب : ٨ .

(٢) هذا قول سليم ، ويعادل نصف ساعة تقريبا بعد أذان العصر .

أين مكان الشيخ العلمي ؟ فقيل له : بعيد· فسأل عنه من علماء القدس· فقبحوا حاله ، فلم يعبأ بقولهم ، وتوجه في الحال الى زيارته ، وطلب منه الدعاء ، وبايعه وشكا[1] إليه العلمي من النصارى، أنهم يريدون إحداث كنيسة[2] يزعمون أنها لهم قديما · وإن علماء القدس يساعدون النصارى· ففي الحال هدمها أسعد أفندي وبنى[3] مكانها مدرسة وقبرا للعلمي · وجعل له وقفا ، وهو في جبل الطور · والعلمي المسطور لم أجتمع به · لكن كان من أولياء الله تعالى · وسيأتي في ترجمة ابنه عبد القادر · والوالد كان كتب رسالة سماها « التأليف المقبول الحسن في قولنا · أسعد أفندي علامة الزمن »[4] · من فوائدها له : متى[5] تكون للفرق بين المذكر والمؤنث في الأوصاف نحو قائم وقائمة كذلك تكون لفصل الآحاد المخلوقة من أجناسها نحو بقر وبقرة ، وتمر وتمرة · وتأتي ملازمة لأوصاف مشتركة بين المذكر والمؤنث نحو رجل ربعة وامرأة ربعة ، وللمبالغة نحو : علامة· فان الزيادة في موضع يستغنى عنه لزيادة المبالغة · فان لفظ « علام » يدل على المبالغة ، فهو مستغن عما يدل عليها ، فجيء بالتاء للزيادة في المبالغة لأنها للثبوت لا للحدوث · فليست على نمط : «أما العسل فأنا شرّاب» · وذكر أن الكوفيين أجازوا الصفة المشبهة من المتعدي إذا أمن اللبس · وناقش المنلا عصام ، في أن معنى العلامة : الجامع بين المعقول والمنقول ، بل قال : العلامة كثير العلم ، والمراد كثير العلم للشرعيات · وناقشه في عدم صحة إطلاق العلامة على

---

(١) في الأصل : وشكى ·
(٢) في الأصل : كنيئة ·
(٣) في الأصل : وبنا ·
(٤) لم يرد ذكر الكتاب في المظان ·
(٥) في الأصل : متا ·

ابن الحاجب بل قال : إنما يطلق على القطب الشيرازي[1] . قال الوالد : ابن الحاجب[2] أعلم من القطب . وكتبت لـه رسالة سميتها « سوابـغ الانعام في تحرير أول سورة الأنعام »[3] . وقلت في رسالتي : إن العـام لا يدل على الخاص باحدى الدلالات ، وكان حاضراً أبو اليمن أفندي[4]، فاعترض ذلك . قال له : لا تجادل في « البديعيات » فـان هذه القاعـدة مشهورة مسطورة .

وأهدى لوالدنا صوفا ، وللفقير مثل ذلك . وشفع للفقير في عشرين

---

(١) محمود بـن مسعود القطب الشيرازي . قاض ومفسر . ولـد في شيراز سنة ٦٣٤ ، ودرس على نصير الدين الطوسي ، ودخل الروم فولي قضاء سيواس وملطية . زار الشام وتوفي في تبريز سنة ٧١٠ . وكان من أهل التصوف . له كتب كثيرة في التفسير والطب والفلسفة . أغلب مؤلفاته مخطوط .
 – بغية الوعاة : ٣٨٩ .
 – الدرر الكامنة : ٣٣٩/٤ .

(٢) عثمان بن عمر . فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية . كردي الأصل . ولد في مصر سنة ٥٧٠ وتوفي في الاسكندرية ٦٤٦ . كان أبوه حاجباً فدعي ابن الحاجب . من تصانيفه « الكافية في النحو » و « الشافية في الصرف » . وكتب أخرى مخطوطة ومطبوعة .
 – وفيات الأعيان : ٣١٤/١ .
 – مفتاح السعادة : ١١٧/١ .

(٣) للمؤلف .

(٤) أبو اليمن أخو أبي الجود (فانظره) . من أهل بترون قرب طرابلس . قدم مـع أبيه حلب ٩٦٥ ، ورقي فيها الى مرتبة مفتي الحنفية بعد أخيه . توفي ١٠٤٦ وقـد بلغ من العمر ثمانين سنة .
 – الكواكب السائرة : ١٦٣/٣ .
 – خلاصة الأثر : ١٥٦/١ .

عثمانيا في مملحة الجبول[1]. وكان أخوه محمد أفندي مفتي دار السلطنة. فلما قرب من قسطنطينية مات أخوه . فطلب الفتوى جماعات من قضاة عساكر روم إيلي. فبعث السلطان أحمد خطه الشريف الى الطريق بتوجيه الفتوى إليه . فباشرها بالاستقامة والعفة والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لله عز وجل لا لغرض ولا لعوض . ولما سعى الأجناد من السباهية[2] والينكجرية[3] في قتل السلطان عثمان[4] إذ أحضروه ليبايع السلطان مصطفى[5] . فقال : كيف خلعت السلطان / مصطفى ، لكونه **١٤** لا يعقل ، أبايعه ثانيا[6] ؟ أنا فرغت من[7] الفتوى ، ولصلاحه ودينه ألجمهم الله عن قتله ، فتولاها يحيى أفندي ، حتى خلع السلطان عثمان ، وولاها لمصطفى ثانيا. فكتب خطاً على لسان مصطفى يأمر بقتل عثمان.

---

(١) الجبول : من قرى حلب قرب الباب . أرضها سبخة . يعد ملحها من أجود الأملاح طعماً . والكلمة آرامية الأصل « كبولا » أي الجبال . (موسوعة حلب : ١/ ٣٧) .

(٢) فرقة عسكرية . والكلمة فارسية مؤلفة من « سباه » بمعنى الجيش ، وفي آخرها ياء النسبة .

(٣) صوابها « يكجري » أو يكيجري: وهو الجيش الانكشاري الذي أسسه أورخان الغازي. فتطلقها بعضهم على الأصل « يكجري » وبعضهم محرف عن الانكشاري فقال «ينكجري» أي الجندي الجديد .

(٤) عثمان أصغر أولاد أرطغرل (ولد ٦٥٦) . تنسب اليه الدولة العثمانية . وقامت الدولة بحكومته سنة ٦٩٩ . وباشر هو وابنه أورخان بالاستيلاء على الأراضي والتوسع . توفي سنة ٧٢٦ .
ــ تاريخ الدول الاسلامية : ٢/ ٤٤١ .

(٥) السلطان مصطفى الأول بن السلطان محمد بن مراد . حكم مرتين الأولى من ١٠٢٦ــ ١٠٢٧ ومن ١٠٣١ــ١٠٣٢ .

(٦) الجملة ــ كما نراها ــ ناقصة .

(٧) في الأصل : فرغت عن ، والصواب ما ذكرنا .

فخنق في السجن • ثم استمر مصطفى سنوات قليلة فخلع ، وتولاها السلطان مراد • فولى الفتوى لصاحب الترجمة ، وعزل يحيى أفندي •

(ولما مات والدي ساعدني على أخذ الفتوى على مذهب الشافعي بحلب والمدرسة الحلاوية أكمل مساعدة ، لله عز وجل • والله ما هاديته ولا هاديت أتباعه لدرهم واحد • رحمه الله تعالى ، وكان عفيفا محبا للعلماء • وقد التزمت الدعاء له ولأولاده • وله نظم عربي حسن)[1]•

ومن نظمه استغاثة بالنبي ﷺ ، حين توجه للحج الشريف :

يا رسول الله أنت المقصدُ ... أنت للراجين نعمَ المسندُ[2]

الى أن يقول :

جُد بلطف منك كن لي شافعا ... إن تلاحظني فاني أسعدُ
لا تخيِّبْني فاني سائلٌ ... سائلُ الدمع الذي لايُطردُ

ولما مات في سنة ست وثلاثين وألف (رثيته بقصيدة تأتي في ترجمة ولده أبي سعيد أفندي، ورثيت ابنه محمد جلبي حين مات ، فقلت:)[3]•

---

(١) كذا في : ت ، وساقط من : ل •
(٢) ساقط من : ت •
(٣) ساقط من : ل • وفي « ت » بياض ، موقع القصيدة •

٨ ـ أحمد بن الشيخ الولي المرشد عبد الرحمن القصيري الخلوتي الشافعي(*)

المشهور بابن عبدو[١] . فان الأكراد يسمون مثل عبد الرحمن وعبد الرحيم[٢] عبدو . (من أعمال القصير تابع حلب من قرية تسمى « زرنبو » . شيخ الطائفة الخلوتية)[٣] .

مهّد للطاعة معاهدها ، وشيّد للولاية معالمها ومشاهدها ، وشد للتقوى معاقدها . ونشر لها محامدها ، وأظهر مصادرها ومواردها . فرع أصول السادة ، وفنن سرحة السيادة ، وبيت المحراب والسجادة . جذبه مولاه الى محاضر[٤] حضرته، ونظمه في عقود[٥] أهل محبته. برزت له مراسيم العناية[٦] على طروس[٧] التوفيق وصفحات الهداية ، بأنه مفاتيح الدين وأبواب الرشاد، وأنه من مصابيح التقى وأئمة الرشاد .

★ أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الكردي القصيري (قصير : قرية من حلب) الشافعي الصوفي الخلوتي . درس علوم الشرع ولبس الخرقة والتاج ، وصار خليفة أبيه في حياته . انزوى في جبل الأقرع وكثر عليه الوافدون .
توفي سنة ٩٦٨ .
ـ ملك الدرر : ٣/١٢٠ .
ـ إعلام النبلاء : ٥/٥٥٢ .

(١) سقطت واو « عبدو » في ل سهوا .
(٢) وفي ل : عبد الله .
(٣) إضافة من : ت .
(٤) ساقطة من : ت .
(٥) في ل : قلائد .
(٦) في ل : السعادة .
(٧) في ل : قراطيس .

أشرقت معارفه ، ورقت لطايفـه ، وراقت حميا شهوده ، ودارت كؤوس العارفين في حضرات وجوده • نفي شهود الأغيار ، وطمس من ألواح أسراره[1] زخارف هذه الدار • ورفع حجاب الأوهام ، وجال[2] في ميادين الأشواق وهام :

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسدْ   هذا النعيمُ هـو المقيمُ الى الأبدْ

فلله من هبات[3] رحمانية منحته وصالها ، ونسمات ربانية ما كل من طلب السعادة نالها[4] • هبت نفحات القرب على روضة جنانـه ، وقبول الحب على حدائق فؤاده ، فتفتحت كمائم عرفانه • فاهتدى في المحبة الى سبيلها ، وتروّى من نمير المصافاة[5] بارد سلسبيلها • وسرح طرفُ بصيرته في فنون أفنانها ، ورتـع في روضاتها النضرة بمسامرة رضوانها •

تأدب المذكور (في طرق الله)[6] على يد والده الشيخ عبدو[7] ، فلزم الخلوات والرياضات والعبادات منذ كان طفلا • (ونشأ في الطاعة

---

(1) في ل : سريرته •

(2) في ل : وطرب •

(3) في ت : مواهب •

(4) شطر من البحر الكامل •

(5) في ت : من نميرها •

(6) ساقط من : ل •

(7) عبدو القصيري (انظر قبل صفحة) بن سليمان الكردي الشافعي الصوفي الخلوتي • قدم حلب مرارا ، ونزل عند البرهان العمادي • أصله من « خينو » من قرى القصير ، فتركها وانزوى في قرية خربة من الجبل الأقرع ، فعمرت •
— إعلام النبلاء : ٥/٥٥٢ •

صبيا وشابا وشيخا وكهلا)[١] • وتفقه على الشيخ محمـد الرمادي : أعلم[٢] من في بلاد القصير • وقرأ على الواردين على والده من علماء (الأكراد النحو وطرفا من العلوم حتى صار عالما كاملا)[٣] •

وهو جدي لوالدتي ، فان والدتي حليمة بنت الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ الولي الشيخ محمد بن الشيخ أحمد المذكور • أخبرني الشيخ الوالد أنه حين تزوج والدتي كان يغضبها ، (وأساء العشرة معها • فنام عندها ليلة وهو غضبان وهي غضبى)[٤] ، فوجد في دارها مشايخ بعمائم سود ، وإذا بهم أجدادها الشيخ أحمد والشيخ محمد[٥] والشيخ عبدو • والشيخ محمد يشكو من والده لوالده • والشيخ أحمد يقول : يا والدي الشيخ عمر، ما هكذا يعامل الكرام كرائم الأكارم• فاستيقظ مذعوراً، وأحسن العشرة معها •

وأخبرني الشيخ الوالد أن الشيخ عبدو قبل أن يولد له الشيخ أحمد مرض مرضا أوصله الى الهلاك • فعاده شيخـه الشيخ علي الأنطاكـي (، قـدس سره ، فطلب التلميذ من الأستاذ الدعاء له حيا والشفاعة إذا مات)[٦] • فأطرق الانطاكي ثم رفع رأسه وقال : يا عبدو لا تموت حتى يخرج الله من صلبك الولي الأشقر يملأ بسيطة[٧] الأرض خيراً ودنيا •

---

(١) ساقط من : ل •
(٢) في ت : أصل العلماء •
(٣) الجملة ساقط من : ل •
(٤) ساقط من : ت •
(٥) وحده المذكور في : ل •
(٦) إضافة من : ت •
(٧) الكلمة ساقطة من : ت •

فشفاه الله من المرض ثم ولد له ، بعد مدد متطاولة ...[1] ، ذكر سماه أحمد . (وهو الشيخ أحمد صاحب الترجمة)[2] .

وأخبرني (الشيخ الوالد أن)[3] الشيخ أحمد حضر الى حلب ، ووعظ بالمحراب[4] الأصغر في الجامع الكبير ، (وكان والدي يسمع له)[5] . وكان الشيخ يبكي في وعظه كثيراً . (قال والدي في نفسه :)[6] لأي شيء هذا الشيخ يكثر / من البكاء ورحمة الله عامة ؟ فنظر إليَّ والدي وقال : (قال النبي ﷺ)[7] : « إن الله يرحم هذه الأمة ببكاء واحد منهم » . ١٥

وأخبرني الشيخ الوالد أن ابن القلعي توجه الى إنطاكية للدعوى على الشيخ بخصوص ماء[8] يدّعيه بنو القلعي . فوجده في الطريق خليفة للشيخ أحمد ، فأخبره بالقصة . فقال الخليفة : (لا ، هذا كلام لا طائل تحته ولكن)[9] أصلح بينكما . (واتفقا على الذهاب الى قرية الشيخ للصلح)[10] . ثم أدركهما الليل ، فنزلا في زوق[11] تركمان ،

(١) كلمة غير مقروءة في : ت ، وغير مذكورة في : ل .
(٢) ساقط من : ت .
(٣) ساقط من : ل .
(٤) في ل : بمحراب ، فصلحناها . وفي ت : على كرسي .
(٥) ساقط من : ت .
(٦) وفي ت : فخطر لي .
(٧) ساقط من : ت .
(٨) وفي ل : قرية .
(٩) ساقط من : ل .
(١٠) إضافة من : ل .
(١١) زوق التركمان : موضع في تركية يقطنه هؤلاء القوم . وفي ت : بيوت .

واستقبل تركماني خليفة الشيخ أحمد تعظيماً للأستاذ ، وأكرم نزله . ثم ذهب التركماني بعد العشاء لحفظ أغنامه . وله زوجة حسنة ، (وتركهما ينامان عند زوجته)[1] . فلما جنّ الليل راود الخليفة الزوجة عن نفسها ، (فبادرت وامتثلت)[2] . وابن القلعي اطلع على ذلك ، وأوهمهما أنه نائم .

فلما قضى الخليفة ما قدّره الله عليه رقد ونام . وأصبح الصباح، فتوجه ابن القلعي والخليفة . فقال ابن القلعي : نصلي الصبح. فسكت الخليفة وغافل ابنَ القلعي حتى نـزل على عين ماء واغتسل ، وصلى الصبح . فلما وصلا[3] الى الشيخ صاحب الترجمة دخل الخليفة . وكان من عادة الشيخ القيام له ، فنظر إليه الشيخ غضباً ، وجذب يده منه حين رام أن يقبلها(احمرّ وجهه)[4]. ثم لما قعدا أمر الشيخ باحضار الترغيب والترهيب . ففتح الكتاب ، وقرأ الشيخ « باب الترهيب في الزنى » ، (وأخذ يذكر قبائح الزنى)[5] ، والخليفة ساكت، الى أن صرخ الخليفة، وأعلن بالبكاء والنواح . فناداه الشيخ ، واختلع مئزره وطرده وقال : يا خائن ، رجل يؤمنك على عياله تخونه ؟ ثم استمر على باب الشيخ يبكي مدة طويلة[6] ، وهو يعلن بالتوبة والانابة ، حتى أدخله الشيخ الى الأربعينية ، ثم كساه كسوة الفقراء لا الخلفاء . وبعد سنين، حين تحقق صحةَ توبته أعاده كما كان[7] .

---

(١) ساقط من : ت .
(٢) وفي ل : « وراودته عن نفسها » .
(٣) في ت : وصلوا .
(٤) ساقط من : ت .
(٥) ساقط من : ت .
(٦) في ل : سنة .
(٧) الحكاية مذكورة في النسختين ، غير أنها في ل مضطربة الجمل وأكثر ميلا الى العامية.

وأخبرني الشيخ فتح الله الفراتغبيني أنه كان الشيخ نور الدين[١] خليفة للشيخ بقصبة الباب من أعمال حلب معتقداً في حياة الشيخ ، فقصده جماعة من التركمان ومعهم رجل من أعيانهم له ابن" مُقعد[٢] (بعدّة أغنام)[٣] . وتوسلوا به أن يشفع لهم عند الشيخ صاحب الترجمة في شفاء ابنه ، ويذهب معهم الى بلاد القصير . فامتنع فألحوا عليه (وقال : شيخنا لا يفعل هذا أبداً)[٤] ، ولازموه فاستحيا ، وسافر معهم . فلما رآه الشيخ غضب وكلمه بالعربي وقال له : نحن نقيم مكسحي القلوب لا مكسحي الأبدان ! فقال : يا سيدي جئتك من الحياء منهم . فقال له الشيخ : ما بقي من المروءة (أن يعود خاسراً)[٥] . ولكن قدّر الله أن يبتليك أنت بهذا المرض . فقال : يا سيدي اطلب لي من الله إن كان ولا بد فليكن في آخر العمر . قال : قد كان[٦] . ففي الحال نادى الشيخ الولد المقعد ، فانتهض في الحال باذن الله قائماً . (فأجزل التركماني العطايا من الأغنام والدراهم للشيخ)[٧] ، (ورجع الخليفة . فلما مات الشيخ بعد موته بمدة طويلة)[٨] أقعد الخليفة الشيخ نور الدين[٩] ومات مقعداً .

---

(١) ساقطة من : ت .

(٢) في ل : مكسئح .

(٣) إضافة من : ل .

(٤) إضافة من : ل .

(٥) كذا في : ل ، وفي ت : صدّهم .

(٦) وفي ل : إن شاء الله .

(٧) إضافة من : ل .

(٨) ساقط من : ل .

(٩) الاسم ساقط من : ت .

وأخبرني الشيخ الولي[1] أبو الوفاء بن معروف الحموي (، وكان من أكابر صاحب الترجمة ،)[2] وكان من العلماء الصلحاء ، ستأتيك ترجمته ، (وكنت سمعت الحكاية . وسمعت أنها يقظة ، لكن أنكرتها يقظة ، حتى قدم حلب في سنة ثلاث عشرة وألف . فسألته عنها وقلت له: مناما أم يقظة ! قال : والله يا ولدي يقظة . فحكاها)[3] . وتوجه الى مصر للقراءة في العلوم ، فنزل عند[4] القطب[5] الشيخ أبي الحسن البكري[6] ، قدّس الله سره ، فأكرم نزله . (وكنت أخذت العهد على الشيخ أحمد)[7] . ثم طلب أبو الحسن من أبي الوفاء أن يأخذ عليه عهد طريقته ، فامتنع أبو الوفاء رعاية لشيخه . فألح عليه مرارا وهو يمتنع[8] الى أن دخل عليه ليلا (وعليه قنباز جوخ أحمر بثياب المنام)[9] وقال : ضع يدك في يدي . (فخفتُ منه ، حتى مددت يدي)[10] . فاذا



(١) الكلمة ساقطة من : ت .
(٢) إضافة من : ل .
(٣) ساقط من : ت .
(٤) وفي ل : زمن .
(٥) الكلمة ساقطة من : ت .
(٦) هو محمد بن محمد جلال الدين بن عبد الرحمن ، أبو الحسن البكري الشافعي المصري . ولد بمصر سنة ٨٩٩ ، واشتغل بتدريس فقه الشافعية في الأزهر . له مؤلفات دينية - ذكر الخفاجي أنه « جامع الفضائل والمحاسن » . توفي سنة ٩٥٢ .
ـ ريحانة الألبا : ٢/٢١٩ .
(٧) ساقط من : ت .
(٨) وفي ل : « وأنا أخافله » .
(٩) ساقط من : ت .
(١٠) ساقط من : ت .

الجدار انشق وخرج الشيخ أحمد وقال للبكري[١] : اترك مريدي . قال : لا يمكن[٢] . فبينما هما كذلك إذا بنار خرجت من عين الشيخ أحمد . فجذب الشيخ بكري يده من الفقير[٣] .

ثم خرج اثنان ؛ أحدهما الخضر صلوات الله عليه وسلامه (والثاني نسيته)[٤]، وأصلح بينهما . فلما أصبح أبو الوفاء خرج من مصر لوقته حتى أتى بلاد القصير . وحضر الشيخ ، فقبّل يده فتبسم الشيخ وقال : سلسلة طريقتنا لا تنقطع .

وكنت ، الفقير ، أسمع هذه الحكاية وأنكرها وأقول : يكذبون على الشيخ وفاء ، حتى حضر الى حلب ، وكنت صغيراً ، فقلت له : هذه الحكاية مناماً أم يقظة ؟ قال : بل يقظة . ومما كان يلقنه الشيخ وفاء لأحبابه من الناس عن شيخه المذكور أن المداومة على قراءة : « افتح قفل قلبي الأزل بنورك الأزلي يا أزل» تفتح للشخص أبواب الخيرات[٥].

وأخبرني الشيخ الوالد أن الشيخ أحمد في ابتداء أمره[٦] كان متردداً في[٧] أمر الشيخ محيي الدين بن عربي ، (وكان والده الشيخ عبدو من المعتقدين له)[٨] . فوجد الشيخ أحمد في واقعته مناماً (قائلا

---

(١) الكلمة ساقط من : ت .
(٢) وفي ل : « لا أتركه » .
(٣) يعني أبا الوفاء .
(٤) إضافة من : ل .
(٥) المقطع كله ساقط من : ل .
(٦) وفي ل : « في أول عمره » .
(٧) وفي ل : « يتنكر على » .
(٨) ساقط من : ل .

١٦ يقول :)[١] إنك إن تفتح كتاب / كذا عند عمك الشيــخ داود (فأول شيء يطلع لك يدل على أمر ابن عربي • فطلب من عمه الكتاب وتفاءل بـه واستفتح)[٢] فخرج في أول الصفحة : ابن عربــي[٣] ملحد ، قائــل بالوحدة المطلقة[٤] ، يحب الانكار • فأنكر الشيخ أحمد عليه (ووالده يردعه فلا يرتدع)[٥] • حتى سافرا الى القدس ودخلا دمشق • فتوجـه الشيخ عبدو لزيارة ابن عربي • وامتنع الشيخ أحمد • (قال له : ياولدي، هذا من كبار الأولياء ، فلم يسمع)[٦] • (فلما كان سائرأ في بعض أزقة دمشق وإذا برجل عليه وقار وسيماء المتقين • قال للشيخ أحمد : أنا ابن عربي)[٧] وإن لم تزرني أمنعك من زيارة القدس • فقال : لا أزورك ولستَ قادرأ على منعي[٨] •

فخرجا عن دمشق ، فهرب للشيخ عبدو عبد • فأرسل ابنه في طلبه، فاهتدى إليه • (فوجد ذلك الرجل ثانيأ)[٩] فقــال كمقالته الأولى ، وأجابه كاجابته الأولى • ثم توجها ، فلما كانا عن القدس بمراحل قريبة وإذا برجل ورد من بلادالقصيريقول: إن كاتب الولاية كتب قريتكم في دفتر

---

(١) ساقط من : ت •
(٢) ساقط من : ل •
(٣) في ل : ابن العربي ، وكذا كلما ذكر ، وصوابه من غير « ال » •
(٤) وفي ل : « مبتدع ، وجودي » •
(٥) ساقط من : ل •
(٦) ساقط من : ت •
(٧) ساقط من : ل •
(٨) وفي ل : « لا أعتقدك » •
(٩) ساقط من : ل •

أموال السلطنة[١] ، فارجعوا وإلا ذهبت القرية • فرجع الشيخ أحمد وتاب الى الله تعالى ، (وزار ضريح الشيخ ابن عربي)[٢] ، (واشتد اعتقاده بـه)[٣] •

وأخبرني الوالد أن جدي شيخ الاسلام عبد الوهاب العُرضي كان يزور الشيخ أحمد في كل سنة • (وكان والدي يطلب من والده أن يزوجه إحدى بنات الشيخ ، وجدي يمتنع ويقول : أخشى من التعب ، فان الشيخ له أتباع كثيرة ، فاذا صاهرناه تنزل عندنا أغلب الأوقات جماعته • فان قصرنا يغضب الشيخ ، وإن قمنا بواجب حقهم لا نقدر على ذلك لقلة المال • فاستمر الوالد على هذا الخاطر حتى تزوج بوالدتي بعد موت والده الشيخ عبد الوهاب)[٤] •

واجتمع جدي الشيخ عبد الوهاب بجدي الشيخ أحمد في آخر العمر، فطلب منه قميصاً ليتكفن به[٥] • (فأخرج الشيخ أحمد القميص الذي على بدنه ، وكان من الخام الغليظ ، ودفعه للشيخ عبد الوهاب)[٦] • فعوضه الشيخ عبد الوهاب بقميص من كتان الشام • ثم تعانقا وتباكيا • وقال الشيخ أحمد : الاجتماع بقي عند الله في دار كرامته ومستقر رحمته • فلما رجع الشيخ عبد الوهاب بعد مدة قليلة[٧] مات (وكفن بذلك الثوب مع ثياب أخر • وبعد موت جدي الشيخ عبد الوهاب ورد الشيخ أحمد الى حلب)[٨] وعزّى والدي وعمي •

---

(١) وفي ل : « في دفتر الميري » • ومعناها : دفتر سجلات السلطنة •
(٢) ساقط من : ل •
(٣) ساقط من : ت •
(٤) ساقط من : ل •
(٥) كذا في : ل ، وفي ت : « لأجل الكفن » •
(٦) ساقط من : ل •
(٧) وفي ل : « بعد ستة أشهر » •
(٨) ساقط من : ل •

ثم بعد مدة قليلة مات الشيخ أحمد . ولقد كان الشيخ أحمد لا يغفل عن الله طرفة عين ؛ نهاره بتمامه يقضيه في الأوراد والذكر ، وإقراء الدروس ، وإقراء الضيوف . خبزه للفقراء في اليوم نحو نصف قنطار حلبي . وكان يأتيه أهل بلاد الشرق من الأكراد وغيرهم كالجراد المنتشر . يتخذ في كل سنة خلوة في إنطاكية في مسجد الشيخ علي الانطاكي شيخ والده . ويأتيه الناس من أقطار الأرض ، [و][1] يجتمع عنده الألوف . فيقبل على العبادات والرياضيات والمجاهدات والوعظ، وتأتيه النذور من أطراف البلاد . لا يتناول من مال السلطان الدرهم الفرد . ويلوم من يأخذ من مال السلطان ومن يتولى القضاء . يبكي غالب أوقاته خوفاً من الله عز وجل، لايتكلم بأحوال الدنيا بل جل كلامه أحوال الآخرة. يتمسك بالشريعة ولا يخرج عنها ذرّة . سافر للحج الشريف وهو شاب فنزل في حماه . وكان سيدي الشيخ علوان ، قدس الله سرّه ، في مجلس شكوى الخواطر على مريديه . فأخذ في أثناء المجلس يكرر قوله تعالى : « إني لأجد ريح يوسف »[2] . فقيل له بعد الفراغ : ما مناسب هذه الآية ؟ قال : شممتُ رائحة الولاية من نواحي القصير . قوموا وتفحصوا مَن جاء من بلاد القصير . فقاموا وتفحصوا حتى وجدوا الشيخ أحمد . فأحضروه لدى الشيخ علوان . فتعانقا وتباكيا .

وأخبرني الشيخ الوالد وجماعات متعددة أن رجلا غرس في القصير كرما . ونذر أنه يعطي للشيخ جميع ثمر أول سنة . فجاء بقفتين من العنب والتين . وعند الشيخ إنسان بعباءة ثخينة على هيئة الفلاحين ، قال له الشيخ : استعملوا من هذا . ثم دخل الشيخ الى داره ليأمر بطعام للناذر .

---

(١) إضافة المحقق .
(٢) الآية : ٩٤ / يوسف : ١٢ .

فأكل الفلاح من القفتين أكلا ذريعا[1] • قال الناذر في نفسه : هذا يأكل مثل ثوري الأسود ، أو نحو ذلك من الكلام • ففي الحال ترك الفلاح الأكل وقام مغضبا • فخرج الشيخ بعد ساعة، فغضب حين لم يجد الفلاح • قال : هل قال له أحد منكم كلام سوء ؟ قالوا : لا والله يامولانا • قال حينئذ : لماذا ذهب ؟ والشيخ في غاية الغضب • ثم بعد عشر سنوات توجه الناذر الى الحج ، فنام في الطريق ، واستيقظ ، فوجد الركب توجه ، ولم يعلم له مقرأ ولا مستقرأ • فأخذ ينوح ويبكي على نفسه ، حتى جاءه راكب ناقة ، فأركبه وراء ظهره ، حتى أوصله الى القافلة • قال له : سألتك بالله من أنت ؟ قال : أنا ثورك الأسود ! قال : يا سيدي، أنا لاأفهم معنى هذا الكلام ! قال : أنا الخضر ، كنت جئت الى زيارة الشيخ أحمد ، وأكلت من القفتين ، فقلت ما قلت • قال : يا سيدي التوبة ، نعم أنا قلت يا سيدي ، أنتم أهل العفو بعد القدرة • قال : عفونا •

وأخبرني والدي أن أحمد أفندي الأنصاري كان في خدمة الشيخ أحمد • قال له الشيخ : يا منلا أحمد ، مالك قدرة على سلوك طريقنا الموت الأسود • لكن اذهب الى دار السلطنة ، يحصل لك نعم كثيرة • فتوجه الى أن صار قاضيا بالعساكر • وكان الشيخ أحمد المسطور يطعم الواردين في اليوم مقدار نصف مكوك[2] حنطة • وكان له أربع زوجات ونحو عشرة أولاد • وكان دائما يعمر الجسور • ومع هذا ماقبل من بيت مال المسلمين درهما واحدأ • وكان يقول : أخذ أموال الحكام وأموال بيت المال سم قاتل للمريدين • كل من يتناول منها شيئا انتقص حاله / ، بل ذهب هباء منثوراً • وكان أسلوبه : يصلي الفجر بغلس ، ويستمر يقرأ أوراده

١٧

(١) الذريع : السريع الفظيع •

(٢) المكوك : مكيال يسع صاعا ونصف صاع ، أو نحو ذلك •

الى طلوع الشمس ، ثم يصلي الاشراق[1]، ثم الضحى • ثم يقرىء الطلبة في علوم متعددة الى قرب الظهر • ثم يخرج الطعام للواردين ، ثم يصلي الظهر ، ويقرأ « يس » مع أوراد أيضا • ثم ينام للقيلولة • ثم يصلي العصر ، ويقرأ « تبارك » مع غيرها من الأوراد • ثم يقرأ على المريدين كتب الحديث ، ويشرحها لهم وكتب التصوف ويوضحها لهم ، ثم يصلي المغرب ، فيقرأ « عمّ » وأوراداً[2] • ويصلي « الأوابين[3]» • ثم يصلي العشاء ، ويقرأ « حم الدخان » و « الواقعة » وسوراً[4] متعددة • ثم ينام • ثم يقوم بعد نصف الليل ، ويتهجد وحده ما شاء الله ، الى أن يفوت الثلث الأخير، فيوقظ المريدين للتهجد • ويذهب الى القرى ويعظهم دائما ؛ إما على المنبر ، أو على كرسي ، أو على مكان مرتفع •

ولما جاء السلطان سليمان الى حلب، ومرّ بالعمق وجد جبالاشاهقة • قال : ما هذه ؟ قالوا : جبال القصير • فقرأ الفاتحة وقال : هنا الشيخ أحمد القصيري • وكان الشيخ أحمد حياً إذ ذاك • وللشيخ المذكور شرح على « المنفرجة »[5] على طريقة القوم ، ورسائل في طرق القوم ، وله ورد مشهور يقرؤه الآن أهل بلاد القصير وأهل الجزيرة وغالب الأكراد، وكان فقيها محدثا صوفيا واعظا يعلم كلام القوم وسيرهم وسيرتهم وأخلاقهم ، ويعمل بها • وصار له في زمنه من الخلفاء الألوف ، ومن

---

(١) صلاة الاشراق : بعد ارتفاع الشمس ، من النوافل •

(٢) في الأصل : أوراد •

(٣) صلاة الأوابين : نافلة تصلى بعيد المغرب •

(٤) في الأصل : سور •

(٥) المنفرجة : لأبي الحسن علي بن خليل المرصفي الزاهد ، ت ٩٣٠ (كشف الظنون)•

الفقراء ما لا يحصون · توفي رحمه الله عز وجل في حدود سنة تسع وسبعين وتسع مئة[1] ·

أخبرني الشيخ شمس الدين الأرمنازي الحافظ الرجل الصالح أنه زار قبره ونام عند القبر ، ورجلاه عند المرقد الشريف · فاستيقظ والصندوق يقعقع ، ووجد رجليه قد تحوّلتا الى جانب العتبة ، ورأسه محولا الى جانب القبر،وله مناقب جليلة تسع مؤلفاً كاملا رحمه الله تعالى·

يقال إن جدي والد أمي الشيخ عبد اللطيف كان ترك شرب الماء القراح نحو عشر سنوات · وزار القدس الشريف ، فغشي عليه من شدة العطش · وكان العلامة قطب العارفين الشيخ محمد البكري في القدس فجاء وسقى الشيخ عبد اللطيف الماء بيده · وأنشده من نظمه :

هنيئا للقُصيرِ وساكنيهِ محل الأوليا والقطب فيهِ

وكان الفقير زار مرقده الشريف ، فحصل لي خشوع وبكاء · وأنشدت قصيدة في مدحه من نظمي ، أولها :

يا طالبَ الأسرار والحالاتِ	يا قاصد الأبطال والسادات
يا خائف الأوزار والزلات	يا ناديا متواصل الحسراتِ

الى أن قلت :

إصعدْ الى الجبل المعظّم قدره	جبلِ القصير معادنِ الخيراتِ

(١) كذا في النسخة : ت · ومن عجب أن وفاته في ل : سنة ٩٦٨ ·

٩ ـ أحمد بن محمد(*)
سليل الشيخ أبي يحيى الكواكبي

صاحب المزار(١) بمحلة الجلوم(٢) بحلب . (الحنفي مذهباً ، الأردويلي طريقة . نسبه الى طريقة الشيخ صفي الدين الأردويلي؛ جد شاه عباس سلطان العجم . ولقد كان الشيخ صفي الدين من الأولياء الكاملين . وإنما حدثت بدعة التشييع في بعض ذريته ، منهم شاه إسماعيل)(٣) .

سماء فضل أشرقت كواكبها ، وشمس علم زاحمت كيوان(٤)

★ أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن محمد ، المعروف بالكواكبي البيري الأصل ، ثم الحلبي الحنفي الصوفي . أحد أعيان علماء حلب وكبرائها . ولد سنة ٩٥٥ وتوفي سنة ١٠٢٣ ، ودفن في قبور الصالحين .
ـ خلاصة الأثر : ١/٢٨٣ . إعلام النبلاء : ٦/١٩٦ .

(١) الذي وسّع المزار محمد بن ابراهيم بن يحيى الكواكبي ، وأقام فيه أذكاره . فلما مات دفن فيه . وبنى عليه القبة كافل حلب سيباي الجركسي من ماله الخاص . وقبة أبي يحيى تقع في غربي المسجد . وفي المسجد عدة قبور لبني الكواكبي ، وله وقف كبير . وكان في جانبه مدرسة الكواكبي . وإنما قيل لهم « الكواكبي » لأن الجد كان في مبدأ أمره حداداً يعمل المسامير الكواكبية ، ثم فتح الله عليه .
ـ نهر الذهب : ٣/٤٥ .

(٢) الجلوم : من أحياء داخل السور ، تقع بين الكلاسة وسوق المدينة . كان يسكنها مسلمون وبعض النصارى . ولهم في تسميتها أقوال . وما زالت من الأحياء المعروفة القديمة (موسوعة حلب : ١/٧٦) .

(٣) ساقط من : ل .

(٤) كيوان : نجم الزحل (فارسية) .

مناكبها • وأخلاق مجد كالروض النضر ، ومحامد شيم كالنسيم العطر • صار لعقيلة المجد بعلا ، ولمقل الكمال وإنسان المحامد كحلا ، ولأجياد المحاسن عقوداً ، ولمطالع الخنّس[1] سعوداً ، ولدوحة الفضل أفنانا ، ولكتاب الشرف عنوانا ، ولروح الفضائل جثمانا •

حتى ألقى إليه المجد مراسيه ، وضرب بعطفه وشدّ أواخيه • فله نتائج أفكار استحلت الأذواق جناها ، وتوضيح أقلام تحلت[2] الطروس بسناها • كابد الشقاء وجاهد الارتقاء • ونهب غنيمة المطالب، واقتنص أوابد المآرب • فاستخلص زبدها ، وفلذ كبدها ، واقتطع حدائقها ، واختزن عقايقها • فجاوز العيّوق[3] ، وارتقى ذروة ماله من الحقوق، الى أن ألقت رحالها عنده شَعوب[4] ، وأذنت شمس حياته بالغروب • وبغتته منيته ، ولم تمنعها رتبته •

قرأ المذكور على الشيخ الوالد[5] في مقدمات العلوم حتى ارتقى ؛ فقرأ عليه « المطوّل » بحواشيه (قراءة تحقيق)[6] • وقرأ على العلامة

---

(١) الخنّس : الكواكب كلها أو السيارات منها • سميت بذلك لأنها تخنس مجراها أي تستتر وتخفى •

(٢) وفي ل : غوامض •

(٣) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا ولا يتقدمها • سمي بذلك لأنه يعوق الدَّبران عن لقاء الثريا •

(٤) شعوب : المنية •

(٥) يقصد : عمر العرضي •

(٦) إضافة من : ل •

الشيخ محمد بن مسلم المغربي[1] في « مغني اللبيب » وحواشيه[2] ، وفي كتب الحديث ، وعلى الشيخ محمد المصري نزيل محلـة البياضة[3] في الفقه الحنفي • وكان يحضر مجالس والده في إقامة حلق الذكر ، ويذكر الله بالمقامات ذات الألحان ، كما هو طريقة الكواكبي • وكان يخرج أمام الجنايز يذكر الله تعالى مع فقراء والده (كما هو سنن الصوفية)[4] • وحنق على أبيه مرة فاتخذ له ذكراً مستقلا (وفقراء مستقلة)[5]، فأخذ الطريق عن الشيخ عيواد الكلشني[6] ، وهو أردولي[7] أيضاً • واتخذ له حلقة ذكر في جامع بانقوسا[8] •

ثم رجع الى طاعة والده • وخرج الى بعض الجنائز فوجد الشيـخ عبد الله المشارقي في تلك الجنازة ، فأساء الأدب عليه عبد الله ، فضرب الشيخ أحمد عبـدَ الله حتى ألقى عمامته من رأسه (وكـان في هويـة

---

(١) أحد شيوخ عمر بن عبد الوهاب العرضي • اسمه محمد بن مسلم التونسي الحصيني ، نسبة الى بني الحصين : طائفة من الأنصار ، المالكي نزيل حلب •

(٢) الكلمة ساقطة من : ت •

(٣) محلة البياضة : حي شعبي يقع بين القلعة وباب الحديد - وساقطة من : ل •

(٤) ساقط من : ت •

(٥) ساقط من : ل •

(٦) في الأصـل : الكلسي • والكلشنية طريقة صوفيـة • و « كلشن » فارسية بمعنى روضة الأزهار •

(٧) يقصد أن طريقته أردويلية ، وأسقط الياء الأولى •

(٨) بانقوسا : سوق خارج السور في محلة خان السبيل • وكان يقع في ظاهر المدينة على جبل متاخم لسور حلب الشمالي • ومعناها بيت الناقوس ، وكان فيه كنيسة قديمة (موسوعة حلب : ١/٤٦) • وما زال سوقاً وحياً قرب باب الحديد •

الذكر)[١] ، والشيخ عبد الله / لا يحتفل بذلك ، واستمر على ذكـر **١٨**
الهوية • (وكان الشيخ عبد الله من أهل هذه الطريقة ، لكنه كان من
عوام الناس ، لكن كانت العوام تجله)[٢] •

(ثم ترك زي الصوفية)[٣] ، وتولى المدارس الحلبية (وتوجه الى
البلاد الرومية)[٤] • فكان بعض مبغضي الشيخ أبي الجود يعرضون له
بأخذ الفتوى بحلب منه ، فيستعظم ذلك • فلما تكرر منه الذهـاب الى
قسطنطينية وجد الأمر سهلا ، (ومنصب فتواها ليس بذاك في قوانينهم •
فعزله وتولى مكانه ، ثم بعد مدة طويلة عزله الشيخ أبو الجود • ثم بعد
مدة طويلة عـزل الشيخ أبا الجود • وكان يفتي الفتاوى الحسنة المقبولة •
وله تواضع ومحبة للناس ؛ فمن ذلك أجلّه الناس وأثنوا عليه خيراً •
وكان يتكلم غالباً بالحق ، ويقضي حوائج الناس بالعفة والمروءة ، ليس
له من الأحوال ما يُشان بها)[٥] •

وتولى القسم المسكرية (بحلب مراراً)[٦] • فكان حسن السلوك
بين ورثة المتوفّين، لا يظلمهم كثيراً • وكان يتولى النيابة عن القاضي[٧]،
فيحسن السلوك • (وكان لايفهم بالتركية إذا ترافع إليه أهل الروم)[٨] •

---

(١) ساقط من : ت •
(٢) ساقط من : ل •
(٣) ساقط من : ت •
(٤) ساقط من : ل •
(٥) ساقط من : ل •
(٦) ساقط من : ت •
(٧) وفي ل : « وصار قائماً مقام القاضي •• » •
(٨) ساقط من : ل •

تعب تعبا شديداً ، وحصل له آخر الأمر من الرفعة الدنيوية أن صار مفتيا ونائبا وقساما عن قاضي العساكر ، وعن قاضي حلب ، وناظراً على نائب الدفتردار[1] ، والنظر على كتخداء[2] الباشا ٠ (وكان عفيفاً في أقضيته ٠ وله حسن معاملة مع أصحابه ومحبيه)[3] ٠

وامتزج بنصوح باشا[4] حين تولى كفالة الديار ، حتى صار الحلبية معه كالشيء الواحد ٠ وأعظم موجبات الامتزاج بغض[5] نصوح باشا للشيخ أبي الجود ، بسبب أنه[6] صاهر الينكجرية[7] الدمشقيين (وزوج ابنته بخداوردي أحد شوربجية عساكر دمشق)[8] فلما تولى حسين باشا

(١) الدفتردار : رئيس الديوان الملكي للحسابات ٠
(٢) الكلمة فارسية ، وأصل نطقها « كدخدا » ، وعربت بالتاء ٠ من معانيها : العمدة ٠ رئيس القبيلة ٠ رئيس المحلة ٠ المسؤول عن إدارة الدولة ٠ الوزير ٠ استخدمها العثمانيون بمعنى رئيس إدارة الدولة أو القصر ٠ ومثلها في المعنى كيخيا ، إلا أنها خصصت بمعنى صاحب القصر « كاخ يار » ٠ و « الباشا » فارسية بمعنى مساعد الملك أو رجل الملك مركبة من « با : رجل »و « شاه : ملك » ٠ وغدت في الدولة العثمانية رتبة تطلق على الوالي وعلى قائد الجيش ودون الملك ٠ وفي ت : نائب ٠
(٣) ساقط من : ت ٠
(٤) نصوح باشا الوزير الأعظم كافل حلب ، وشهرته تاصف باشا ٠ أصله من نواحي درامه من بلاد روم ايلي ٠ خدم أولا في حرم السلطنة ، ثم صار من المتفرقة ، وحكم ببلدة « زلة » ثم ولي كفالة حلب ٠ وكان عسوفاً في حكمه ٠ وبعد حروب طويلة ترك حلب الى القسطنطينية ، فاستقبله السلطان أحمد وزوجه بنته ٠ وبعد حين قتله سنة ١٠٢٣ ٠ ـ خلاصة الأثر : ٤٤٨/٤ ٠
(٥) وفي ل : نكاية ٠
(٦) الضمير عائد الى أبي الجود ٠
(٧) لفظها الطباخ « يكجرية » (٢٤٧/٣) بينما الغزي لفظها كالطباخ حيناً وحيناً « يكيجرية » ٠
(٨) إضافة من : ت ٠

ابن جانبولاد[1] كفالة حلب ، وأخرجوا نصوح باشا منها ، بعد طول المحاصرة (ووقع بينهما تلك الفتن والمحن)[2] ، ودخل حسين باشا حلب كان يهدد الشيخ ، وينظر إليه شزراً ، (ويسمعه هجراً[3]) . فهرب الشيخ أحمد من حلب ليلا ، حتى تدلى في حبال من السور ، ثم توجه الى طرابلس ، والتجأ الى بني سيفا[4] . (فاستقبلوه بالاجلال . فجلس هناك شهوراً قليلة)[5] ثم توجه الى مصر المحروسة . ثم حج الى بيت الله الحرام ، (وتولى الفتوى بعده شريف محمد أفندي قاضي حلب . وكان يكتب أجوبة الفتاوى . ثم بعثوا من قسطنطينية مفتياً اسمه محمود أفندي)[6] .

---

(1) أشيع بين الناس أن نصوح باشا يريد قتل حسين باشا وهو والي كلز (كلس) زاعما أنه عاص على الدولة مع أن حسين باشا لا يستحق من نصوح هذا الجزاء بعد أن ساعده على أنكشارية دمشق . وكانت الدولة تراعي حسين باشا لشهامته وشجاعته . كما كانت تخشى فتنة عشيرته . وانتصر حسين باشا في الحرب . وعين حسين باشا على حلب وعزل نصوح باشا . فلم يسلمه البلدة إلا بعد حرب وأمر سلطاني . خنقه سنان باشا . ودار الجنبلاط بحلب في البندرة . والكلمة فارسية معناها ذو الروح الفولاذية . ولم يذكر : ت الاسم .
- نهر الذهب : ١/٢٧١ و ٣/٧٧٥ .
- المعجم الذهبي .

(2) إضافة من : ل .

(3) ساقط من : ت . الهجر : القبيح من الكلام .

(4) بنو سيفا : حكام طرابلس في أواخر ق ١٠ ومطالع ق ١١ هـ . حظوا بشهرة كبيرة حظوة البرامكة في زمانهم فضلا وكرما . قصدهم الشعراء ومدحوهم . كانت لهم معارك مع فخر الدين المعني . أخبارهم متفرقة في كتب العصر العثماني .

(5) ساقط من : ت .

(6) ساقط من : ل .

واستمر في مصر حتى ذهبت دولة بني جانبولاد ، فقدم الشيخ أحمد حلب وعليه ثياب الصوفية ، واشتغل بالذكر وإقامة حلق الذكر في ليالي الجمع (على أسلوب والده)[1] ، وضم الى ذلك الصلاة على النبي ﷺ (على أسلوب الشيخ صالح البُلقيني[2]) . (وكان يأتي إليه نحو ألف إنسان ما بين ذاكر وناظر[3] . وكان يطيل مجلس الصلاة والسلام على سيدنا محمد ، حتى يملّ المصلي والسامع . فقال له أخوه الشيخ أبـو النصر : طريقنا قسم تهليل فيه صلاة على النبي ﷺ . وأحمد أفندي يقول : الصلاة على النبي بعضهم رجحها في الفضل على « لا إله إلا الله » . ثم طال الجدال بينهما حتى أصلح الشيخ أبو النصر مسجداً كان مهجوراً [في المحلة المذكورة ، في ساحة النيحاني][4] ، واتخذه للذكر في ليالـي الجمع . فكان الأكثر من الناس يأتون الى الشيخ أبي النصر لكون ذكره بالنغم والأساليب الحسنة مع العبادة . ومجلس أحمد أفندي عبادة محض)[5] . وترك الناس والحكام . وكان يقرىء الطلبة الدروس ، ويبذل لمن حضره طعام الفقراء .

وكتب مرة على حجة « نقـل من السجل المصان » . فنوقش بـأن صوابه « المصون » . وسألني مرة : لمَ كان اسم الفاعل مع فاعله ليس بجملة ، والفعل مع فاعله جملة ؟ فأجبته : لما لم يختلف في استتاره تكلماً

---

(١) ساقط من : ل .

(٢) الكلام ساقط من : ل . هو صالح بن عمر البلقيني الشافعي شيخ الإسلام . من علماء مصر في الحديث والفقه . تولى الافتاء والتدريس سنوات عديدة وتوفي سنة ٨٦٨ هـ .

(٣) وفي ل : وبين ناظر .

(٤) إضافة من : ب .

(٥) إضافة من : ب و ل .

وخطاباً وغيبة، (بخلاف الفعل)[1] عومل معاملة المعدوم . فأعجبه مني، ودعا لي بخير .

(وكأن الله أطلعه على انقضاء أجله)[2] ، فزار والدي قبيل موته (بنحو ستة أشهر)[3] . فقال : أنت شيخي ، أريد رضاك عني . فقال: أنا راض . فقبّل يد الوالد ، ثم عطف على قدميه لتقبيلهما فامتنع الوالد . (فأقسم بالله عليه أن يمكّنه ففعل . فما مضى هذا الأمر بعد ستة أشهر إذا بالشيخ مات الى رحمة الله سنة اثنتين وعشرين وألف)[4].

ومن نظمه حين أحب أخوه شابا يقال له محمود ، فأنشده :

قد قلت للأخ لما زاد في شغف : أرفق بنفسك إن الرفق مقصود
فقال : لاأبتغي عن ذا الهوى بدلا هواي بين أهيل العشق[5] محمود

[وله أيضا في بياض قلعة حلب :

يمين قلعةُ الشهباء أضحت عروسا عَرفها مسكا يفوحُ
وقالت : أرّخوا عني بياضي فأرّخنا : مبيّضُها نصوحُ[6]]

ودفن رحمه الله في قبور الصالحين . فقدّر الله بعد مدة ، حين مات والدي ، أنه دفن الى جانبه لما بينهما من تمام المحبة[7] .

---

(١) إضافة من : ت .
(٢) إضافة من : ل .
(٣) إضافة من : ل .
(٤) ساقط من : ل .
(٥) البيتان نقلهما المحبي : ١/٢٨٤ .
(٦) البيتان مذكوران في : ب ، وساقطان من ل و ت .
(٧) المقطع مذكور في : ت فقط .

١٠ ـ أحمـد بن محمـد

سليل القطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني[1]، قدّس الله سرّه، الحموي الشافعي، شقيق الشيخ عبد الله. رنا المجد إليه بعينين نجلاوين رفعة وشرفا، وساعده الدهر بزنادين قويين مريدين وخلفا. أنزله السعد بأشرف مَغنى، وجذب مغناطيسُ أسرار جدّه الناس إليه فرادى ومَثنى. بوّأته المعالي منازلها، ودرّجته الصدارة مراحلها، (وعلمته مجريات[2] الدهور كيف يتلقى في المجادلة منازلها)[3].

١٩ طلعت في أفق السيادة بدور كماله، / واقترنت في بروج الرفعة بعيوق الكمال شموس إجلاله، كيف وهو من أطيب سلالة، وأنجب حسب، وأصدق شرف، وأعرق أصالة ؟

---

(١) شيخ الطريقة الكيلانية الكبرى. نسبتهم الى بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال هي «كيلان» أو «كيل». والنسبة إليهما بعد التعريب: الكيلاني، الجيلاني، الجيلي. مؤسسها عبد القادر (٤٧١ ـ ٥٦٣) ولد في كركوك وتفقه في بغداد. كان من أشهر صوفيي زمانه. كتابه «السفينة» مخطوط في برلين.

ـ اللباب: ٣٢٣/١.

ـ شذرات الذهب: ١٩٣/٨.

(٢) صوابها: ما جرَيات.

(٣) ساقط من: ت.

نتيجة أصل امتدت فروعه ، ونمير صلاح طاب ينبوعه[1] • (زهرات رياض المعارف ، وثمرات حدائق اللطائف • بلغ عمراً أحنى بان قامته، وأدرك دهراً غيّر صفو حالته • فطارت شبيبته ، وفرّت قوته ، ودق عظمه وإن شبّ ذكاؤه وفهمه • دانت له الأكابر ، وكبرت به الأصاغر، وشاع فكره ، وتأرّج عطره)[2] • أقدموا في قطع عقبات النفوس ، حتى ارتقت بالاقدام أقدامهم ، فوضعت على الرؤوس ، وخضعت لهم صناديد الرجال فطأطؤوا أعناقهم بلا جدال • البيضة منهم بألف ، والفرخ لا يقوّم •

أوت حماةُ الى حماه ، ولاذ القطر الشامي بمثواه • وصدق جده حيث نطق جدّه :

إذا كان منا سيد في قبيلة حماها[3] وإن ضاق الخناق رعاها
وما اضطربت إلا وكان رئيسها[4] وما اختبرت إلا وكان فتاها
ولا ضربت في العالمين خيامنا فأصبح مأوى الطارقين سواها

تولى خلافة (السادة القادرية)[5] بعد أخيه الشيخ عبد الله ، وحظي بكثرة المال والعقارات والبيوت الحسنة المطلة على نهر حماة • حتى قيل: دخلها السلطان سليم[6] فاتح بلاد الشام ومصر، فقال عنها «جنات تجري من تحتها الأنهار »[7] • مع سلامته عن التدنّس بتعاطي أموال

---

(١) وفي ل : زكت ينابيعها •
(٢) ساقط من : ل •
(٣) وفي ل : رعاها ••• حماها •
(٤) الصدر ساقط من : ل •
(٥) إضافة من : ل •
(٦) السلطان سليم بن السلطان بايزيد الثاني حكم من ٩١٨ ـ ٩٢٦ •
(٧) الآيــة : ٧٢ من سورة التوبة : ٩ •

المصادرات[1]، والدخول في مظالم أهل محلته بأخذ مال على اسم الحاكم. ولا يكلف أهل محلته الفقراء مساعدته على إقراء الضيوف، كما يرتكب ذلك بعض أقاربه. ويطعم الواردين ضيافة لا كلفة فيها، خيار الطعام ما حضر. فانه كان يميل الى كثرة الناس عنده، وإخراج الأطعمة الكثيرة والتقيد بمثل ذلك كما كان يفعله أخوه الشيخ عبد الله.

وأما أخوه الشيخ عبد الله فانه كان بحراً يتلاطم بالأمواج من السخاء. حتى إن رجلا من حماة كان ليلة في الحرم الشريف. فلما خلا المطاف نادى المذكور العلامة شيخ الاسلام محمد البكري، وقال: تعال حتى نتبخر نحن وأنت. ففعل ذلك، ووضع الشال عليهما. فقال له من داخل الشال: الشيخ عبد الله من الأبدال[2]. فانهم ما نالوا تلك المرتبة إلا بالسخاء، وسلامة الصدور. وعلامته أن لا يعيش له ابن[3].

وقد حظي بالكلمة النافذة وتسخير قلوب الوزراء والأمراء (والقضاء والعلماء)[4] إليه، خاضعين مقبلين يده طالبين رضاه، قلوب الملوك بين اصبعين من أصابع الرحمن. (وأخذ أغلبهم عليه طريقة الأستاذ الشيخ عبد القادر الجيلاني. وكان لا يخرج لزيارة حاكم ولا لغيره أصلا)[5].

وكان دائماً يحتفظ على مكاتيب الأكابر الواردة عليه؛ يُظهرها للناس، ويقول: جاءني هذا المكتوب من فلان وهو تلميذي؛ أخذ عليَّ

---

(١) كذا في ت، وفي ب و ل: الصدقات.
(٢) الأبدال: رجال الله يسيرون بقدرته، ويمتقدون بجبروته وقوته.
(٣) المقطع ساقط من: ت.
(٤) ساقط من: ت.
(٥) ساقط من: ت.

العهد وألبسته التاج ، (والباشا الفلاني بعث إليَّ هذا المكتوب)[1] ، وفلان يقبّل يدي بل قلمي . والظاهر أن قصده التحدث بنعمة الله وإظهار المهابة ، ليرتدع حكام حماة وبعض سفائهم عن ضرره وضرر أتباعه . (وكان كثير الصدقات جداً ، وكان كثير الهدايا الى الحكام . بعث ثلاثة آلاف من الغروش صدقة للجامع الأزهر ، وبنى جامع المعرة ، وجامع أريحا[2] ، ومسجداً في بيت المقدس ، وكان إذا سافر الى بلد لا يحب أن يدخلها بالشهرة والجماعات والأعلام ، كما هي[3] عادة المشايخ)[4] .

ولقد قدم حلب مرات ، فحظينا بأخذ الخلافة القادرية عنه . فرأيته رجلا مخلصاً في أعماله ، غريبا في أحواله ، عجيبا في أطواره ، وقد يفعل أمراً على خلاف العادة فيشتد الملام عليه ، ثم ينظر بعد ذلك بعين الانصاف ، فيجد المتفحص الحق في جهته . ولقد كان الشيخ محمد المصري مفتي أريحا من مريديه ومحبيه ، بذل له القرى حين مر عليه في أريحا . ثم بعد مدة متطاولة اشتاق إليه . فبعث يستأذنه في المجيء إليه الى حماة ، فقال له : لا يأتي هذه الأيام ، وأنا إذا أردته بعثت إليه أطلبه فبعد شهر توجه الشيخ محمد بالهدايا وجماعة من أعيان أريحا حتى وصل إليه ، فردَّ هداياه وقال له : ارجع هذا الحين الى وطنك ، فتحير

---

(١) ساقط من : ت .

(٢) اريحا : بلدة قرب حلب على طريق المسافر الى اللاذقية . وتعد مصيفاً لحلب ومتنزّهاً لأهلها . ذكر ياقوت أنها « ريحاء » ، من غير همزة في أولها .

(٣) في ل : هو ، وساقط من : ت .

(٤) ساقط من : ت .

في أمره ، فنزّل حقيبته عند ابن عمه الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ ، فأقراه تلك الليلة / ، ثم قال له : يا مولانا ، كنا نود أن تجلسوا عندنا ٢٠ الشهور،ولكن أخاف أن يسمع الشيخ بانزالي لك فيغضب عليّ وعليك • فتحيّر الشيخ محمد حياء من أهل ولايته • فبعث إليه (بالخفية جماعات يتوسلون بالشيخ، لعله يأذن بالاقامة)[١] يقول:لا تفضحني بين قومي • (فقال له : أنا شيخك ، ونهيتك عن المجيء ، فلمَ خالفتَ كلامي ؟ ارجع الى بلدك)[٢] • (حتى رجع الى وطنه بخفي حنين • وقصد الشيخ ، رضي الله عنه ، تعريف المريد صدق التلمذة)[٣] •

وكان إذا مر على قرية نزل عند محبيه من الفقراء • فاذا أراد أهل القرية إتحافه بالضيافات قال : والله ما آكل إلا ما تيسر ، وإن فعلتم أكثر أترك الطعام • ويعطي من نزل عنده مقداراً أكثر من ضيافته ويقول : هذا بدل ضيافتك، لا تتكلف لي ، أنا ما أقدر أكل النفيس[٤] •

وكان من إخلاصه إذا استقبله فقراؤه بالذكر والأعلام ، كما هو عادة المشايخ ، يقول : لا تفعلوا • ولما جاء نصوح باشا الى حلب ، وهو وزير أعظم،(لما قدم من آمد)[٥] ، وكان عنده الشيخ فتح الله البيلوني[٦]

---

(١) ساقط من : ت •
(٢) ساقط من : ل •
(٣) ساقط من : ت •
(٤) المقطع ساقط من : ل •
(٥) ساقط من : ل • آمد أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا • تقع على نشز دجلة وفيها بساتين ، النسبة إليها « آمدي » (ياقوت) •
(٦) فتح الله بن بدر الدين بن محمود بن محمد البيلوني الحلبي العمري الشافعي الانصاري • ولد سنة ٩٧٧ • رافق نصوح باشا الى عدد من البلاد ، فعلا مقامه • له تآليف عدة وديوان مخطوط في باريس • توفي سنة ١٠٤٢ •
ـ سلافة العصر : ٣٩٨ •
ـ خلاصة الأثر : ٢/٢٥٤ •

(رابطة حلّه وعقده ، وكانا أخذا عهد القادرية عليه)[1] بعث الشيخ أحمد إليه عند قربه من خيام الوزير ، وقال : أين أنزل ؟ ورجا من الشيخ فتح الله لكونه أخذ عليه العهد أن يسعى في بيان مقداره عند الوزير وإجلاله • فقال :(ما أنا متفرغ لهذا الأمر ، ولا الوزير الأعظم • ولكن الشيخ ينزل أرض الله واسعة ، لا بأس أن)[2] ينزل في تكية الشيخ أبي بكر في الجبل • فغضب الشيخ أحمد من ذلك وقال : وتربة الكيلاني لا أنزل إلا في خيام الوزير عنده • فركب بغلته وجاء في الحال الى الوزير فأجلّه غاية الاجلال • ثم سأله : أين نزلتم؟ قال : لاأنزل إلا هنا عندك • فقال : حبا وكرامة • فوضعه تحت خيمة عظيمة بجانبه • وأمر خدامه بالقيام بوظائف خدمته ، وأكابر دولته بالوقوف تحت اوامره • فعرض على الشيخ فتح الله ، بعد ما زاره ، الشيخ فتح الله مرارا دفتر الهدايا التي يقدمها الى الوزير فوجدها تشتمل على التحف الكثيرة التي تبلغ الألفين من الغروش • فقال : يا شيخ انت ما تركت في بيتك شيئا ! قال: معي مال كثير ، ولا ولد لي ، والوزير يصرفه على عساكره • (وانا في غنية[3] ولله الحمد • ومرادي مجرد المحبة للوزير • قيل : قال له بعض المنكرين لو أعطيتموها للفقراء ، فقال : أنا ما أهادي الحكام إلا لأجل الفقراء ومصالحهم)[4] • (ثم قبل الوزير تلك الهدايا ، وعوضه) أضعافا مضاعفة ، فأبى الشيخ أن يقبل هدايا الوزير سوى بعض مآكل

---

(١) وفي ت : « مقبولا غاية القبول » •

(٢) ساقط من : ت •

(٣) الغنية : الاكتفاء واليسار •

(٤) ساقط من : ت •

حسنة • (ثم إنه طلب من الوزير إزالة مناكر في حماة ، فبلّغه جميع قصده)[1] •

ومن عجيب أمره أن له حجرة كبيرة ، أخذها الأمير ابن الأعوج[2] في غيبته ، ووضعها في حمام له بناها ، وبقي إخراجها صعبا • فلما رجع من الحج استقبله ابن الأعوج ، فأسمعه ما يكره ، وقال : لا بد أن تعيد الحجرة الى مكانها • فلا زال ابن الأعوج يسترضيه حتى جعل له ثمن الحجرة مئة غرش وخمسين غرشا[3] • فقال له : لا تتعبْ، لو أعطيت بثقلها الماس لاأرضى إلا باعادة حجري الى موضعها • فوضعها في موضعها •

ومن عجيب أمره أنه كان بينه وبين أمير حماة ابن الأعوج شحناء بسبب ظلم ابن الأعوج • فقدم وزير تولى مصر القاهرة ، وابن الأعوج خدمه ، فلم يحسن للوزير زيارة الشيخ أحمد • فقال الشيخ لبعض جماعته أصحاب العقول : اذهب الى كتخداء الوزير ، وقل له : عندي بعض صدقات لأهل الجامع الأزهر ، مرادي أن يكلف خاطره ، ويحضر عندي حتى أعطيه إياها[4] • فحضر الكتخدا • ففي الحال أعطاه نحو ثلاث ماية غرش ، وأمره أن يتصدق بها على أهل الجامع الأزهر • وأعطاه لنفسه من الهدايا ما ينوف على ماية وخمسين غرشاً • ثم لما

---

(١) ساقط من : ل •

(٢) هو الحسن بن محمد ، ابن الأعوج ، أبو الفوارس • أمير حماة وابن أميرها ، وأحد الشعراء والأدباء • كان زينة أمراء عصره ، وشعره حسن • أثنى المحبي عليه •
ـ خلاصة الأثر : ٢/٢ •
والخبران ساقطان من : ت •

(٣) في ل : غروشا •

(٤) في ل : إياه ، ولعلها كما ذكرنا •

قام من عنده قال له : عندي نحو ثلاثة آلاف غرش كان مرادي أسلمها للباشا ، يعطيها صدقة لأهل الأزهر ، لكن ما زارنا • كان عادة الوزراء أن يزورونا • ولكن نصبر حتى يمر علينا وزير مثله نعطيه إياها • فاجتمع الكتخدا بالباشا وقال : هذا قطب العالم • ففي الحال جاء إليه الباشا زائراً ، وقبل يديه ، وفي صحبته ابن الأعوج أمير حماة • فقال للباشا : ابن الأعوج قريبنا يكون نظرك عليه ، لكن عجزت أنصحه حتى لا يظلم العباد ، لا يسمع مني • ثم أعطاه[1] • فكانت نكاية منه لابن الأعوج،حيث لم يحسن له زيارته• وأعطى الوزير الدراهم لأهل الأزهر، وخدم الوزير بهدايا تساوي خمسماية غرش • فلما ذهب الوزير قال [الشيخ][2] لجماعة نفسه : جئت بالوزير رغما على أنف ابن الأعوج ، وجعلت قيمة ابن الأعوج عند الوزير كالكلب[3] •

وكنت مرة في زيارة أبي الجود أفندي ، وكان أخوه أبو اليمن المفتي في زيارته أيضا • فذكر الشيخ عبد القادر الشيخ أبو الجود ، وأطال في بيان إجلاله وتعظيمه • فقال أخوه كان الشيخ عبد القادر وليا لكن ما أظن أنه كان عالما • وما ذكر في الكتب فانما هو من أقوال جماعته / ومعتقديه• فقلت له: بل كان عالما يفتي على مذهب الحنابلة والشافعية• ٢١ وهذا صاحب القاموس ذكره بعنوان كونه شيخ الاسلام • فلما رجع الشيخ أبو اليمن بعث يقول : طالعت المحالّ التي يحتمل أن يذكر فيها ، فلم أجد • فأرسلت إليه النقل ، وهو في باب الراء فصل الباء :

---

(١) في ل : أعطى •

(٢) إضافة من : ب •

(٣) النص ساقط من : ت •

« البُشتريُّ : وهو شيخ الاسلام عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ، هكذا نسبه حفيده القاضي أبو صالح الجيلي • انتهى »[1] •

وبالجملة فلقد كان صاحب الترجمة تقيا ، صالحا ، كاملا ، مهابا ، معتقداً • جاوز التسعين سنة ، وحج مراراً وزار بيت المقدس •

توفي سنة ثلاثين وألف ، (ودفن بحماة ، وخلّف بنتا • وصُليت عليه صلاة الغائب في الجامع الكبير • رحمه الله تعالى)[2] •



(١) ذكر الفيروزآبادي التعريف في معرض الكلام على الحافظ علي بن جبارة البشتري• وهو شيخُ عبد القادر ، وليس شيخ الإسلام •

(٢) ساقط من : ل •

١١ ـ أحمد العناياتي(*)
الشاعر المشهور

المقدسي المولد ، الدمشقي الموطن والمدفن ، الشافعي المشهور بالعناياتي • كان في ابتداء عمره يصنع القماش المشهور بالعنايات(١) ، المركب من أبريسم وقطن •

الناظم بأقلامه منثور الآداب ، المطرز موشي أرقامه حلة كل كتاب • المجدُّ بجواد فهمه في ولوج فقار المعاني من أطرافها ونواحيها ، والراكب متن الفطنة لسلوك مصاعد الغرائب ومهاويها • فهو شعار الأشعار ، وعنوان شرف الأدب والفخار • مورد الظمآن ، وسلوة الثكلان ، ومنبع القصائد ، ومجمع الفوئد ، وقاموس اللغات ، ومفصَّل مجمل صحاح الكلمات ، (المغرب المطرب بفصيح اللغات)(٢) •

خلع العذار ، ورفض أثقال الوقار ، واصطلى بكل نار ، وألقى ولاء المطامع في كل الآبار • ونظم الجمان في التغزل بالحسان ، منازلا حلاوة الوصل ، متجرِّعا مرارة الهجر والفصل • (تزدحم المعاني في أبواب أفكاره ، وتتفاخر القوافي على أشعاره بسحر آزرى منسوج شعره

(*) أحمد بن أحمد بن عبد الله ••• النابلسي الأصل المكي المولد ، نزيل دمشق • الشاعر المشهور بالعناياتي ، أحد بلغاء عصره • له ديوان مشهور فيه كل الأغراض • انتقل أبوه من نابلس الى مكة وتزوج هناك فولد أحمد • تنقل في البلاد الشامية حتى استقر في دمشق سنة ٩٨٧ • أقام في جامع هشام ثم في المدرسة الباذرائية حيث توفي فيها • كان خلق الثياب • والعناياتي نسبة الى أبيه أبي العنايات •
ـ خلاصة الأثر : ١/١٦٦ •

(١) العنايات : نوع من النسيج •
(٢) ساقط من : ت •

بحلل اليمن ، ويتلمظ الناظرون منه حلاوة عدن)[1]٠ عذري الصبابة، أصمعي النجابة، سروجي السنن[2]، أشعبي الطمع في كل ذي وجه حسن٠ (يمدح الكبير والصغير ، والمأمور والأمير)[3] ٠

كان المذكور من أعيان الشعراء ، وكان يجالس العامة والخاصة ، ويمتدح الجميع ، ويأكل البرش[4] والأفيون ٠ يتعمم بالمئزر العسكلي، ويلبس الثياب الرثة ٠ ومن شعره :

قلبي علـى قدك المشوق يالهفي	طير على الغصن أم همز على الألف؟
وهـل سويداه أم خال بخدك أم	خويدم أسود في الروضة الأنف
أم بدر تم بدا في ظلمة السدف[5]	وهـذه غـرة في طـرة طلعت
تخفي النجوم بنور البدر، وهو بنو	ر الشمس، وهو بنور منك حين خفي
يا بدر قلبي فطرفي ذاك منتصف	بالوصل منك ، وهذا غير منتصف
القلب واصلت[6] فيه وصل ممتزج	والطرف صديت عنه صد منحرف
ظبي تـألفت فيـه غـير ملتفت	غصن تعطفت منـه غـير منعطف
شفاء حر غليلي بـرد ريقتـه	والبرء من دنفي في لحظة[7] الدنف
ويلاه من ورد خـد غير مقتطف	منه ، ومن خمر ريق غير مرتشف

---

(١) ساقط من : ت ٠

(٢) السروجي هو أحمد بن ابراهيم ، فقيه حنفي ينعت بقاضي القضاة ٠ أشخص من دمشق الى مصر وتوفي هناك سنة ٧١٠ ، نسبته الى سروج بنواحي حران ٠ له « شرح الهداية » ست مجلدات (كشف الظنون ــ السنن) ٠

(٣) ساقط من : ت ٠

(٤) البرش : نوع من الأفيون ٠

(٥) كذا في : ت ، وفي ل : الصدف ٠ السدف : الظلمة ٠

(٦) كذا في : ل و ب ، وفي ت : واصل ٠

(٧) دنف المريض : ثقل مرضه ودنا من الموت ٠

عــذلت عاشقَ عــذل في تعشقه ... فاعجبْ لذي شغف يلحي على الشغف

يظن أن ســواه منــه لــي خلف ... أساء بالظن ما للروح من خلف

لا والزبور وتوراة[1] الكليم وإنـ ... جيل المسيح، وما في الذكر والصحف

لا كنت إلا فتى في الحب يعذب لي ... مر العذاب ويحوي ألفــة التلف

عذريُّ عشقي عذيري فيه متّضح ... كوجهه وهو مثل الشمس السدف

فنيت صبراً[2] بخصر منه مختصر ... وزدت وجداً بردف منــه مرتدف

جددت دمعي وخدي جــد مؤتلف ... فيــه وطرفي ونومي جــد مختلف

يطــير قلبي الى ألحاظــه شغفــا ... فأعجب له كيف يرمي السهم بالهدف؟

ياأيها الرشأ الضاري على مهج الـ ... آسادِ بالسيف من جنيه لم تخف

بما بحسنك من تيــه ومن صلف ... وما بعشقي من ذل ومن صلف

وما بحبي مــن هجــر ومن شغف ... (3)

الله من كبد في الوجد مــن كمــد ... إليك أسرف فيها الشوق في السرف

وأدمــع أغرقتني أحرقتني مــن ... حــر وقفت على حتفي ولم تقف

ومغــرم مالــه من مسعــد لعبت ... به اللواعجُ لعب الريح بالسعف

أشفى محاق الضنى، لما هجرت به، ... على التلاف ولــو واصلته لشفي

يا باخــلا بلقــاه بــاذلا لدمــي ... فالوعد يخلف منه ، والوعيد يفي

حزت الجمال، ألا تولي الجميل فقد ... يصادف الحسن بالاحسان في الصدف

وقولــه :

إلمَ ألامُ في خــد تعــذَّرْ ؟ ... وهاجسدي وها جلدي تغيَّرْ

---

(١) في ل : تورية .

(٢) كذا في : ل و ب ، وفي ت : مقما .

(٣) العجز ساقط من النسخ الثلاث .

ومالـــي معتق منــه ورقّـــي غـــدا في رق وجنتــه مسطــر
وكان بأبيض الخـد افتتاني فكيف إذا بعارضـــه تخضّر؟
وبـين عــذاره والخدّ قلبي كليــم هــام بالقبس المشجر
يشبهــه علــى خديــه فكري بأرقــم في ربــى ورد تخـدر
وإلا جــدول مــن لا زورد على ز نجفر وجنته[1] تحدر
أو الآسي أتــاه بعــرق آس ليجبر ذلــك الجفن[2] المكسر
بروحي بهجة الروض الذي من محيــاه بعارضــه تنور /
فيالك عارض لسحاب جفني[3] ببــارق ثغــره الدري أمطـر
سقى ليلات زورته ، ومالــي بغــير عــذاره نمــام محضر
ووردي من رضاب الثغر صاف وعيشي من نبات الخد أخضر

٢٢

وقدم حلب مرات متعددة ، (وما رأيناه · لكن كنا نسمع بذكره · وأظن أنه مات في سنة ثمان وألف)[4] ·

---

(١) اللازورد : حجر قاس أزرق اللون، مركب من الفوسفات المسقي والألومينيوم والحديد والمنغنيز والكلسيوم · الزنجفر : معرب « شنكرف » جسم أسود · وهو في طبيعته خيوط وعروق يستخدم في مجال الرسم ·

(٢) الأسي : الطبيب · آس : زهرة برية صغيرة ·

(٣) وفي ت : دمعي ·

(٤) ساقط من : ت ·

١٢ ـ أحمد بن عمر الحمامي(*)

العلواني أولا ، الخلواتي آخراً ، الشافعي ، طاوي شقة الراحة ، وناشر ألويــة الصلاح والصباحة ، (الخافض للمريدين جناحَه)[١] . حامي ذمار السلوك وحوزته ، وماحي رسوم الشيطان (وبدعته)[٢] . لم يدنس بشَنار[٣] ، ولا بشعار العــار . الفارُّ بأجنحــة الاخلاص ، المرتقي في معارج الخواص ، المنتهج سنن الشبلي[٤] والخواص ، لــجَّ لجنة التوحيد وغاص ، ونازل تيار التفريد وحاول الخلاص ، ولات حين مناص .

رفل في ثياب الخشوع ، وصار حليف السجود والركوع ، وتجافى عــن مضاجع الهجوع . وطلق الدنيا ولذاتها ، وقذف في يــمِّ اليــأس

★ أحمد بن عمر الحمامي العلواني الخلوتي الشافعي ، نزيــل حلب . تأدب على يد المؤلف العرضي . خرج من حماة ونزل في حلب بمحلة المشارقة . توفي سنة١٠١٧، ودفن بجانب الشيخ شاه ولي ملاصقاً مقام الخليل . نقل المحبي حياته من هنا .
ـ خلاصة الأثر : ١/٢٥٧ .
ـ إيضاح المكنون : ٣/٩٩ .

(١) ساقط من : ت .

(٢) وفي ل : « بمعارفه وعبادته » .

(٣) الشنار : العار .

(٤) هو أبو بكر الشبلي ، دلف بن جحدر . ناسك اشتهر بالصلاح . تــرك الأعمال الادارية ليعتكف على عبادته . وسلك مسالك المتصوفة . وله شعر جيد في التصوف . ببغداد سنة ٣٣٤ هـ .

شهواتها . (وألقى عصا التسيار ، وأدلج في قفار الطاعات وسار)[1]. واقتنع بسدّ الرمق ، (وواصل غادة الأسرار واعتنق)[2] ، (وانقادت النفس للروح الملكوتية واسترق)[3] . سهر والناسُ نيام ، وكدح في العبادة مفترشا للأقدام ، (وسامر الظلام)[4] .

أنشد لسان حاله (في رمضات كماله)[5] ، قول من صدق في كماله :

كـان لي ظـلٌ رسوم	فاستوت شمسي فـزالا
عشت بالمحبوب حقـا	بعـد ما كنت خيـالا

تأدب على أيدي أستاذه الشيخ أبي الوفاء العلواني . قرأ عليـه في مقدمات العلوم ، وخدمه ولازمه في حضور مجالس شكوى الخواطر . ثم سلك على يد ابن أخيه الشيخ محمد ، فكان بينه وبين الشيخ علوان[6]، قدس الله سره ، رجل واحد[7] هو الشيخ أبو الوفا بن الشيخ علوان .

(1) ساقط من : ل .
(2) ساقط من : ل .
(3) ساقط من : ت .
(4) ساقط من : ت .
(5) ساقط من : ت . وما بعد البيتين ساقط من ت .
(6) علي بن عطية بن الحسن شيخ الفقهاء ، الشيخعلوان الهيتي الشافعي الحموي الصوفي الشاذلي . تآليفه كثيرة ومشهورة ولا سيما في الفقـه والأصول والتصوف ، منهـا « الجوهر المحبوك » نظم و « مصباح الدراية » و « شرح تائية ابن الفارض » . طبع بعضها وما زال كثير منها مخطوطآ ، وله شعر . توفي في حماة سنة ٩٣٦ .
ـ الكواكب السائرة : ٢/٢٠٦ .
ـ شذرات الذهب : ٨/٢١٧ .
(7) في الأصل : رجلا واحدا .

ثم خرج من بلدته حماة ، لحدة مزاجه ، وضيق أخلاقه . وذلك بعد موت مشايخه . فورد حلب ، ونزل بمحلة المشارقة[1] . وكان حينئذ يكتسب بالحياكة . ثم مل من الحياكة ، وجلس بمسجد الشيخ شمعون بمحلة سويقة حاتم[2] قرب الجامع الكبير . فكان يقرىء المبتدئين في الألفية النحوية وشرح القطر ونحو ذلك . ويقرىء في المنهاج الفرعي ، وكان يقتنع بسد الرمق ، يلبس الثياب الخشنة كالعباءة[3] والقميص من الخام، مع قدرته على لبس أحسن من ذلك. ثم تردد الى دروس الشيخ أبي الجود المفتي بحلب ، لأنهما كانا علوانيين فيه . فيسمع التفسير وما يقرأ على الشيخ أبي الجود . وكان يرسل له الشيخ أبو الجود كل ليلة سطلا من الشوربة . ثم أخذ يشكو الخواطر على طريقة العلوانية ، وكيفية شكوى الخواطر ؟ إنه يوم الجمعة صبيحة النهار يقرأ أوراد العلوانية،ويستمر يذكر الله تعالى حتى ترتفع الشمس على قدر قامتين. ويجلس السامعون بعضهم الى ظهر بعض. ثم يطرق الشيخ رأسه ويقول: أستغفر الله . فكل واحد يقول كذلك بمفرده . ثم يشكو بعض جماعات منهم ما لاح في ضميره ؛ هذا يقول مثلا : أجد نفسي تميل الى الأطعمة

---

(١) تقع محلة المشارقة على ميمنة الداخل من طريق الشام وتكون محلة الجميلية على ميسرته . فيها جامع البواكب (نهر الذهب ٢/٣١٣) . وما زالت من الأحياء الشعبية ، التي جدد قسم منها .

(٢) تقع في حلب القديمة ضمن الأسوار ، يحدها جنوباً الجلوم الكبرى وغرباً جب أسد الله وشرقاً سويقة علي (السويقة الحالية) ، والسكنى فيها مرغوبة لقربها من الجامع الكبير . وكانت تدعى محلة السهيلة .

ـ نهر الذهب : ٢/٢٣٥ .

(٣) في الأصل : كالعباة .

الطيبة ، وعجزت عن دفعها • وهذا يقول : أشغلني عن عبادة الله آمور العيال • وهذا يقول : ما معنى قول ابن الفارض :

روحي فـداك عرفت أم لـم تعرف[1]

وهذا يقول ما معنى قوله تعالى : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين »[2] •

وبعد الفراغ عن السؤالات يشرح لهم الخواطر واحـداً واحـداً ، ويستطرد • حتى حضرته مرة ، فاستطرد الى أن حكى أنه لما كان في خدمة الشيخ أبي الوفا وجده في الليل نائما بالزاوية في إيوان[3] أيام البرد • فأيقظه وقال له : يا أحمد أوصيك، لا تتخذ لك بيوتا سوى المساجد ليلا، تحاسب عليها في القيامة • وذكر أن شيخه أعطاه مفتاح خزانـة الزيت ليعطي للمسجد منها / ما احتاج • فكان يسمي الله ويعطي • واستمـر مدة طويلة حتى حمل الحسد رجلا قال للشيخ : إن أحمد لا يقدر علـى حفظ الزيت • فسلمه الشيخ المفتاح ، وعزل الشيخ أحمد • فما مضى نحو أسبوع وإذا بالرجل قال : فرغ الزيت • فقال الشيخ : سبحان الله ! كانت البركة في يد أحمد • ولو استمر المفتاح عنده كان الزيت يقيـم سنوات !

٢٣

وكان ، رحمه الله ، يحبني ، ويشهد لي بالولاية • حتى كنت أقبل يده ، فيبادر الى تقبيل يدي ، رحمه الله •

---

(١) وصدره : قلبي يحدثني بأنك متلفي

(٢) الآية : ٤ من سورة الفتح : ٤٨ •

(٣) الايوان : الصفة ، الشرفة ، القسم المسقوف الأمامي من البناء من غير أن يكون له نافذة أو باب (المعجم الذهبي) •

وله مؤلفات مقبولة ، منها « تورية الأرواح »[1] و « أعذب المشارب في لسلوك والمناقب »[2] المتن له منظوم ، والشرح له منثور • ذكر فيه الشيخ أبا بكر بن أبي الوفاء ، واطنب في مناقبه • وذكر فيه والدنا ، أطال في مدحه • وكان سأل الوالد أن المقرر أن النبي أعم من الرسول ، مع أن الله علق الارسال على كل شيء • فقال : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى »[3] دلت بصريحها أنه ما من شيء إلا وقد أرسل الله إليه • اجاب بأن الرسول المعرف بانسان اوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ذاك بحسب عُرف أهل الشرع • والارسال المراد في الآية الارسال اللغوي • قال تعالى :« وهو الذي يرسل الرياح »[4] ونحو ذلك •

ولم يعرف لذة الجماع أصلا سوى أنه تزوج بامرأة عجوز كان أخوها في خدمته • فطلبها منه لأجل السنة ، ودفع لها مقدم الصداق • وكان أخوها يقول له : يا مولانا ، هذه لا تليق بكم • أنا أنظر لكم امرأة صبية جميلة ، مهرها قدر أختي • فامتنع وتزوج بأخته • وجلس عندها تلك الليلة من غير جماع الى الصباح ، ثم طلقها ، ودفع مؤخر صداقها محافظة على السنة •

وكان يأمر مريديه بترك العلم ، ويقول : حصّلوا علم الوراثة • وبعث إليه خليل باشا بحلاوة مستطيلة على هيئة القصب ، محشوة بالفستق والسكر والعنبر الخام ، فنظر إليها وقال : هذه مثل الحيات

---

(١) ذكره حاجي خليفة من غير تعريف ، بينما أخطأ اسماعيل باشا فأسماه : تزويد الأرواح •

(٢) أعذب المشارب للحمامي صاحب الترجمة ، والكتاب في شرح منظومته المسماة « تورية الأرواح » •

(٣) الآية : ٥٢ من سور الحج : ٢٢ •

(٤) الآية : ٥٧ من سورة الأعراف : ٠٧

ثقيلة على القلب ، خذوا أطعموها لهنود الجامع الكبير[1]. فبعثها إليهم. فكانوا يأكلون ويبكون . فسألهم واحد : ما سبب البكاء ؟ قال : قلنا : هكذا الناس يأكلون الطيبات ، ونحن نأكل الطعام الرديء . قصد ، رحمه الله ، تأديب نفسه وتأديب مريديه .

ولما ورد شاه ولي الخلوتي[2] العارف بالله ــ وتأتي ترجمته ــ صاحبه الشيخ أحمد ، وتلمذ له ، وأخذ منه البيعة ، حتى تعجب الناس من حسن أخلاق الشيخ أحمد . وألبس الشيخ أحمد جميع مريديه تاج الخلواتية وشرع يقيم الذكر على أسلوب الخلواتية . فكثر أتباعه ، وقصده الناس من جميع أقطار حلب . إلا أن المشددين في الزهد ما أعجبتهم هذه الحالة، لكون الطريقة العلوانية محض سنة محمدية .

واتخذ له كرسيا صغيراً جلس عليه يوم شكوى الخواطر . فكان يقرأ بعض آيات قرآنية ، ويفسرها للناس . وأقبلت الدنيا عليه والنذورات. وزاره الحكام وأرباب الدول. ولما أدرك الشاه ولي الوفاة في حلب اجتمع عليه أهالي باب النيرب[3] وقالوا : يا مولانا ، ترك الشيخ أحمد طريقته وطريقة آبائه ، وتلمذ لكم . وهو عالم فاضل كامل ، فلا يليق بالخلافة غيره . فقال لهم : لا ، الخليفة عليكم بعدي قايا جلبي . وكرر هذا الأمر مراراً وهو يقول كذلك . ثم انحل الشيخ أحمد عن تلك الحالة .

---

(1) في الأصل : جامع الكبير .

(2) شاه ولي العيني الحنفي الخلوتي. كان في بداية أمره جندياً من أمراء المقام العثماني. ثم ترك ذلك وتبع الشيخ يعقوب ، واستقل فيما بعد بالمشيخة ، فأرشد ونصح . فكثر مريدوه . توفي سنة ١٠١٣ ودفن بحلب .
ــ خلاصة الأثر : ٤/٢٦١ .

(3) أحد أبواب حلب المندثرة . سمي بذلك لأنه يفضي الى قرية النيرب التي تبعد ١٠ كم شرقي حلب. وسمي الحي حوله حي باب النيرب (موسوعة حلب : ٢/١٩) .

وأدرك الشيخ أحمد الموت فقال : أشهد الله أني أموت على طريقة الشيخ علوان ٠ ومطلع قصيدته التي شرحها ومدح فيها بعض الأعيان ، منهم الشيخ والدنا رحمه الله قال :

إليك بك اللهم وجهت وجهتي وفيك إذا ماهمت ألفيت[1] همتي
لقد سدت الأبواب عني وقصرت أناديك بالتفريج[2] من كل شدة
سددت علي الباب كيما أراك في فؤادي تجلى أو صفا وقت خلوة /
لك الحمد إذ أظهرت في الكون سادة تحلى بهم ، والله ، جيد الملاحة
بهم كل جود في الوجود وما لمن أحبهم غير الهنا والمسرة
لك الحمد أن أشغلت فكري[3] بذكرهم
ويسرت[4] ما أمي بوصف المحبة
فهم نور عيني والجمال يحفهم وهم روح جسمي والحياة بجمة
لك الحمد فارحمني إذا ما ذكرتهم
بوصف جميل ، واصلح ـ الله ـ نيتي
لك الحمد فالهمني مناقب فضلهم ليزكو مقالي بالصفات الزكية

٢٤

وكان يلبس الخشن من الثياب ، يتعمم بعمامة ثخينة ، ينام فيها ٠

---

(١) الأبيات ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ ذكرها المحبي : ١ / ٢٥٨ ٠
(٢) في خلاصة الأثر : فأسلك التفريج ٠
(٣) في الخلاصة : قلبي ٠
(٤) في الخلاصة : شرفت ٠

وإذا جاءه الثوب الجديد جعله[1] فراشا تحته حتى يتسخ ، فيلبسه بعد ذلك • وربما اقتصر في اليوم الواحد على أكل رغيف واحد •

توفي سنة سبع عشرة[2] وألف • وصلى الشيخ الوالد على جنازته ، ولقنه • وصارت له جنازة حافلة ؛ حمل على أعناق الرجال من الأعيان• ودفن بجانب شيخه شاه ولي ، ملاصقا لمقام الخليل[3] ، صلوات الله وسلامه عليه •



(١) في الأصل : وجمله •
(٢) في الأصل : عشر •
(٣) مقام الخليل واقع في مقابر الصالحين • دعي المشهد بهذا الاسم لأن فيه قدما في الحجر ينسب الى الخليل (نهر الذهب : ٣/٣٦٧) •

١٣ ـ أحمد بن عثمان
الحموي الشافعي

المشهور بالشَّقندة ، نزيل حلب . ممن تقمص ثياب الطريق ، وتدثر رداء أهل التوفيق . وعكف على خدمة[١] المشايخ . وتسلق في ربوات المجد الباذخ ، والقدم الباذخ ، (فوجدها شاسعة البيادي ممتدة الفراسخ)[٢] . وابتغى في اكتساب العلوم سبيلا ، وان يستنهل منها سلسبيلا . فضرب بينه وبينهما السيور ، وقنع بزاد المقل والقصور . فاتخذهما للكفاية مستندا ، وللقوت عضدا ، وطالب القوت ما تعدى ، فلم يبرح بالشعارين قانعا ، وبالعنوانين للمعاش طامعا . مع سكينة ووقار ، وحسن سيرة ستلمحها الأبصار .

حتى بلغ من العمر غايته ، ورفع انحمام له بالمشيب رايته .(وكتب في طروس فَوده[٣] آيته . ورمى الدهر من قوس قامته على الغافلين نبالا ، فصارت لفلك المواعظ وآفاق النصائح هلالا . فحفَّها غائب الحِمام ، قائلا لحياته : سيري بسلام الى دار السلام)[٤] . ونزل في معاهد جسمه حتى أفسد ذلك النظام .

(تفيأ في عتبات الشيخ محمد بن الشيخ علوان[٥] ظلا ظليلا ،

---

(١) كذا في : ت ، وفي ل : عتبات .

(٢) إضافة من : ت . وما بعده مضطرب الاختلاف في ترتيب الجمل ، فارتأينا ترتيب:ت.

(٣) الفود : جانب الرأس مما يلي الأذنين الى الأمام ، أو الشعر الذي عليه .

(٤) تساوق الجمل هنا في : ل أفضل .

(٥) محمد بن علي بن عطية الشيخ الامام العالم ، ابن الشيخ علوان الحموي الشافعي الصوفي (من شرحه). أخذ علومه عن أبيه وعن غيره . توفي بمدينة حماة سنة ٩٥٤، وصلي عليه بدمشق صلاة غائبة (إيضاح المكنون ، ويذكر أنه توفي سنة ٩٣٦ ـ كشف الظنون : ١/٣٦٥) .

قائلا[1] في حدائقها ، قائلا بما أدرك من حقائقها)[2] • تأدب على يد الشيخ العارف محمد بن الشيخ علوان مؤلف « تحفة الحبيب »[3] ، وعلى أخيه الشيخ أبي الوفاء ، وقرأ عليهما في مقدمات العلوم • ثم رحل من حماة الى حلب، فقرأ على الشيخ الوالد، وعلى الشيخ محمود البيلوني[4]، وعلى الشيخ أبي الجود البتروني • ثم توجه الى قسطنطينية فأخذ له علوفات في مملحة الجبول والخزينة ومدرسة الصاحبية[5] • واشترى داراً في محلة المصابن[6] • حكى كثير من الناس أنه وجد في الدار آباراً من الزيت من قديم الزمان ممتلئة من الزيت فباعه وتقوى به على بناء البيت ، وبنى داراً شامخة البناء •

وكان يتعمم بالمئزر العسلي ، ويضع الرداء على عاتقه (كما هو



(١) من القيلولة : نوم الظهيرة •

(٢) ساقط من : ت •

(٣) اسمه « تحفة الحبيب فيما يبهجه من رياض الشهود والتقريب » ، في علم الطريقة • واسم الكتاب ساقط من : ت •

(٤) محدث حلب شيخ الاسلام محمود بن محمد البيلوني الشافعي • وانظر ترجمة أبيه قبل • والبيلوني : نسبة الى البيلون وهو ترابة حلبية تستخدم (وما زالت) في الاستحمام •
- الكواكب السائرة : ١/ف •
- ريحانة الألبا : ١/١٠١ •

(٥) مدرسة وتربة أنشأهما أحمد بن يعقوب ابن الصاحب سنة ٧٥٠ • وتوفي سنة ٧٦٥ ودفن في تربتها • ويدعى اليوم جامع الفستق بمحلة سويقة علي ، ما زالت بقاياه • واسم المدرسة ساقط من : ت •

(٦) قال الغزي (٢/٢٠٣) : « يحدها قبلة حارة سويقة حاتم وجب أسد الله وشمالا بحسيتا » • وكانت المحلة تعرف باسم قسطل الحجارين • وسميت بالمصابن لكثرة ما فيها من المصابن • أما اليوم فقد خلت من المصابن •

عادة العلماء)[1] • وكان له معرفة يسيرة في الفقهيات • وربما اطلع على قليل من علم الأصول • واستسقى بالناس ، فظن أن المذهب في صلاة الاستسقاء أن يبدل التكبير بالاستغفار ، فكان يرفع يديه / ويجهر بالاستغفار • وما علم أن صلاة الاستسقاء كصلاة العيد في التكبير ، وأن الاستغفار الذي يكون بدلا عن التكبير في خطبة الاستسقاء • فلام الناس القاضي ، فقال : قال لي الشيخ أبو الجود : هذا دعاء الى الاجابة أقرب لكونه شيخا كبيراً • والشيخ أبو الجود دعاه الى ذلك بغضه لوالدي • وكان والدي قد توفي ، فأراد أن يطفيء نوره، لكوني كنت أنا الواعظ • والعادة جرت أنني أستسقى • حتى إن الشيخ أبا اليمن قال للقاضي : لو أمرتم الشيخ أبا الوفاء لكان أحق • فقال : أخوك قال لي •

25

ولقد كان المذكور متعبداً فاضلا في الجملة • ولقد زار الشيخ أحمد الحموي الحمامي مرة، والشيخ أحمد كان أصغر منه • ولم يحظ بمشايخ الشيخ أحمد الشقندة ، لكن كان أفضل منه وأكمل • وكان مخلصا في العبادة والتقوى • وكان يزوره الحكام والقضاة والوزراء والأمراء ، والمذكور ليس كذلك • فلما جلس عند الحمامي قال له الشيخ أحمد الحمامي : قم عنا • وطرده من مجلسه وقال له : كلما جئت إلينا تقول[2] بلسان الحال : أنا شيخ ، أنا أعظم منك ، فلمَ قوّمت الناس علي ؟ فقال الحمامي : والله أنا لست بشيخ ، وإنما أنا من جملة فقراء المسلمين رحمهم الله تعالى •

توفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين وألف تقريبا[3] •

---

(1) وفي ل : « اقتداء بالسنة » •

(2) الصواب : قلت •

(3) كذا في : ل ، وساقط من : ت •

١٤ ـ أحمد بن المنلا عوض(*) الحنفي

قاضي مدينة دمشق[١] المشهور بالحلبي، لأن مولده حلب • المنتهج الطريقة الغراء في الأحكام ، والمبتهج بالأقضية[٢] الزهراء في النقض والابرام • عفة اخترعها في قضائه لم تعهد منه ، وسيرة ابتدعها في ارتقائه لم تؤثر عنه • سلك جادة خير قل من انتحاها ، وراعى سنن استقامة شذ من راعاها • (لقد روى بها كبد الغليل ، وشفى بضجيجها مزاج النسيم العليل)[٣] • مع فضل امتطى صهوته ، وكمال وطىء ذروته • فأطلق أعنّة السباق في مضمار المآثر ، وتطوّق بأقلاد المحامد والمفاخر ، (فتمثّل له المثل السائر : « كم ترك الأول للآخر »)[٤] •

ضاهت لوامع تحريراته بدر التمام ، وشمخ باحكام أقضيته مارن

★ ورد الى دمشق مع أبيه الشهير بالملا ، وكان أبوه من أعيان الناس • تولى أوقاف المدرسة السليمية بالصالحية ونشأ ولده أحمد فاضلا بارعا • ورجع مع أبيه الى حلب واجتهد في الطلب ، وسافر الى دار السلطنة ، ثم درس في حلب بعدة مدارس • مدح عددا من الأعيان • وله كتب • ذكر البوريني أن أحد الأشرار قتله ، بينما أكد العرضي أنه نجا •

ـ تراجم الأعيان : ١/١٨٠ •

(١) وفي ل : قاضي مصر ، وهو خطأ محض •

(٢) وفي ل : بالسيرة •

(٣) ساقط من : ت •

(٤) ساقط من : ت •

الأحكام ، (وحلا بسحره الحلال نظام الحرام أو الحلال[١] • قد بيّض صحائف أعماله بما سوّدته سطور طروسه ، (وفيما أشرقت في عالم وجود الجود أنوار شموسه ، نادى المحقُّ : لا عطر بعد عروسه)[٢] من أضواء تحريره • جلُّ أربه أجر يبقيه ، ووزر يتقيه ، (وعرض ينقّيه)[٣] لا عرض يقتنيه • ونهاية طلبه ثناء يجنيه، لاسوء ذكر يجنيه •

كان والده صالحا تقيا ، فنشأ المذكور في حجور تربيته • قرأ في ابتداء أمره بحلب الشهباء ، ثم سلك طريقة الملازمة[٤] ، فلم يزل يتنقل في المدارس • وقدم في غضون ذلك صحبة عبد الرحيم اسكندر زاده[٥] ، فولاه قسمة حلب • فكان عنده ، رحمه الله ، مزيد طمع • (ثم توجه الى قسطنطينية)[٦] ، فصار تذكرجيا[٧] لقاضي عساكر روم إيلي مصطفى أفندي كتخدا العالم • وصارت له محنة (كاد يقتل بسببها)[٨] • وهي

---

(١) ساقط من : ت •

(٢) ساقط من : ت •

(٣) ساقط من : ت •

(٤) وفي ل : الموالي •

(٥) عبد الرحيم بن إسكندر (و « زاده » فارسية بمعنى الابن) أحد الموالي الرومية • كان عالما حسن الأخلاق • ورد الشام مع بعض قضاتها ، وأخذ بها عن البدر الغزي • ثم ولي قضاء الشام سنة ١٠٠٩ مدة شهر • ثم توفي سنة ١٠٠٩ وهو ذاهب في الطريق إلى مدينة « أركلة » •
ـ خلاصة الأثر : ٢/٤٠٧ •

(٦) ساقط من : ل •

(٧) تذكر جي : تركيب عربي تركي ، « و « جي » علامة النسبة •

(٨) ساقط من : ت •

أنه نسب إليه أنه قلّد السلطان في خط له • فكتب السلطان خطا شريفا بقتله • (ثم لم تزل أعيان الدول يشفعون له حتى سكت عنه • واختفى مدة ، وتأخر عن منازله مدداً متطاولة ، حتى تنوسيت قصته • ثم أخذ في إصلاح حاله وتحسين أعماله)[1] •

ثم تولى قضاء آمد (، فسلك في آمد أحسن الأساليب ، وتمام العفة والديانة • فكاد يلتحق بالقاضي شُريح)[2] • ثـم تولى قضاء القدس الشريف ، ثم قضاء دمشق المحروسة • وفي كل منصب شاع عدله وذاع إنصافه ، وانتشرت أوصافه • ولما تولى دمشق ابتلى الله أهلها بالطائفة السباهية[3] ؛ رجعوا من سفر بغداد ، بأوامر المشتا بدمشق • فقابـل هذه المصيبة العظيمة بأحسن أسلوب• ولو كان غيره لجمع أموالا عظيمة• وقال شعراء دمشق في هذه القصة قصائد يشتكون من ظلم السباهيـة ، ويشكرون عدل القاضي ، فلله درّه •

وكان قبل ذلك قدم حلب ، وسألني في قوله تعالى : « إني أريد أن تبوء باثمي وإثمك »[4] ، قائلا في سؤاله : لمَ يبوء قابيل باللاثميـن ؟ فكتبت له رسالة مطولة ، ومن جملتها أن البيضاوي [يقول :][5] إن

---

(١) ساقط من : ت •

(٢) ساقط من : ت •

(٣) السباهية : الجيش ، من الكلمـة الفارسية « سبـاه » بمعنى الجيش • والتركيب مضطرب في : ل •

(٤) الآية ٢٨/ سورة المائدة : ٥ • وتمام الآيات لتوضيح المعالجة قوله تعالى : « لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين• إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جـزاء الظالمين • فطوعت له نفسه قتل أخيه ، فقتله فأصبح من الخاسرين » •

(٥) إضافة المحقق •

قابيل باء بالاثمين ؛ قتل أخيه · ومثل قتل أخيه له لو قتله · أما الأول فللجناية ، وأما الثاني فللتسبب ، لكونه البادي والبادي أظلم · لكن لو بسط هابيل يده فقتله ، كيف يتصور الاثمان على قابيل · فأجبت بأنه يتصور لو ضرب كل منهما الآخر فقتلا ، فيبوء قابيل باثم قتل أخيه ، وباثم الابتداء · ويصح التنظير بالحديث الشريف ·

ومات وهو محمود السجايا في سنة ثمان وأربعين وألف بمدينة مصر المحروسة ، وعمره جاوز السبعين سنة[1] ·



(١) وفي ت : « وهو الآن حي ، بارك الله في عمره » ·

١٥ ـ أحمد باشا الوزير الأعظم

الشهير بالحافظ(*)

أحد من طوّقه العز حليته ، وألبسه العقل المماشي من خلعه حلته ، وحل المجد أنديته ، وألقى إليه السعد أزمّته • ومنحته الدولة أسرارها، وملكته معاقل الارتفاع أسوارها • وأنزله طالع السعد في منازل الاقبال، وسرت كواكب رفعته في أفلاك الاجلال ، وأمدته المناصب بطول عصورها ، وأظلته المراتب تحت أفياء سرورها • فاقتنص الأموال، واستنتج الآمال • وتمسك في حب الدنيا بكلتا يديه ، واعتصم بكنز الدرهم والدينار محتالا عليه •

واحتفل بكثرة الحلي والحلل والغلمان والدهـرُ يعكس آمالـه ، والقضاء يعارض سؤاله • الى أن وافته الوزارة فلتة ، (وسارت تطوي القفار ، / تواصل سرى الليل بسريان النهار)[1] ، وجاءته بغتة • فركب جوادها ، وتناول قيادها • وظن أنها بمجده تاهت، وبه في ميادين الفخار باهت • (وبعدما استوى على سرير سرورها ، وعرف غثها من ثمينها ، وظاهرها من ضميرها)[2] كرّت بالأقدار عليه، واغتصبها من بين يديه، واستخلصها ناب النوب من بين لحييه ، واستبشرت بانطلاقه وطلاقه • ثم لما بانت عنه البينونة الكبرى جدّد نكاحه عليها مرة أخرى ، فكان بهـا حتفه ، وسعى بهلاكه ظلفه[3] •

٢٦

★ هو أحد وزراء الدولة العثمانية الكبراء ، وكـان كاملا فاضلا عارفا بالعربية والفارسية وعلوم الأدب والعروض • تولى كفالة دمشق سنة ١٠١٨ ، وساس الأمور على النهج القويم ، ثم تجبر وظلم • قتل سنة ١٠٤١ •
ـ خلاصة الأثر : ١/٣٨٠ •

(١) ساقط من : ت • (٢) ساقط من : ت •

(٣) اختلف ترتيب الجمل بين النسختين •

خدم في مبادىء العمر دار السلطنة • ثم لم يزل يتقلب في المناصب حتى تولى كفالة دمشق ، (وملأ من الرعب قلوب الأنام)[1] ، (وقتل في غرة مطلعه من أكابر الزعماء رجلا كان مظلوما • واستمر في دمشق نحو سبعة أعوام ؛ يصادر الأعيان ، وأرباب الأموال ، وأهل القرى)[2] • (ولما مات الشيخ محمد بن الشيخ سعد الدين[3] تنازع في المشيخة أخوه سعد الدين وابن أخيه الشيخ كمال الدين)[4] • وكل منهما ذو أموال كثيرة وعقارات غزيرة • فصادر من كل واحد أموالا لا تحصر عدداً (حين تنازعوا في طلب المشيخة)[5]• ثم بعدما استصفى منهم الأموال أخذ بستانا يساوي خمسة آلاف دينار من الشيخ سعد الدين حتى حاز[6] المشيخة ، وقطع آمال الشيخ كمال الدين ، وسيأتي تفصيل ذلك مفرقا في الترجمتين • وكتب الشيخ سعد الدين حجة بالبيع له ، وقبض الثمن منه •

وقد كان صاحب الترجمة ، مع ذلك ، له بعض صدقات وإحسانات، ومحبة لأهل الخير • حتى قيل إنه كان يقبل يد الشيخ أحمد العَيثاوي[7] عالم دمشق وشيخ إسلامها • وقد كان صاحب الترجمة ذا شهامة ومعرفة تامة بأحوال الحروب وتغريم الأموال • فصادر جماعات في دمشق، وأخذ منها أموالا، بغير حق، لاتنحصر • • وكان أرباب الدول من سرايا السلطان دائما يبعدونه عن السلطان ، لعلمهم أنهم إذا قربوه سحر السلطان بسعة عقله ، وتمام فضله ، وكثرة حيله ، وقوة مكره •

ومن العجيب أن مدرسته في دمشق انحلت • فأمر القاضي أن تعطى

---

(١) ساقط من : ت • (٢) ساقط من : ل •
(٣) ورد ذكره متفرقاً في الكواكب السائرة : ٣/٩٣ ، ٢٠٥ • • • وتضيف ت : «الجبائي» •
(٤) ساقط من : ت •
(٥) ساقط من : ل • وحتى نهاية المقطع ساقط من : ت •
(٦) في ل : حاز على ، وهو خطأ •
(٧) تأتي ترجمته بعد صفحات •

للشيخ زين الدين الاشعافي[١] ، تلميذ والدنا • وكان أراد أن يستوطن دمشق • فكان عالما • وستأتي ترجمته ، وكان صاحب تأليف في علم العروض• والقاضي طلبها لأجل إمام له كان صالحا• وكان يعرف بعض أشياء من العبادات على مذهب الحنفية،إنه قيل للحافظ الشيخ زين الدين ثاني الخليل في علم العروض • فسأل الباشا المذكور للشيخ زين الدين تقطيع بيت ، فقدر الله أنه عجز ، وصار له كما صار للحريري • ثم إن الباشا وجه المدرسة لامامه •

ثم إن السلطان اتخذه سردارا[٢] على قتال الأمير فخر الدين بن معن[٣] ، وأمر باشا ديار بكر[٤] وباشا حلب وباشا طرابلس وصناجق

---

(١) زين الدين بن أحمد بن علي الشافعي الحلبي المعروف بالاشعافي نزيل دمشق • ولد بحلب ونشا بها وأخذ عن جماعة وأفاد من البهاء العاملي لما دخل حلب • له مؤلفات كثيرة منها « شرح على الشفا » و « بل الغليل في علم الخليل » • تولى المدرسة الطرنطائية ، ثم خرج الى الروم ودمشق فاستقر بها • وله شعر نضير ورد بعضه في :
ـ خلاصة الأثر : ٢/١٨٩ •
ـ إعلام النبلاء : ٦/٢٣٧ •
ـ ريحانة الألبا : ١/١٦٥ •
توفي في حدود ١٠٤٢ و ١٠٤٣ •

(٢) سردار : رتبة عسكرية (فارسية) بمعنى قائد المعسكر •

(٣) الأمير فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزي ، مسكن طائفته بلاد الشوف• يزعمون أن نسبهم يرجع الى معن بن زائدة • ويرى بعضهم أن أصلهم من الأكراد ، سكنوا هذه البلاد فأطلق عليهم « الدروز » باعتبار المجاورة ، وهذا غير ثابت أيضاً • ولي إمارة جبل الشوف من جانب السلطنة • واستولى على بلاد كثيرة منها صيدا وصفد وبيروت وما حولها • خرج عن طاعة السلطنة فأرسل السلطان أحمد باشا الحافظ نائب الشام لحربه فهرب الى بلاد الفرنج • ثم عاد يسعى في التوسع • بلغت شهرته الآفاق ومدحه الشعراء • ثم قتله السلطان سنة ١٠٤٣ •

(٤) ديار بكر : كانت بلاداً كبيرة واسعة في الجزيرة الشامية • حدها ما غرّب من دجلة الى الجبل المطل على نصيبين ، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين (ياقوت) • وهي اليوم في الأراضي التركية •

الأكراد ، ونحو النصف من السباهية ، وعساكر دمشق وعساكر حلب ٠ الجميع يكونون تبعا له ٠ فتوجه بنحو ثلاثين آلفا ، وحاصر ابن معن تسعة أشهر ، لم يقدر أن يأخذ قلعة من القلاع ٠ ثم بعده أخرج من جماعته رجلا ، وقال لمن في القلاع : أنا مالي عندكم غرض ، الوزير الأعظم له غرض ٠ فقولوا للأمير فخر الدين ينزل الى خيامنا ، وعليه أمان الله ، ونأخذ منه دراهم للسلطان وللوزير ، ونقره[1] في أماكنه ٠ فقالوا: الأمير ذهب في المراكب الى بلاد الافرنج٠ فلما تحقق ذلك رضي بنزول أم فخر الدين ٠ وقالت : نحن ما ضبطنا بلدا بغير إذن السلطان ، ولا انكسر عندنا مال ٠ فعند ذلك أعطت للسلطان مئة ألف غرش ، وللوزير خمسين ألف غرش ، وللحافظ خمسين ألف غرش ٠ وانفصل الأمر على ذلك ٠

ثم تولى كفالة آمد ، فقدر الله عزوجل ان باشوات بغداد تجاوزوا في الظلم ٠ وتولى يوسف باشا بغداد ٠ وكان وزيرا ، فظلم ٠ وكان بادير شوباصي من اعيان اجناد بغداد ، استطال على العساكر لكثرة أتباعه وكثرة ماله ، فوقع بينه وبين الباشا ٠ واراد الباشا قتله ، فحاصر بادير بمعونة اكثر عساكر بغداد قلعة بغداد ، وفيها الباشا ٠ فكان ينظر من أسوارها ، ضربت مكحلة[2] من جانب عساكر باكير / أصابت الباشا فقتل ٠ وقتل باكير المنلا غانم ، كما سيأتي في ترجمته ٠ واستولى بادير على بغداد، وجعل نفسه بيده باشا٠ وبعث الأموال والعروضة والمحاضر الى دار السلطنة، ليتولى على بغداد٠ فما أجيب الى ذلك٠ ثم في خلال ذلك كتب الحافظ أبياتا تركية ، تتضمن المخاطبة للسلطان أحمد ، أنه : ما بقي عندكم عسكر ، ما بقي عندكم رجال ، ما بقي عندكم مال حتى

٢٧

---

(١) في الأصل : نقوره ٠
(٢) بندقية ٠

تعينوا سردارا[١] على بغداد. وكان مراده التوصل الى الوزارة العظمى. وكان عنده مملوك جميل[٢] اسمه « دلاور ». فبعث إليه السلطان قصيدة تركية ، يقول له فيها : ما بقي عندك دَلاور[٣] ، بمعان متعددة .

ثم بعد ذلك جعله السلطان سردارا على باكير ، وأمر عدة أمراء أن تكون تبعا له وجميع أكراد الرحل . لكن ما جعله وزيرا أعظم . فلما سمع ذلك باكير كتب لشاه عباس مكتوبا يقول له : أسلمك بغداد بشرط أن تكون الخطبة والسكة باسمك فقط . فرضي الشاه بذلك ، فقيل له : أنت سنّي وهذا شيعي ، كيف تحكم الشيعة في السنية ؟ فقال : أنا أكذب على الشاه . إذا رجع الحافظ لا أطمع بني عثمان ولا الشاه . فجاء الحافظ، وحاصر بغداد. وقدر الله أن بغداد كانت في غاية القحط فتحمل باكير الضيق . واستمر الحافظ على المحاصرة ، حتى سمع بقرب الشاه منه ، وبقي بينه وبين الشاه أربعة أيام . فكتب الحافظ أمرا لباكير شوباصي : إنني جعلتك باشا بغداد . ثم تحول الحافظ لعلمه بكثرة عساكر الشاه ، وعدم استطاعته .

وتحول الحافظ الى ديار بكر . وحاصر الشاه بغداد، فضاقت المعيشة بعساكر بغداد ، ووصلوا الى أنهم كانوا يأكلون الآدميين . وكان باكير مميزا[٤] على كل باب ببغداد رجلا من أكابر أقاربه . وسلم القلعة لابنه محمد علي . فلما رأى محمد علي أن الأمور صائرة الى الهلاك سمع بهلاك والده لنجاة نفسه . وبعث للشاه ورقة التسليم . وأدخل ليلا الى

---

(١) في الأصل : سردار .

(٢) في الأصل : مملوكا جميلا .

(٣) دلاور : (فارسية) اسم علم والشجاع . المحارب . الغازي .

(٤) في الأصل : مميز . بمعنى محدد .

القلعة عساكر الشاه • ولما كان[1] وقت الصباح إذا بطبول الشاه تدق في القلعة • فانقطع قلوب أهل السنة من الخوف ، وامتلأت قلوب الشيعة من الأفراح والسرور •

فدخل الشاه صباحا ، وقتل باكير شوباصي شر قتلة • ووضع آخا باكير عمر آغا في السفينة، وألقى فيها النفط والقطران والنار• وأحضر المنلا علي ، وكان سنيا حنفيا ، شيخا كبيرا • فأحضره إليه وقال : العن الشيخين • فقال المنلا علي : يا شاه ، أنا عشت الى هذا العمر ، ما بقي لي غرض في الحياة ، لعنة الله على من يلعن أصحاب سيد العالم • فأخذ الشاه السيف بيده، وضربه ضربا متواليا حتى قتله • فقتل شهيدا سعيدا• ثم قتل قاضي بغداد الذي ولاه السلطان مراد ، بعدما أكرمه • وطلب منه أن يسعى بينه وبين السلطان مراد في أن يولي ابن الشاه بغداد ، وتكون الخطبة والسكة باسم السلطان مراد ، ويرسل ابنه في كل سنة خمسين ألف غرش• فوعده القاضي بالخير• ثم قال له المدبرون : القاضي يضرك عند السلطان ، ولا يمدحك • ويحسن للسلطان أخذ بغداد • قال : صدقتم• فقتله ثم قتل السيد محمد نائب المحكمة وخطيبا عظيما[2] في بغداد• وكان فسخت امرأة نكاحها عن مصطفى باشا بن أوزن أحمد[3] بسبب تعذر النفقة ، كما هو مقتضى كلام السادة الشافعية • وعند الشيعة لا يجوز الفسخ • وكان السيد محمد في المنبر يبالغ في الدعاء على

---

(١) في الأصل : كانت •

(٢) في الأصل : وخطيب عظيم •

(٣) كان مصطفى باشا باشازبيد من بلاد اليمن ثم كافل غزة • ثم ولي كفالة حلب سنة ٩٥١ ، فتتبع قطاع الطرق وأحسن في البلد • حصل في زمانه حريق هائل وقحط ، فساعد الناس والفقراء • عزل عن حلب سنة ٩٥٢ ، فتضايق الناس لذهابه • ـ إعلام النبلاء : ٣/٢٠٠ •

الشاه ، وفي لعن الشاه . فقال له : أسمعنا تلك الخطب البليغة ! قال له : لا ، ولكني أسمعك مولداً للنبي ﷺ . فقال لـه : كيف تزوج امـرأة زوجها حي ؟ قال : فسخ عنهـا / على قاعـدة مذهب الشافعي . فلعن الشافعي ، ولعن بقية الأئمة الأربعـة . وضرب السيد محمـد في كلاب أخرجه من لسانه ، وصلبه . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٢٨

وأخبرني الشيـخ عثمان الخياط البغـدادي أنـه رفس برجلـه صندوق[١] الشيخ عبد القادر ، وألقى عمامته عن الصندوق ، وسمـر بابه ، واتخذ تكيته إصطبلا للخيل والجمال . وفعل بقبر الامام أبـي حنيفة أكثر من ذلك .

وإنه قال له السيد دراج ، كان نقيب الأشراف ببغداد : الشيخ عبد القادر شريف ، لأي شيء تهينه يا شاه ؟ ثم قال جماعة من أتباع الشاه : ليس بشريف . فقال رجل ، نزل بباب الأزج ، : أجعل للشيخ إهانـة عظيمة ، يهلك بها أهل السنة . وذلك أن أسدَّ جميع المراحيض في باب الأزج ، وأسد باب مزار الشيخ عبد القادر ، وأفتح من القبة طاقة على قبر الشيخ . جميع من كـان مراده أن يتبرز ببول ويتغوط علـى قبر الشيخ . فقال له : خوب خوب خوب[٢] ، وباتوا تلك الليلة بأسوأ ليلة . وأخذ في سد الأبواب . فقبيل المغرب أخـذ خادمه يفتش له على عـرق أيكر . قيل : لماذا ! قال : أصابت الآغا[٣] قولنج[٤] مات عند التمجيد .

(١) يعني ضريحه .

(٢) خوب : (فارسية) جيد ، حسن .

(٣) الآغا : كلمة تركية (مغولية الأصل) تؤدي معنى الاحترام وترد قبل الاسم أو بعده. كانت تطلق لقباً للسيدات قبل تخصصها بالرجال . أصلها بالقاف « آقا » وما زال الفرس على ذلك . ولما كان أغلبهم يلفظ القاف غيناً والغين قافاً فقد انتقلت الى العثمانيين على السماع بالغين « آغا » (ذهبي) .

(٤) القولنج : مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح (قاموس الأطباء) .

فعلم الشاه أن الشيخ عبد القادر صاحب أحوال وأهان جميع أهل السنة .

وأخبرني رجل صادق أن البغداديين الشيعة كانوا إذا وقفوا يقرؤون الفاتحة عند قبر الشيخ عبد القادر أو قبر أبي حنيفة يقولون : « يا عار ، يا ابن العار ، يا أنجس من الفار . إن كان الله حرمك من الجنة لا يحرمك من النار » . قال : كنت صغيراً مميزاً ، كانوا يقولون ذلك بحضوري وبدل الجمعة بخطيب يخرج الى المنبر ويذكر أئمة البيت الاثني عشر رضي الله عنهم ، ويلعنون أصحاب محمد رضي الله تعالى عنهم ، ويلعنون الأئمة الأربعة ، ويلعنون العلماء الموجودين بالأحياء ، وينزل[1] ، ويصلون فرادى ، ينتظرون خروج المهدي . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ويؤذنون ويقولون بعد الحيعلتين[2] : « حي على خير العمل . محمد وعلي خير البشر » .

وضبط الشاه جميع أموال عساكر بني عثمان وأموال المنسوبين إليهم . ثم بعد ذلك عين السلطان جركس محمد باشا وزيراً أعظم وسردار علي شاه بعد ما يقاتل أبازة محمد باشا . ولما ورد الى توقات[3] تقابل الأبازة[4] ، وانكسر الأبازة ، وقتل الأبازة باشا قلاوون وتفرق العساكر . وكان جركس محمد باشا يقعد في خيمته يتهجد ، ويدعو الله تعالى لا يظلم أحداً ، ولا يكسر خاطر أحد أصلا . ثم أدركه الموت ، وخلصه الله من هذه المشاق والقلايد . فاجتمع رأي أرباب الدولة أن يجعلوا الوزير الأعظم حافظ أحمد باشا . ثم توجه الحافظ بباب[5]

---

(1) يعني : ينزل الخطيب .

(2) أي « حي على الصلاة . حي على الفلاح » .

(3) توقات : اسم موضع .

(4) أباظه : اسم قبيلة جركسية ، وتحولت فيما بعد الى « أباظة » .

(5) يعني : بحجة .

مكمل جميع اللوازم ، قضاها لكن لم يتدارك المكاحل بكثرة،ولاضرابين للمكاحل ، ولا هي الأمور اللازمة • وكان يقول للعساكر : مفاتيح بغداد في يدي • وسببه أنه بعث إليه ضابط بغداد من جهة الشاه ، وهو قول صفي خان : إنني أسلمك بغداد بمجرد وصولك إليها بشرط أن يعطيني سلطانكم منصبا جليلا • وأنا ما أقدر أسلم بغداد ما لم تحضروا ، فاني أخاف من عسكر الشاه أن يقتلوني • فلما وصل الحافظ بالعسكر العظيم الى خارج بغداد أرسل جماعة الشاه الطوبات[1] وهم يصرخون ويقولون بالتركية : خذ هذه مفاتيح بغداد • فعلم أنه أراد المخادعة والمكر ، حتى لا يتدارك الحافظ مهمات الحصار • « لا تحقرن كيدأ ضعيفا ربما، تموت الأفاعي من سموم العقارب »[2] • كلام الليل يمحوه النهار[3] • واتخذوا لغومات متعددة ، فما افادت شيئا سوى لغم واحد / اصطنعه آغة **٢٩** الينكجرية خسرف[4] باشا ، الآتية ترجمته ، ففتح جانبا عظيما • ولكن العسكر لم يهجموا كلهم عليه • فان من عادة أكابر العسكر يريدون تدمير بعضهم بعضا • فحينئذ أقدم عساكر بغداد حتى سدوا اللغم • فكان خسرف باشا يبكي وينتف لحيته نفسه من شدة قهره •

وكان الشاه نزل بالقرب من بغداد نحو ثلاثة أيام ، حتى يسمع

(١) الطوبات : المدافع ، وكان الواحد يدعى « طوب » من الكلمة « توب » أي الكرة •

(٢) بيت للشاعر عمرو الأهتم بتصرف •

(٣) الجمل الثلاث السابقة مؤلفة من شطرة رجز فشطرة طويل فشطرة وافر • ومن عادة أدباء العصر العثماني أن ينثروا الشعر ويستخدموه جملا •

(٤) أصل الكلمة « خسرو » • ولما كان الفرس يلفظون الواو المحركة مفخمة أشبه بالحرف V فقد تحول نطق الاسم الى « خسرف » • وخسرو معربة الى كسرى بمعنى الملك • ولي خسرو باشا حلب سنة ٩٣٨ ثم ولي كفالة مصر سنة ٩٤١ ثم انتقل الى الوزارة • وبعدئذ عزل عن مكانه • وكان أوصى كتخداه فروخ بن عبد المنان أن يبني باسمه مسجدا وتكية • والخسرفية اليوم منسوبة إليه •

عساكره في بغداد بخبره ، فتقوى قلوبهم ، وتضعف قلوب عساكر سلطاننا • وكان مراد باشا الأرنوط باشا جلب معه عساكر كثيرة ، يقبح صنيع الحافظ • ويسب الحافظ ويقول : لأي شيء الحافظ لا يرسل عساكر من عنده ؟ حتى جاء الى الحافظ وقال : أعطني إجازة حتى أتوجه الى الشاه ، وأقتل جماعة الشاه • وربما قبضت عليه • يقول له الحافظ : مراد الشاه أن يفرق عساكرنا ويضعفهم • حتى إن عساكر بغداد يهجموا علينا ويقتلونا • وكل ذلك ومراد باشا مصمم على قتال الشاه • حتى قال له : أنت تعلم • فجمع مراد باشا نحو أربعة آلاف ، وكبس الشاه • فتحاربا شيئا قليلا • ثم رجع مراد باشا مكسوراً • يا أخا الوجدلارجعت • فقال له الحافظ : عرفت أن قول الشيوخ أحسن من رأي الشباب ؟

وضاقت الأمور على عساكر الحافظ ، ووقع القلى[1] فيهم ، وهربت غالبيتهم[2] • ثم بعد ذلك اجتمع العسكر ورجموا الحافظ ، وطلبوا منه أن يقوم عن الحصار ، ويرجع العسكر الى أوطانهم • فقال : اصبروا علي أسبوعا[3] • فصبروا أسبوعين ، ثم جاؤوا • فلم يزل يواعدهم حتى اجتمعوا عليه ، ووضعوا في عنقه محرمة وجذبوه حتى قام من مكانه، وشرع في الرحيل • وكان عنده بعض طوبات دفنها في الأرض • ولم يعلم أحداً إلا شرذمة قليلة ، جروا الطوبات ، فتبعهم الشاه • وأراد العسكر أن يعجلوا في الرجوع ، فنادى : كل من فارق الوزير ، وخرج عن خيام الوزير توجه للزعامات والتيمارات[4] لصبيان الآغاوات ، وتوجه الباشوية لكتخداء الباشا والصنجقية[5] كذلك • فتبعهم الشاه

(١) القلي : البغض •
(٢) في الأصل : غالب •
(٣) في الأصل : سبوع •
(٤) تيمارات : (تركية) الرؤساء • الضباط •
(٥) الصنجق وسنجق : الراية واللواء • رتبة لواء العسكرية • والصنجقية : المختصون بشؤون الراية •

مرحلة مرحلة • وأراد الهجوم عليهم ، فلم يبالوا ، ولو كان مع الشاه عساكره[1] الذين جاء بهم من بلاده ، وعساكره الذين كانوا ببغداد • مع أن عسكرنا ضعيف غاية الضعف • حتى إن الباشا منا ما كان معه نحو خمسة خيالة وخمسة رجالة • فجمعهم الحافظ ، وتوجه الى الشاه • وقاتله حتى رجع الشاه من خوفه • وبعد يومين أحضر إليه مراد باشا وقال له : لمَ[2] ركبت على الشاه ؟ وأنا قلت لك : لا تركب حتى كسرت العساكر ، وأظهرت الصيت القبيح لنا • ففي الحال قتله بين خيامه ، وأرسل جثته الى جماعته •

وجاء الحافظ الى حلب ، فحضرنا إليه ، وسلمنا عليه • فرأيته رجلا كوسجا[3] ، كثير الحركة ، كثير الكلام • له قوة في بدنه ، وقوة في قلبه ، وقوة في لسانه ، وقوة في ماله • فبعث الهدايا والتحف للسلطان وجماعته واسترضى السلطان جماعته حتى لا[4] يقتل • لكنه عزل ونزل بقسطنطينية خائفا متخفيا •

وتولى الوزارة بعده خليل باشا الآتية ترجمته • وبعده خسرف باشا أيضا تأتي ترجمته • ثم تولاها الحافظ المسطور • وكان للعساكر الطغيان العظيم • فاجتمعوا عليه وقتلوه • وكان السلطان خيره بين أن يقتله هو ويبعث برأسه الى العساكر ، ليطفيء نار غضبهم ، وبين أن يمكن العساكر

---

(١) في الأصل : عساكر •
(٢) في الأصل : لما •
(٣) في الأصل : رجل كوسج • والكوسج : الذي لا ينبت في لحيته سوى بعض الشعيرات ، أو من كان في فمه ٢٨ سنا • فارسية أصلها « كوسه » •
(٤) في الأصل : لم •

بقتله • قال للسلطان : الأولى أن تسلمني للعساكر ، ولا تتقلد دمـــي ـ يبقى الاثم في عنق العسكر ـ ويكون لي في القيامة المطالبةالكثيرة •

فمات شهيداً رحمه الله تعالى وتجاوز عنه في سنة إحدى وثلاثـــين وألف ، وعمره جاوز السبعين • وقطعه العسكر إربا إربا[1] •



(١) لم تذكر « ل » سنة وفاته •

١٦ ـ أحمد بن سليمان الحنفي(*)

القاضي بحلب ، المعروف بالاياشي ٠ مَن انتهج الكمال بحسن لطفه، واقتطف الجميل رياحين الود / من رياض لطفه ، (والجاني ثمرات المحبة من أغصان عطفه)[1] ٠ أشرقت أقمار محاسنه في منازل الطلوع ، وعبقت من سجاياه أزاهر الشرائع فهي تضوع ٠ واكتحلت أجفان الأحكام من إثمد[2] إحكامه ، وتهلل جبين المجد من سنا نقضه وإبرامه ، وتحلت أجياد الأمجاد من تعظيمه لهم وإكرامه ، أرق من الصَّبا وداً ، وألطف من العافية بجسد السقيم رفداً ٠ ٣٠

تولى قضاء حلب مرتين ؛ المرة الأولى كان رابطة حله وعقده أصلان جاويش[3] بن عثمان آغا الترجمان ٠ فمن ثمة لم يحمد الناس سيرته كثيراً ٠ ثم تولى حلب ثانيا بعدما كان تولى دمشق وغيرها ، فكان رابطة حله وعقده السيد عطاء الله ، فحمد الناس بالنسبة الى الأولى أكثر من ذلك ٠ وكان له حسن لطف وتعطف ٠ ابتـُلي بأكل المكيـّفات ٠

★ أحمد بن سليمان الأياشي قاضي القضاة ، كان قاضي حلب ثم دمشق ٠ ورد الى دمشق سنة ١٠٠٧ فما حمدت سيرته ، فرجمته العامة عند خندق القلعة ٠ ولولا دفاع بعضهم عنه لبلغ غاية الأسى والأذى ٠ وكان رجمه يوم دخول محمد باشا الوزير العجمي حاكما بها ٠ هجاه بعض الشعراء ٠ وقد عزل بعد رجمه ٠
ـ تراجم الأعيان : ١/٨٥ ٠

(١) ساقط من : ت ٠

(٢) الإثمد : حجر يكتحل به ، يعرفه علماء الكيمياء باسم « أنتيموان » ٠

(٣) وفي ل : « أصلان بن جاويش » ٠

ورأيته في التولية الأولى جاء الى دار والدي يعزّيه في أخي الشيخ حسين حين مات . وكان يوم موته مسافراً في قرية لكشف مهم . فاذا هو طويل القامة ، كبير الجثة ، أسمر اللون . وقد توجه الى قسطنطينية[1] جماعة للشكاية عليهم ، منهم السيد مرعي لأجل عقد نكاح (صدر من بنت ، وادعى بيت الجبريني[2] بالباطل ؛[3] . فعزل للشكاية بمظفر أفندي . وتولى قضاء دمشق بعد مدة طويلة ، ووقع بينه وبين درويش أفندي بن طالو[4] مفتي دمشق الشام . فألف فيه رسالة سماها « رفع الغواشي عن ظلم الاياشي » . تشتمل على فصول كلها منظومة ، يقول مثلا : فصل في أكله لمال الموقف ، فصل في أكله لمال الأيتام ، فصل في كذا . وبعثها الى مفتي دار السلطنة شيخ الاسلام صنع الله أفندي[5]. ورأيت في تلك الرسالة أغراضا نفسانية . نسأل الله أن يسامحهما .

توفي تقريبا في سنة اثنتين وعشرين وألف .

---

(١) ساقط من « ل » من أول المقطع .

(٢) نسبة الى « بيت جبرين » وهي قرية كبيرة من أرض فلسطين عند بيت المقدس نحو مشهد الخليل . أما جبرين القرية حول حلب فتدعى « جبرين الفستق » . وجبرين : لغة في جبريل (اللباب . معجم البلدان) .

(٣) ساقط من : ت .

(٤) هو أبو المعالي درويش محمد بن احمد الطالوي . ولد بدمشق سنة ٩٥٠ ، وانتسب الى أهل أمه « آل الطالوي » . رحل في البلاد ثم اشتغل بالتدريس والقضاء . كان ذا نظم حسن ومراسلات نثرية حسنة . توفي بدمشق سنة ١٠١٤ .
- خلاصة الأثر : ١٤٩/٢ .
- ريحانة الألبا : ٥٣/١ .

(٥) صنع الله بن جعفر شيخ الاسلام ومفتي التخت العثماني في عهد السلطان محمد وولده احمد . كان فقيها حجة . درس في المدارس العلية حتى صار أمره الى قاضي قسطنطينية سنة ١٠٠٠ ثم نقل الى قضاء العسكر في أناضولي ثم في الروم إيلي . ثم تولى الافتاء سنة ١٠٠٨ . مات بعد عودته من الحج بعلة البرسام سنة ١٠٢١ .
- خلاصة الأثر : ٢٥٦/٢ .

١٧ ـ أحمد بن شيخ الاسلام محمود البيلوني(*)

العدوي ، نسبة الى طريقة الشيخ عدي بن مسافر الأموي(١) ، قدس الله سره . الفاضل المجيد والكامل المُجيد . صفوة الأذكياء وزبدة النبلاء . سلوة الثكلان ، ولقطة العجلان . المتقمص حلل الطلب في الطفولية ، والمتحلي بحلية العلماء زمن الرجولية . (المضاهي في الذات للقاضي الفاضل ، والبارع من الماجدين الأفاضل)(٢) . فرع نابت من أصل ثابت ، (لكواكب الجوزاء مُسامت)(٣) .

تدفقت على أغصان اجتهاده جداول التحصيل ، فأثمرت أفنانه ظواهر مجملات التفصيل . (متشبثا بأذيال العلوم الروحانية، مستطيلا

★ نسْبة الى « البيلون » وهو نوع من الطين يستعمله أهل حلب في الحمام ، وأهل مصر يسمونه « الطَّفل » ، وكلاهما كلمة عامية ، ولا يعرف أصل كلمة « بيلون » ، وهو أخو فتح الله فانظره .

(١) عدى بن مسافر بن اسماعيل الهكاري ، أبو الفضائل . من ذرية مروان بن الحكم ومن شيوخ المتصوفين . تنسب إليه الطائفة العدوية . ولد في إحدى قرى بعلبك وجاور بالمدينة أربع سنوات ، وبنى زاوية في جبل الهكارية من أعمال الموصل ، فانقطع فيها للعبادة ، ومات ودفن فيها . عاش بين (٤٦٧ ـ ٥٥٧) . وانتشرت طريقته بعده في أهل السواد والجبال :

ـ وفيات الأعيان : ٣١٦/١ .

ـ شذرات الذهب : ١٧٩/٤ .

(٢) ساقط من : ت .

(٣) ساقط من : ت .

في دعاوات القهر للطوائف الجنية)[1] . خيل للناس أنه يحاكي ممتازاً وأنه غدا للجن والانس أستاذاً . وأن المناصب العالية طوع يديه، والعلوم والولايات قيدت أزمتها إليه ، لصفاء سريرته ، وعدم معاشرته للناس وخلطته .

قرأ على والده ولازم دروسه ؛ فقرأ المقدمات ، ثم المتوسطات ، ثم الكتب العالية مدة طويلة الى أن اكتهل . ثم شرع في الانفراد بالاقراء والافادة لبعض الطلبة الواردين (علـى والده في « ظواهر المنهـاج » و « شروح الألفية » و « شرح القطر » وعلم التجويد ، ونحو ذلك . مع صفاء خاطر، ولزوم لبيته وقناعته بما في يديه، وتشبث بعلم الروحاني . فكان يكتب التمائم والهياكل للناس من الفلاحين والأعراب وبعض أهالي البلد ، ويأخذ ما تيسّر منهم ، يستعين به على نفقة عياله)[2] ، (لأنه ادعى معرفة الروحاني ، وأن الجن يطيعونه بالأمر الصمداني)[3] .

ثم سافر الى القسطنطينية ، فحصل له الحظ الوافر من أهالي سرايا السلطان (بسبب أنه كان قصيراً ، له حدبتان)[4] ، ومشهوراً بمعرفـة علم الروحاني ، فكان يكتب لهم الهياكل وعلى الثياب ، ويقول : هـذا للحية ، وهذا للجان، ونحو ذلك . وأخذ علوفات جزيلة في مملحة الجبول والخرنية ، وأخذ مدارس متعددة في ديار حلب ؛ فتولى مدرسة الجاولية والجمالية[5] . وأخذ أمراً سلطانيا أن يفتي على أربعة مذاهب . وكان، رحمه الله ، يفتي من رأس القلم ، مهما لاح له إن كان صوابا أو خطأ .

(١) ساقط من : ت .
(٢) ساقط من : ل .
(٣) ساقط من : ت .
(٤) ساقط من : ل .
(٥) الاسمان ساقطان من : ل .

وكان كثيراً ما يشكوه أبو الجود أفندي مفتي حلب الى والده بسبب تلك الفتاوى ، فينصحه والده ، ولا يجدي نفعا[1] ، ثم إنه في زمن رفعة أخيه الشيخ فتح الله عند نصوح باشا استطال الى أمور منها أنه ألزم أحمد باشا ابن الأكمكجي[2] باعطاء دار الوكالة لرجل مفلس • فلما غضب نصوح باشا على أخيه الشيخ فتح الله قبض عليه أحمد باشا وصادره (بنحو أربع مئة غروش حسبما بلغني • فتوجه الى بعض من كان يظهر له المحبة زمن دولة أخيه ليأخذ منهم معونة على ما أصابه ، فكل واحد منهم رده ، حتى ذهب الى قسيس النصارى، فجمع له بعض شيء)[3]• (فشفع عنده صاحب الترجمة ، وكفل الأمين بالمال ، فأعطاه الباشا خوفا من أخيه • فقدر الله تعالى قتل نصوح باشا وأحمد باشا أكمكجي زاده)[4] •

وقد انتقل بالوفاة الى رحمة الله عز وجل بعد ذلك سنة اثنتين وعشرين وألف ، وعمره جاوز الستين • وكان له نظم متوسط • وكان إذا شكا له أحد الحمى كتب له ورقة فيها معجون الفلاسفة ، معجون الكمون ، معجون الورد ونحو ذلك ، يجمع بين الضب والنون • ويقول : خذا من الحكيم •

(١) ساقط من أول المقطع من : ت •
(٢) ترجمته آتية •
(٣) ساقط من : ل •
(٤) ساقط من ت • أكمكجي زاده : أي ابن الأكمكجي ، ومعناها ابن الخباز •

١٨ ـ أحمد بن شهاب الدين

ابن مهنا

الشافعي / ، الأردويلي طريقة · مزن تقاه أبرقت ، ولوامع هداه أشرقت ، وفوائح طيب صلاحه عبقت، وكمائم أذكاره عن أزهار محاسنه تفتقت · وأرج عبادته فاح عطراً ، ونسيم توحيده طاب نشراً · جنى حدائق الخيرات ، وثمرات أغصان المبرات · ثابت الأصالة ، من أطيب سلالة · ٣١

له زاوية بمحلة الجسر[١] على شاطيء النهر ، يتردد إليها المريدون في ليالي الجمع ، فيقيم حلقة التوحيد بالألحان والهوية على طريقة الأردويلية[٢] ، (يحدو عليها الحادي بمقالات الصوفية ، ويختم ذلك بذكر يسمى باللهجة ، تبقى به الأرواح مبتهجة)[٣] مع حسن سمت ، ودماثة أخلاق ، وصفاء سريرة · يبسط قراه للواردين إليه على قدر الموجود ما ملك ، ويذهب أغلبية أوقاته الى الدير[٤] ، فيسمر عندهم مدة

---

(١) لم يحدد أي جسر في زمانه ؟ ففي حلب آنئذ : جسر الحديد ، جسر الحج ، جسر الدباغة ، جسر الزلاحف ، جسر السنديان ·

(٢) وفي ل : المدوية ·

(٣) ساقط من : ت ·

(٤) يعني أهالي دير الزور · وما زال آل البعاج معروفين فيها · ويروون عن انفسهم أنهم سموا ببيت البعاج لأنهم يبعجون البطون في حالات الذكر · وهذا يخالف رأي العرضي ·

متطاولة ، يمنحونه أشياء كثيرة يستعين بها على معاشه ، (حتى يسمى فيما بينهم ابن البعاج ؛ فانهم يحكون أن أحـد أجـداده بعج منكـراً عليه)[1] . ويخرج أمام الجنائز .

توفي سنة ست عشرة وألف تقريبا ، والله أعلم ، قد قارب الستين .



(١) ساقط من : ت .

١٩ ـ أحمد بن محمد بن راضي الشافعي العلواني(*)

من أتباع الشيخ علي الكيزواني(١)،قدس سره · من لجأ الى معتصم الصلاح ، واستجار بمعاقل الهدى والسماح · فله بدماثة الأخلاق ملاذ منيع ، وبمحاسن الصفات شأو رفيع · مع أنموذج فضل ، ومتسع عقل (، وكمال باهر ، وفضل ظاهر ، وأصل طاهر)(٢) ·

قرأ على والده في علم القراءة ، وكان لوالده اليد الطولى في هذا الفن ، (وغالب قراء حلب في زمنه تعلموا منه)(٣) · وقرأ على الشيخ الوالد مدة طويلة ، (وأجازه في الكتب الستة ، فحصل شيئا من الفضل، يعدُّ به عند العامة فاضلا ، مع سلوك حسن ومودة ، يستجلب بها القلوب

★ من أتباع الشيخ علي الكيزواني · تعلم القرآت على أبيه ثم تولى المدرسة الأرغونية · وكان كذلك يتولى تكاليف محلة العقبة · توفي سنة ١٠١٨ ودفن بقرب الفيض ، وقد جاوز ٦٠ سنة ·
ـ خلاصة الأثر : ١/٢٨٢ ·

(١) علي بن أحمد بن محمد الشيخ العابد، أبو الحسن الكيزواني الحموي الصوفي الشاذلي· ينسب الى « كازوا » وقياس النسبة « الكازواني » لكنه اشتهر بالكيزواني · توجه الى « بروسه » مع الشيخ علوان الحموي سنة ٩٠٨ ثم عاد الى دمشق · تنقل في البلاد ثم جاور بمكة الى أن مات سنة ٩٥٥ بين مكة والطائف ، لكنه دفن في مكة ·
ـ الكواكب السائرة : ٢/٢٠١
ـ ريحانة الألبا : ١/٤٤١ ·

(٢) ساقط من : ت ·

(٣) ساقط من : ت ·

الى محبته)[1] • ولكن كان باعتبار أنه إمام محلة العقبة[2] يجمع أموال العوارض والمصادرات • فكان من الناس من يذمه وينسبه الى الطمع والتدنس بهذه الأمور ، لا يرتضيه العاقل ، ولا يعرج عليه المتقي ،ولكن كثرة العيال تدعو الى هذه الفظائع •

كان إماما بالكيزوانية ومتوليا • واستولى على جميع أوقافها باعتبار انتسابهم في الأخذ عن الشيخ الكيزواني طريقة العلوانية ، بل طريقة شيخه علي بن ميمون[3] • فان الكيزواني كان من أقران الشيخ علوان • إلا أن سيدي الشيخ علوان ، قدس الله أسرارهم ، كان ذا علوم غزيرة ؛ من علوم الشريعة والحقيقة •

وكان الاسم الكبير له والشهرة التامة • فان السيد علي بن ميمون قدس الله سره العزيز خلف الشيخين المسطورين ، وخلف الشيخ محمداً ابن

---

(١) ساقط من : ل ، وما بعده الجمل مضطربة التركيب بين النسختين •

(٢) يقال لها عقبة بني المنذر • وسميت عقبة لنشوزها عن بقية أرض حلب • كانت من أشرف النواحي ، وقريبة من الخانات • وهي طيبة المناخ • وما زالت (نهر الذهب : ٨٧/٣) •

(٣) علي المغربي من القضاة العلماء • ولد في غمارة من أعمال فاس وأقام فيها • ثم عكف على غزو الافرنج في السواحل • رحل الى المشرق ، فتوفي في مجدل معوش قرب بيروت سنة ٩١٧ • وسبب ذلك أنه كان يبحث هناك عن عشب يقيه أمراضه • وصلي عليه صلاة غائبة • كان يعاند المتصوفة ، ويدعوهم الى السنة • له كتابان وعدة رسائل ونظم •

ـ الكواكب السائرة : ٢٧١/١ • ـ هدية العارفين : ٧٤١/١ •

عراق[1]، وخلف الشيخ الزين الحلبي مدفنا. فالشيخ علوان له المصنفات العظيمة نحو « نسمات الأسحار »[2] و « مصباح الهداية »[3] و « شرح التائية الفارضية »[4] و « التائية الصفدية »[5]، وغير ذلك.

ورأينا للشيخ الكيزواني رسائل كثيرة في التصوف، إلا أنها مختصرة وكذلك للشيخ محمد بن عراق.

وتولى صاحب الترجمة المدرسة الأرغونية[6]، وقد توجه الى قسطنطينية مرات. وعزله عنها الشيخ حسين بن العريف[7].

توفي في سنة ثمان وعشرين[8] وألف، ودفن بالقرب من الفيض[9]، وقد جاوز الستين تقريبا، رحمه الله وعفا عنه.

---

(1) محمد بن علي بن عبد الرحمن الشيخ الامام أبو علي شمس الدين، ابن عراق الدمشقي. نزيل المدينة المنورة. ولد سنة ٨٧٨ وقرأ القرآن. ثم رحل الى بيروت. ذكر طاشكبري زاده أنه مات في المدينة ودفن بها، ولم يوافقه الغزي بل رأى أنه دفن في مكة سنة ٩٣٣. وذكر حاجي خليفة أنه مات: ٩٣٦.
ـ الشقائق النعمانية: ٢١٢. ـ شذرات الذهب: ١٩٦/٨.
ـ الكواكب السائرة: ٥٩/١.

(2) نسمات الأسحار، في كرامات الأولياء الأخيار، ذكره حاجي خليفة.

(3) مصباح الهداية ومفتاح الولاية.

(4) التائية الكبرى لابن الفارض مطلعها (الديوان: ٢٢):
سقتني حُميا الحب راحة مقلتي ... وكأسي مُحيا من عن الحسن جلتِ

(5) التائية الصفدية في التاريخ لعبد القادر بن حبيب الصفدي. ذكر حاجي خليفة شرحها (٢٦٨/١).

(6) المدرسة الأرغونية: أسسها أرغون المنصوري نائب حلب سنة ٧٢٧، وكان ولوعا في اقتناء الكتب. مات ٧٣١ ودفن في تربته في محلة « ساحتيزة » قرب الحمام الناصري المسماة اليوم بحمام اللبابيدية (موسوعة حلب: ١٠٦/١ ـ نهر الذهب: ٢٧٣/٢).

(7) كذا في: ل. وفي ت: حسين بن الجقيم. (8) ذكر المحبي: وعشرة.

(9) الفيض: محلة قديمة منذ أيام الحمدانيين. ذكرها ابن العديم (١٢٠/١) فقال: « الحلبة: .. محلة من ضواحي حلب من جهة الغرب .. تقام فيه حلبة السباق، ويتصل بها مكان يقال له الفيض ». وانظر (١٣٨/١).

٢٠ ـ أحمد بن عبد الله
العلبي[١] الشافعي

أحد أعيان مدينة حلب • ذو الكمال الذي يزخره بحـره ، والنوال الذي يمتد ويجزر نهره • وأخلاق تسترق المناقب ، وصفات سبكتها يد التجارب ، سهلـة المذاهب ، تتجافى عـن مضاجع المثالب • زكت بـه الرياسة ، وزهت بمجده الحماسة • صدارة أنار حمالها ، وعطر صباها وشمالها •

كلف بالجميـل كلف العاشق بالمعشوق ، وصبا الى مجـابرة القلوب حتى ارتقى العيوق • فهو إنسان المحاضر ، وروح جثمان المآثر • عقيلة المجد، وذخيرة الشرف والسعد• شيمه كالنسيم المعطار ، وكرمه كالسحاب المدرار • ودّه مغناطيس الشعف[٢] ، (وإيناسه دعامة العز والشرف)[٣]، ومجابرته للخواطر شِنشنة[٤] السلف •

المذكور من أعيـان التجار ، ومن بيت قديم في الدولـة والفخار ، مواظب على جبر القلوب ، وتفريج الكروب • يـودّ العظيم والخفير ، ويحب الغني والفقير • تولى شاهبندرية[٥] حلب • وحين وجد / انقلاب ٣٢

---

(١) وفي ت : ابن العلبي •
(٢) الشعف : غشيان الحب للقلب •
(٣) ساقط من : ل •
(٤) الجملة ساقطة من : ت • الشنشنة : الخلق والطبيعة والعادة •
(٥) الشاهبندر : رئيس التجار • جابي الضرائب • قنصل الدولة العثمانية في العهـد القاجاري •

الأمور وانعكاس الدهور فرغ عنها لابن عمه علي جلبي ، أيام استيلاء بني جانبولاط[1] • ثم أخذها عن علي جلبي الخوجه[2] عمر الأسدي المشهور بابن دريهم ونصف ، الآتية ترجمته[3] • فكان في أهنأ عيش وأرغد حال • حسّن له بعض أهل الطمع ، فأخذ الشاه بندرية ، ثم مات رجل غريب ذو ثروة • وكان له عنده مال على سبيل الدين ، على زعمه ، وعلى زعم أعدائه ، لم يكن له وإنما غره الطمع ، فأخذ المال ثم تحركت أريحية صاحب الترجمة لكون المنصب كان له ولآبائه من قبل • فعزل الخواجة عمر ، وصار بينهما تكدر خاطر ، حتى سعى بمعونة الشيخ فتح الله البيلوني على تغريم الخواجه عمر مالا جزيلا ، بسببه تراكمت عليه الأمراض ، وصار مقعداً ، حتى انتقل الى رحمة الله ، وبقي ذا مال قليل •

ثم انقلبت الأمور، حتى تولاها طائفة السباهية، فأخذها شاه باز[4] من أتباع سليمان أفندي الدفتري بحلب سابقا • وكان صاحب الترجمة ربى أخويه لأبيه محمد جلبي ومصطفى جلبي • فترقى بمحمد جلبي الحال حتى تولى الدفتردارية بحلب • ولم يرض بأحوال أخيه المسطور حتى قتل أخوه محمد أفندي • قتله خسرف باشا كما سيأتي في ترجمته •

---

(١) يمكن كتابتها : جان بولاد، جانبولاد • وكلها بمعنى : ذو القلب الفولاذي والجريء• وفي ت : الجلالية •

(٢) الخواجه ــ الخواجا ــ الخوجه : معلم الصبيان • أصلها خواجه من غير نطق الواو • وكان يشترط أن يكون الخواجه طواشياً •

(٣) ترجمته وترجمة غيره في القسم المفقود من النسخ • وما بعده ساقط من : ت ، عدا جملتين نذكرهما •

(٤) معنى الاسم : ملك العقبان •

وتولى أخوه مصطفى جلبي فتوى حلب الحنفية بعد موت أبي اليمن أفندي • فرضي بهذا الأمر ، لكن كان يستعظمه على أخيه • ثم حج الى بيت الله الحرام حجة بلغت من الاشاعة مبلغ العيوق (حتى أكرمه الشريف محسن شريف مكة وأنعم عليه)[1] وأنفق الأموال ، وبذل الصدقات ، وبسط الموائد ، وأكثر الأرمغان للناس حين قدم • ثم انقطع في داره ، ولزم بيته • ثم ابتلاه الله في آخر عمره لموت ابنه إبراهيم جلبي • وكانت له بنت مزوجة بابن عيد ، جاءت الى مأتم أخيها ، فلشدة حزنها وضرب رأسها على الجدار ثالث يوم موت أخيها ماتت الى رحمةالله عز وجل • ولم يبق له ولد •

وبالجملة فهو من محاسن حلب وأرباب الثروة• ومولده سنة إحدى وسبعين وتسعمئة • مات سنة ثمان وأربعين وألف[2] •

---

(١) إضافة من : ت •

(٢) وفي نسخة ت : وهو الآن حي •

٢١ ـ أحمد بن جماعة المعصراني الشافعي

القطناني طريقة · من فرّت بـه الأيام ، واختطفته علـى أجنحة الاحترام ، وأنزلته في غرفات الاكرام · طلع نجم سعده سريعاً ، وكر على عقبه رجوعاً · كان ابن ماء فصار ابن ذُكاء[١] · (هبط الى مركزه، وسقط من الذرى على عجزه)[٢] · ركن الى جده المجدد ، ولم يتق بنات مُسند · انتظم ودعه في عقـود الجواهر ، واتخذتـه الملوك في خـزائن مصافاتهم من نفائس الذخائر ، (وصيروه شموع محاضرهم ، وزخارف مآثرهم · بل عدوه في منابر الفخر من خطباء العصر)[٣] ·

كان المذكور في خدمة بني عمران[٤] عكاماً · ثم حبب الله إليه طريقة التصوف ، واستحسن مناهجهم السنية ، فأخـذ طريقـة الشيـخ حسن الراعـي[٥] ، المسماة بالقطنانية ، أحـد مشايخ دمشق : فـرع دومـة الرفاعية · ولازم خدمته ، وطوّل شعره ، وتركه ظاهراً من غير عمامة ولا طاقية على رأسه · ثم سافر الـى قسطنطينية ؛ دار السلطنة · (وكان له سمت حسن وسكينة ووقار ، يتكلم بكلمات قد تصادف محـلا)[٦] · فاعتقده طائفة من أهل السرايا[٧] من خدام دار السلطنة من الطواشية ،

---

(١) ذكاء : الشمس · وابن ذكاء : الصبح ، لأنه من ضوء الشمس ·
(٢) ساقط من : ت ·
(٣) ساقط من : ل ·
(٤) في ت : التجار · والعكام : الذي يجمع الثياب ويشدها ، الحمال ·
(٥) لم تذكر : ت اسم الراعي ، واكتفت باسم الطريقة ·
(٦) ساقط من : ل ·
(٧) السرايا ، السراي : القصر ، فارسية ·

وكان يلازمهم • ثم زاد اعتقادهم حتى توصل الى داخل سرايا السلطان محمد •

وكان للسلطان محمد ولدان ؛ السلطان أحمد وأخ أكبر منه اسمه محمود • وكان السلطان أحمد يخاف إذا تولى أخوه محمود أن يقتله كما هو عادة سلاطين بني عثمان • وكان يعتقد المذكور • فقال له المذكور : يا أحمد ، أنت تصير بعد والدك سلطانا ، فاذا وليتَ فلا تنس أحمد أبا شعر ، يعني نفسه • فقال : هذا بعيد ، أخي أكبر مني ، هو الذي يصير سلطانا • فقدَّر الله أن الشيخ أحمد سافر الى دمشق لزيارة مشايخه ، فقتل السلطان محمد ابنه محموداً ، وكان السلطان أحمد يبعث مكاتيب للشيخ أحمد وهدايا • فما تم الأمر بعد مدة حتى مات السلطان محمد وتولى السلطان أحمد •

ففي الحال بعث الى الشيخ أحمد جماعات بأموال يطلبه إليه، فأحضره فأكرم نزله • وكان يقول : إنما حصل لي بمزيد اعتقادي في مشايخي/ • ٣٣ حتى إنه نام في كشك[1] السلطان • فدخل عليه السلطان أحمد ، فحاول أن يقوم ، فأقسم عليه أن يستمر كما كان • ثم جاء السلطان ، وفرك قدميه وقبلهما •

وكان إذا أعطاه مالا امتنع • ولكن يطلب منه عنبراً أو خاتماً ، فيعطيه قطعة عنبر لا قيمة لها عنده ، يتصرف فيها • ويعطيه خاتما قد يساوي الألوف ومع ذلك جميع أرباب المناصب يعادونه وجميع سكان دار السلطنة •

(١) كشك : شبه رواق بارز عن بقية البيت ، ويطل على الحديقة أو على الشارع • والكلمة فارسية •

وسعى ، رضي الله عنه ، لمشايخه في أخذ قريتهم لهم صدقة من السلطان ، فحصل لهم تمام الحظ والتوسعة في المعيشة • وبذل القرى للمريدين ، مع أن مشايخه كانوا لا يتصنعون أبدا لباسهم على أساليب الفلاحين • وهم غالبا أميون • لكن لهم أحوال وبركات • حتى إن الشيخ محمد العلمي مع كونه من أهل العلم ، لما كشف الله عن بصيرته فناء الدنيا وبقاء الآخرة ، ترك النيابة والكتابة في محاكم دمشق ، وأخذ البيعة وعهد التوبة من القطنانيين ، مع كثرة صوفية دمشق[١] •

وكان أولا في خدمة الشيخ أبي الجود العمراني الحلبي • فلما كان الشيخ أبو الجود في قسطنطينية كان الشيخ أحمد يتردد عليه • فجاء رجل من أرباب الدولة وعد الشيخ أبا الجود بعشرين جملا من المال[٢]، إذا شفع له عند الشيخ أحمد ، أن يقول عنه للسلطان إنه رجل حسن • فقال الشيخ أبو الجود : أقول ذلك وأشفع ، ولا أريد مالا • فقال الشيخ أحمد للسلطان ذلك ، فولاه أشرف المناصب[٣] •

(ومن عادة أهل دار السلطنة إذا وجدوا أجنبيا تكلم مع السلطان سعوا بحسن تدبيرهم على تدميره • فكانوا يترقبون الفرصة حتى)[٤] حضر الشيخ المذكور يوما عند السلطان فقال : رأيت النبي ﷺ يقول : يا أحمد يقتل أحمد ، يريد به الحافظ أحمد باشا • فصمم السلطان على قتله • ثم خرج الشيخ أحمد فوجد الحافظ داخلا بين أبواب السلطنة ، فقبل الحافظ يديه ، فقال : مدحتك عند السلطان (مدحا بليغا • فشكر

---

(١) المقطع ساقط من : ت •

(٢) وفي ل : بنحو ثمانية آلاف غرش •

(٣) وفي ل : باش دفتر دارية • وباش : رئيس أعلى ، ودفتر دار : رئيس الديوان •

(٤) ساقط من : ل •

فضله وقبل يده)[1] • فدخل الحافظ ، فوجد السلطان غضبان عليه • فسأل من حضر فأخبروه بما قال • فقال لهم : العجب ، إنه في الباب قال لي : مدحتك ! قالوا : في حضور مَن قال لك ذلك ؟ قال : بحضور فلان وفلان • قالوا : لا تخف قل للسلطان القصة • فقال : يا سلطان العالم أنت غضبان علي لقول هذا الكاذب ، سأرسل هذا الحين وأحضر فلانا وفلانا من القابجية[2] • واسأل ماذا قال لي • فأحضرهم السلطان وسألهم ، فوجد كلام الحافظ صحيحا ، ففي الحال أمر بنفيه الى مصر ، وغضب عليه ، فجعل له الوزير بعض صدقات سلطانية من مصر ومن دمشق • هكذا سمعت من كثير هذه القصة ، والله أعلم بصحتها •

ثم بعد مدة طويلة تذكر السلطان الشيخ أحمد ، فأحضره إليه ، ولم يقبله ذلك القبول، وأحسن إليه ببعض شيء وأمره بالعود الى دمشق[3] • (وبعد ذلك مات السلطان ، وقدم حلب • فاجتمعنا به فرأيناه)[4] متواضعا حسن الهيئة ، حسن الأخلاق ، عنده مزيد اعتقاد في مشايخه ، يحب الذكر ، ويعظم المجاذيب وأهل التصوف • له قدم راسخة[5] في التجريد وقمع النفس :

من ذا الذي ما ساء قط	ومن له الحسنى فقط ؟
محمدٌ الهادي الذي	عليه جبريل[6] هبط

وهو الآن مقيم في مصر ، في قيد الحياة ، سلمه الله تعالى •

---

(١) ساقط من : ت •

(٢) قابجي (تركية) : البواب والقواص والآذن •

(٣) وفي ت : « أعطاه في مصر جرايات » •

(٤) ساقط من : ت •

(٥) في الأصل : راسخ ، وقدم مؤنثة •

(٦) البيتان إضافة من : ت •

٢٢ ـ أحمد بن الشيخ محمد بن عمر[١] السعـدي[*]

المشهور بابن خليفة الزكي ، شقيق الشيخ وفاء[٢] الآتية ترجمته • المكتسي من التقوى الحلل الضافية ، والمستنهل من غير الصلاح المـوارد الصافية • راقي المعالي بالسلف العالي • من انبجست أنوار هداه مـن ينابيع الأذكار ، وهطلت عليه بركات أسلافه بالسحاب المدرار ، مـن سماء الأسرار •

لزم خبايا زواياه ، وملأ من الافتقار الى الله الأدعية من ركاياه • قد استنار محياه صبحا ، ونطق سكون سكينته عظة ونصحا • مع لـين الجانب وخفض الجناح ، واقتفاء مناهج النجاة والنجاح • آلت إليـه الخلافة بعد موت أخيه على فقرائه ، ولازم قعر زاويته لا يخرج إلا يوم الجمعة الى الجامع لاقامة حلق الذكر • وصبر على مرارة الفاقة ، وبذل قراه للواردين • وكان كلما كبر سنه ازداد خيراً وصلاحا ، وكلما طال عمره حسن عمله :

ورجّ الفتى للخير ما إنْ رأيتَه على السنّ خيراً لا يزال يزيـدُ

★ أحمد بن محمد السعدي الحلبي الشهير بابن خليفة الزكي • آلت إليه الخلافـة بعد موت أخيه وفاء (انظره رقم ٣٩ بعـد) • لازم حلقة الذكر بعـد صلاة الجمعة في الجامع الكبير • ألف في مناقب شيخه سعد الدين ومناقب أولاده • توفي سنة ١٠٣٤ ، ودفن بزاوية جده •

ـ خلاصة الأثر : ١/٢٩٨ •

(١) ابن عمر ، ساقط من : ل • (٢) يعني أبا الوفاء •

ولما كان / الشيخ عبـد الرحيم يذكر بالقرب منه ، كان إذا قـام **٣٤** الفقراء للذكر أخذ الفقراء وأبعد[هم] عن فقراء الشيخ عبد الرحيم هربا من الجدال والعداوة ، بخلاف أخيه • فانه كان يقرب من الشيخ عبد الرحيم •

أخبرني الشيخ محمد الكمالي من أتباعنا ، وهو رجل صادق ثقـة عدل : من كرامات الشيخ أحمد المسطور أنه أمر نقيبه أن يأخذ علـى الحمار حمل حنطة، ليطحنها • فطلب النقيب منه عشمانين لأجل اليسقية[(1)] • قال : والله ما معي ، ولكن أعط أنت منك قرضا • قال : والله مـا معي عثمانيان • قال: صبّرهم • فتوجه النقيب، وفم العدل مربوط، والحنطة نازلة عند فم العدل وعند عقب العدل ، حتى يحصل التعادل • فلما وصل الى اليسقي امتنع من ترك العثمانين ، وقطع الحبل المربوط به فم العدل بالخنجر ، والحنطة متراكمة[(2)] عند فم العدل • فلم يسقط منها حبـة واحدة حتى ضج اليسقي بالبكاء ، وذهب الى الشيخ المذكور تائبا خاضعا معتقداً • وكنت ــ الفقير ــ معتقده ومحبه • دعانا الى زاويته مرارا •

وأرانا تآليف والده ؛ شرح والده البخاري علـى أساليب مجالس الوعظ بخطه الحسن ، وذكر فيه مسائل حسنة ، وفوائد نفيسة • ولـه تأليف جمع فيه مناقب شيخه سعد الدين ، ومناقب أولاده من بعده •

مات سنة أربع وثلاثين وألف ، ودفن بزاوية جده رحمه الله تعالى•

---

(١) يساق : المنع • وهي كلمة مغولية معناها القانون •
(٢) في الأصل : متزكمة •

٢٣ ـ أحمد بن يونس العيثاوي(*)

نسبة الى قرية «عيثا» من أعمال دمشق · الشافعي الدمشقي · بماذا أنعت من غدا لجوانح الدين فؤادا ، ولانسان اليقين سوادا ، ولحلبة الكمال ميدانا، ولترجيح المكارم ميزانا ، وللشرائع إماما، وعلى البدع حساما ؟ اعتصم به الحق ولاذ ، واستعاذت به الأحكام من الأباطيل ، ونعم المعاذ· فهو للشرع معقله العزيز ، وركنه الحصين الحريز · تتقاطر التقوى من محياه ، ويشرق نور الصلاح من مشكاة هداه · وتسطع شمس العلوم في آفاقه ، وتنطمس الدراري عند إشراقه · المغتدي بلبان الفضائل طفلا، والمتضلع من كوثره شيخا وشابا وكهلا · فمنذ شب عمرو عن الطوق بجد، يحدو في تهامة التحصيل على مطايا الشوق · ومنذ مطيت عنه التمائم ، ونيطت به العمائم ، للفضل موردا ، وللمبرة مشهدا · يقبس من أنواره الداني والقاصي ، ويلتمس من أسراره البر والعاصي · الى أن أزف ارتحاله ، وحلت بناديه آجاله · فرحل من دار الفناء وحل بمعاصم البقاء ، ومعارج الارتقاء · ونشره ضايع ، وذكره غير ضايع ·

شرف حلب مرتين : الأولى سنة ست عشرة وألف ، في صحبته علماء

★ أحمد بن يونس بن أحمد شهاب الدين العيثاوي · ولد بدمشق سنة ٩٤١ ومات فيها سنة ١٠٢٥ · فاضل أفتى ودرّس ، وكان افقه اهل زمانه · من مؤلفاته « الحبب » في فقه الشافعية · نسبته الى « عيثا » من قرى دمشق ·
ـ خلاصة الأثر : ١/٣٦٩ ·
ـ الأعلام : ١/٢٦١ ·

دمشق ومشايخ الصوفية للاجتماع بالوزير الأعظم مراد باشا[1] فاتح البلاد من يد السكمانية[2] . فبمجرد نزوله في حلب قدم للسلام على الشيخ الوالد ، وكان له حق القدوم يسلم عليه الوالد أولا ، ولكن لمزيد محبته لوالدنا ، رحمه الله تعالى ، وكان والده الشيخ يونس[3] محبا لجدنا شيخ الاسلام الشيخ عبد الوهاب العرضي . ثم ذهب الوالد للسلام عليه . ولما اجتمع بمراد باشا أجله غاية الاجلال . ثم اشتكى مع زمر الدمشقيين على ابن معن الأمير فخر الدين (مع ابن جانبولاد ، وأخذ لهم أموالا وأولادا ونهب بيوتا . وأرادوا أن يأخذوا مراد باشا الى بلاد ابن معن لقتاله وقتله)[4] . وكان مراد باشا يحب ابن معن . فاعتذر إليهم

---

(1) مراد باشا : نائب الشام ، باني المرادية خارج بابي الجابية والشاغور . تولى إمارة الشام سنة ٩٧٦ ، وبنى فيها مسجداً حسناً .
ــ الكواكب السائرة : ٢٠٥/٣ .

(2) يذكرها العرضي بالميم دائماً ، ولعله واهم إذ لا وجود للكلمة بالميم في التركية ولا في الفارسية . ولم ترد إلا « سكبانية » بالباء ، ولعله الصواب ، وكذا ذكرها المحبي . ومعنى « السكبانية » حماة الكلاب والمأمورون عليها . وهي مركبة من « سك : الكلب »و« بان : الحارس والحامي » . ومهمتهم في الأصل قيادة الكلاب لصيد الأمراء . والكلمة ساقطة من : ت

(3) يونس بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي بكر العيثاوي الشافعي الشيخ الفقيه، خطيب المسلمين . ولد سنة ٨٩٨ وقرأ على مشايخ عصره . مات سنة ٩٧٧ ودفن في مرج الدحداح خارج باب الفراديس .
ــ الكواكب السائرة : ٢٢٢/٣ .

(4) ساقط من : ت .

(خفية)[1] بأن الأمور صعبة ، وأنا مشغول بحرب الطائفة السكمانية (في بلاد قرمان)[2] ۰ ولكن إذا فتح الله علينا لا بد من العود إليه ۰ (وكان له سبب ، أن مراد باشا كان / أولا باشا دمشق ، وكان وعده ابن معن بمال له صونها)[3] ۰ **٣٥**

فهم في أثناء ذلك عزل الباشا ۰ فأراد كتخداء ابن معن آن يرد الدراهم ، فارسل يستشيره ، فأجابه : بأنك تعطيه جميع ما عندك ۰ فأعطاه ۰ فحصل سرور لمراد باشا بسبب الدراهم ، وشكر ابن معن ، واستمرت المحبة بينهما ۰ ثم استجازه المشايخ الحلبيون فأجازهم ۰

وشرف حلب ثانيا في سنة خمس[4] وعشرين وألف للاجتماع بمحمد باشا الوزير الأعظم لأجل التكاليف والمظالم ۰ فحين دخوله الى حلب بكى على الوالد لأن الوالد كان قد مات ۰ وقال : والله حلب ما بقيت تساوي درهما واحدا بعد موت شيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي ۰ وفزت بتقبيل يديه ۰ ودعوته الى منزلنا ، وفي صحبته العلامة نجم الدين الغزي صهره ، والفقيه الكامل كمال العيثاوي ، والفاضل الشيخ عبد اللطيف

---

(١) إضافة من : ت ۰

(٢) إضافة من : ل ۰ تقع بلاد قرمان في تركية من نواحي أنقرة اليوم ۰

(٣) إضافة من : ل ۰

(٤) وفي ت : أربع ۰

المنقاري[١] ، (وفي صحبته العلامــة الشيخ نجم الدين الغــزي)[٢] •

(فكنا إذا سألناه مشكلة في الفقه إن علمها أجاب ، وإلا قال لاخوانه: كيف تحفظون النقل ؟)[٣] • وكان غالب علمــاء دمشق قرؤوا عليــه وانتفعوا به علما وعملا ، جزاه الله خيراً • حتى إن الشيخ شمس الدين الميداني كان له في ابتداء عمره تلميذاً ، قرأ عليه سنين ، لكنه رحل الى مصر ، واشتغل على أكابر علمائها في الفقه مدة طويلة ، (وأخذ العلوم الشرعية على أئمة مجتهدين • وعلى مايقال كان في مصر الشيخ حمدون، وهو عالم مجذوب استفاد منه أشياء كثيرة ، لكونه كــان لا يقرىء إلا القليل من الناس)[٤] • وعاد الى دمشق متعاظما على شيخه حتى كان يقول الميداني في دروسه : لست صاحب العلم اللين ؛ يشير الى العيثاوي• وكان العيثاوي يقول : شمس الدين لو نطقت هذه السارية لأخبرت كم سنة قرأ عليَّ •

---

(١) عبد اللطيف بن يحيى بن محمد ، المعروف بابن المنقار الدمشقي • قــدم حلب وتولى التدريس فيها • كان أديباً فقيهاً حسن الشعر • توفي سنة ١٠٥٧ وفي ت : المنقار •
ـ خلاصة الأثر : ٣/٢٠ •
ـ ريحانة الألبا : ١/١٣١ •

(٢) محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، نجم الدين • باحث وأديب • ولد في دمشق سنة ٩٧٧ وألف كتابه « الكواكب السائرة » بثلاث مجلدات • كما له مؤلفات ما زالت مخطوطة • توفي بدمشق سنة ١٠٦١ • والاسم ساقط من : ت •
ـ خلاصة الأثر : ٤/١٨٩ •
ـ الأعلام : ٧/٢٩٢ •

(٣) ساقط من : ل •

(٤) ساقط من : ت •

وبالجملة فلقد كانا نيري فلك العلماء في دمشق . كان الميداني له استحضار عظيم ، وتوغل تام في الفقه والحديث وعلوم القراءة على الفروع وأدلتها والتراجيح وطرقها من صحيفة خاطره، لا يأخذفي الدرس كتابا بيده ، ويملي البخاري وشروحه ومعانيه وأحوال رجاله من خزانة خياله . لكن الميثاوي جعل الله له بركة الافادة ، وحسن الفتاوى المقبولة والقبول التام عند الخاص والعام .

وكان يتبع والده في تحريم قهوة البن . ووالده الشيخ يونس شارح « غاية الاختصار »[1] . فانه كان من الذاهبين الى تحريمها زاعما أنها لو طبخت على أصلها لأعطت نشوة وطربا . ومن ثمة قال فيه أبو الفتح المالكي :

قهوة البنّ حرموها فاشربوا قهوة الزبيب
واسكروا وعربدوا واصفعوا يونس الخطيب

(ولقد كان الحافظ أحمد باشا يقبل يد الشيخ أحمد الميثاوي)[2]، وتوفي سنة ست وعشرين وألف . (وقد جاوز سبعين سنة . وصارت له جنازة بدمشق حافلة . وحق له ذلك فانه أفنى عمره في طاعة مولاه في العلم)[3] .

(1) غاية الاختصار : ثلاثة كتب الأول في أصول قراءة أبي عمرو لعبد الوهاب بن أحمد الدمشقي توفي ٧٦٨ ، والثاني لحسن بن أحمد العطار المتوفى سنة ٥٦٩ ، والثالث ولعله الأخير ، في الفقه الشافعي للامام أبي شجاع الحسين بن أحمد الأصفهاني المتوفى سنة ٤٨٨ . وانظر كشف الظنون : ٢/١١٨٩ .

(2) ساقط من : ل .

(3) ساقط من : ل .

٢٤ ـ أحمد بن المنلا توفيقي الكيلاني[١] العجمي[*]

قاضي دمشق الشام . نجم تدرَّج في مطالع المجد حين أوى الى منازل السعد . وكان دراً يتيما محفوظا في الأصداف ، ملحوظا بعين الاسعاد والاسعاف . نصبه يفاع الشرف ، على أرفع قصور العز وأعلى الغرف . دعا المراتب فلبَّته عشراً ، واسترق المجد بعدما كان حراً . وحين ريَّش فرَّ من وكر كان حميداً . ذكره الدهر ما نطق به لسان الحال : « ألم نر بك فينا وليداً ؟ » . فقال : بلى ، ولكن بين أئمة أضحوا للدين الحنيفي وقوداً . فما انفك حتى قاد الدهر إليه أعنته ، وأوطاه متن جواده وسلَّمه أزمته ، (ودانت له المناصب ، ولاذت به وأمته)[٢] . فأصبح إكسير أنظار السعد الأكبر نضاراً ، ورفل في حلل المفاخر باستحقاق ، ولم يلبس ثوبا معاراً .

قدم مع والده حلب ، وكان إذ ذاك أمرد والفقير أصغر منه . فبينا أنا في الجامع الكبير الأموي إذا بوالده (المنلا توفيقي)[٣] قدم لزيارة

★ أحمد بن توفيق الكيلاني الأصل القسطنطيني المولد ، قاضي القضاة المعروف بتوفيقي زاده (أي ابن التوفيقي) . أحد فضلاء الروم المشهورين . قرأ أنواع الفنون واشتغل بدار الحديث السليمانية وأعطي منها قضاء سيلانيك . ثم ولي قضاء الشام سنة ١٠٤٠ ، واقام بها سبعة أشهر ثم عزل . ثم ولي قضاء مصر وبعدها أدرنة وتوفي بها سنة ١٠٥١ .
ـ خلاصة الأثر : ١/١٧٩ .

(١) ساقط من : ت .

(٢) ساقط من : ت .

(٣) ساقط من : ت .

الوالد ، (والولد كان نائما • فقبلت يده • فسألني عن الوالد ، فقلت له : يحضر • فجلس سويعة)[1] فسألني : ماذا تقرأ ؟ فقلت : في شرح الجامي على الكافية[2] •[3]فبينما هو يسألني وإذا بالوالد يفتح الباب ففرحت الفقير ، وقلت في نفسي : استرحت من جواب السؤال • فلما خرج الى زاويته الشيخ الوالد بادرت الفقير الى الهرب منه• فتفطن لذلك فناداني • ثم سألني، فقدّر الله تعالى أنه هان لي السؤال، فرددت أحسن جواب • فكان إذا قرأ عليه صاحب الترجمة ابنه وعسر عليه أمر" قال لولده : ابن الشيخ عمر أصغر منك وقال كذا وقال كذا •

ثم إن صاحب الترجمة نزل ، وهو صغير ، (صحبة والده)[4] في بيوت بني الخوجة سعد الدين أفندي ، (فان الملا توفيقي كان أستاذا لشيخ الاسلام)[5] محمد أفندي ، ولأخيه شيخ الاسلام أسعد أفندي ، ولأخيه عبد العزيز أفندي وصالح أفندي • فأكرموا نزله ، ودرجوه في المدارس • (فلم يزل في حجر تربيتهم وترقيتهم)[6] حتى تولى قضاء دمشق الشام •

---

(١) ساقط من : ل •

(٢) الكافية لابن الحاجب • من شارحيها المولى نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي (ت ٨٩٨) • صنف شرحا لخص فيه مافي شروح الكافية من الفوائد على أحسن الوجوه وأكملها مع زيادات من عنده سماه « الفوائد الضيائية » • واشتهرت كثيرا في زمان العثمانيين ، وعلقوا عليها في كتب عديدة •

(٣) ساقط من : ل ، الى آخر المقطع •

(٤) ساقط من : ت •

(٥) ساقط من : ت •

(٦) ساقط من : ل •

وهو الآن حي ، حفظه الله تعالى ، لم يزل يرسل لنا السلام ، ويظهر لنا المحبة • وتزوج بابنة محمد أفندي (المشهور بجسمي أفندي قاضي العسكر) ، وهو أصغر من أخيه محمد أمين أفندي بكثير ، إلا أنه تولى أشرف من مناصب أخيه / بسبب أنه سلك طريق القضاة على أسلوبهم المعتاد •[1] **٣٦**



(١) ساقط من : ل •

٢٥ ـ أحمد بن الحاج جمال المجذوب

المشهور بأبي القدور • قاده الغرام بزمام الابرام الى منازل منارة الهيام • فمزق الأطمار ، وخلع العذار • وظهر بفنون الجنون ، وتحرك عزمه الى السكوت والسكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون •

كان ينسج الأقمشة البغدادية بمحلة قلعة الشريف[1]، يتردد أحيانا الى حلقة ذكر الشيخ محمد الكواكبي في الجلوم • ثم حصلت له الجذبة الربانية ، فنازل عقبات الصبر والفقر والوسخ والقمّل وآكل الخبائث التي لا تقبلها الكلاب • بل كان في ابتداء أمره يأكل الكلاب الميتة والمعلاق النيء • وما غسل ثوبا قط ، بل يستمر الثوب حتى يزداد وسخه، فيضع عليه رقاعا جديدة ، الى أن يصير فوقه أثوابا متعددة • حتى إذا أثقلته القمصان نزع بعضها ووضعها على ظهره، ولبس ثوبا جديداً •

وكان لو قطعت رأسه ، وراودته أن يذهب معك الى بيت أو خلوة لا يمكن ذلك • كان مأواه حجازية الجامع[2] الكبير ، يضع في القدر طعاما، ويضع فوقه ماء ، وينقع فيه الخبز حتى يحمض ويدود • ولا يزال باقيا عنده مهما جاءه من لحم مشوي أو طعام • أخذ ووضعه فوقه ، ووضع

---

(١) لم تكن قلعة بل كان السور محيطاً بالمدينة على ما هي عليه الآن ، مبنية على الجبل الملاصق للمدينة ، وسورها دائر مع سور المدينة • وكان الشريف أبو علي الحسن بن هبة الله الحسيني رئيس المدينة قد تمكن وقويت شوكته • بناها سنة ٤٧٨ خيفة على نفسه من أهل حلب وخربت القلعة سنة ٥١٠ (نهر الذهب : ٩/٣) وما زالت معروفة باسم أحد الأحياء •

(٢) في الأصل : جامع •

عليه الماء ، وأخذ يأكله ، حتى كأنه أطيب الطعامات • وإذا أراد الواحد منا أن يأكل منه لا يمكنه أصلا • بل إذا كان عنده شيء طيب دعانا إليه حتى نأكل منه •

وكان يصلي أحيانا بوضوء ، وأحيانا بغير وضوء ، وأحيانا لا يصلي ويصوم رمضان • لكن إذا اشتد عليه الحر جداً شرب الماء • وكان إذا أعطاه أحد إحسانا استمر يقرأ الفاتحة له مراراً بحيث يمل المحسن • وكذلك إذا طلب منه الدعاء • يقال إنه كان يستخدم روحانية الفاتحة •

وكان دائما يستيقظ نصف الليل ، فيقرأ « يس » ، وينشد كلام القوم بالألحان الطيبة سرأ ، يدير المقامات بالألحان • وكنت أعتقده • فرأيت له كرامات متعددة ، منها أني حضرت صبيحة الجمعة عند محمد أفندي الدفتري بن العلبي ، فسألني عن حال هذا الرجل • فأطنبت في مدحه • ثم جئت الى زاويتنا العشائرية[1] ، وانتظرت صلاة الجمعة • وإذا به شق صفوف الناس ، وخرج الى باب الزواية ، وأخرج لي من بين ثيابه نحو رطلين من زبيب الشام ، ولم يكن من عادته • ومنها أني كنت عزمت على السفر الى بعض قرى حلب ، فاستأذنته فلم يأذن • فكررت عليه فلم يأذن • فخرجت • وأنا بالقرب من خان طومان[2] رمتني الفرس ، فتعطلت عن المجيء • فقلت : يا سيدي الشيخ أحمد بن عبدو القصيري أنا خارج الى زيارتك ، فلا ترجعني خائبا • فشفاني الله تعالى •

---

(١) وتدعى دار القرآن العشائرية : عمّرها علي بن محمد بن محمد الامام علاء الدين أبو الحسن بن الشيخ بدر الدين أبي عبد الله بن عشائر الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٨٨ • كان لها أوقاف كثيرة ، بعضها الى الشيخ عبد الوهاب العرضي •
ـ نهر الذهب : ٣/٢٥٨ •

(٢) خان طومان : من قرى حلب في جبل سمعان ، فيها أنقاض خانين يرجع عهدهما الى القرنين الثالث عشر والسادس عشر (موسوعة حلب : ١/٣٠١) •

وكان المرحوم الوالد يقول : إن بعض (الأولياء يسلبون بعضهم الأحوال)[1] . فكنت أستهزىء بهذا الكلام حتى رأيته بالمشاهدة والعيان . وذلك أنه جاء الى حلب رجل مصري من الصلحاء يسمى بالشيخ سلامة ، ونزل بالجامع الكبير . وكان لا يغفل عن الله طرفة عين . يصعق بالليل ويقول : يا هو .. يا هو . ويكررها مرارا . فرأيت الشيخ أحمد قبيل المغرب جالسا على دفوف باب الحجازية ، وهو كاشف رأسه ، والهبال[2] خارج من بدنه ، وهو يصرخ ويقول : يا شيخ عبد القادر ، يا سيدي أحمد بن الرفاعي[3] ، يا فلان ، يا فلان . فظننت أن به مغصا أو قولنجا . فقلت له يا سيدي، بطنك يوجعك؟ فقال: هات لي ماء، هات لي ماء . فجئته بكيل ماء شربه فصرخ . ثم طلب ماء ، فجئته بآخر ، واستمر الى العشاء على هذه الحالة . الى أن فرغ الناس من العشاء ، وأغلقت أبواب الجامع . وإذا بالشيخ سلامة يصرخ من آخر الجامع وينادي ويقول يا أحمد ، يا آكل الفطايس ، (أتظن أني جئت الى حلب أنازعك في هذا الحرام الذي تأخذه من الناس ، أو على أكل الفطايس التي تأكلها؟ وعزة الله عزوجل لأترك بطنك في غد منفوخا كالزق حتى تهلك كمدا)[4] ، وأجعلك عبرة للمعتبرين . والشيخ أحمد يصرخ ويقول : يا شيخ عبد القادر ، يا رسول الله / يا سيد الكونين . (وكان الشيخ سلامة

٣٧

---

(١) وفي ل : « أرباب الأحوال سلب بعضا » .

(٢) الهبال : غير واضحة ، ولعلها عامية مثل « الهبلة » بمعنى اللهب والبخار .

(٣) هو احمد الرفاعي الحسيني . ولد في قرية « حسن » من أعمال واسط بالعراق . تفقه وتأدب وتصوف . فانضم إليه خلق كثير . قبره معجة في قرية « أم عبيدة » . له مؤلفات دينية . والاسم ساقط من : ت .

(٤) ساقط من : ل .

يحبني محبة تامة)[1] • فذهبت الى الشيخ المصري ، وتذكرت كلام الشيخ الوالد ، وقبلت يد المصري وقلت له : إني شفيع عندك في الشيخ أحمد، فقال : يا سيدي والله ما آذيته ولا فعلت معه شيئا ، وإنما هو في الباطن متوجه علي يريد هلاكي • فلابد هذه الليلة من قتله • فلما أبرمت عليه في الشفاعة قال : سامحته إكراما لخاطرك ، وجاء الى الرجل المسطور وقال له : عفوت عنك لأجل هذا العزيز ، والله لولا خاطره لتركتك غدا في القبور •

فوالله ما تم الأمر لحظة وإذا بالشيخ أحمد نام وغمضت عيناه •

ولعلك تقول : يا أخي، هذا أمر وهمي لا حقيقة له • فقد كنت أشد منك إنكاراً على هذا الكلام • لكن لما رأيته مثل فلق الصبح أيقنت ذلك •

توفي في الجامع الكبير سنة تسع وثلاثين وألف • ودفن بقبور الصالحين[2] •

---

(١) ساقط من : ت •

(٢) مقبرة الصالحين : وتعرف بمقبرة الخليل ، لأنه يوجد فيها مشهد للخليل فيه قدم من الحجر ينسب اليه • دفن فيها عدد من العلماء والصالحين ، نظم الشيخ وفاء الرفاعي قصيدة ذكرهم فيها • وهي من أشرف مقابر حلب ، وما زالت • – نهر الذهب : ٣/٣٦٧ •

٢٦ ـ أحمد بن أبي ريشة

أمير العرب بنواحي الشام والعراق ، الحياري[١] . الأمير بن الأمير ابن الأمير . ضرب في القفار[٢] ، طلب الامارة غوراً ونجداً ، وخاض في لجج الطمع فيها ، فشمر لها ساقا وزندا . ولم يبرح يحاول أن ينال من دوحتها العالية جناها ، ويراودها مراودة امرأة العزيز فتاها[٣] ، وهي تنفر منه نفرة الآرام من كناسها ، وتستوحش منه بعد إيناسها . الى أن قطع عروق الرحم ، فواصلته قسراً ، واغتصبها من بين أنياب الهزبر علي حين بغتة قهراً . فحين قادها الى روضة محامده بالسلاسل ، وأفاض عليها من سلسال محاسنه ألطاف تلك الشمائل أفعم[٤] ضمائرها وداً ، وأفحم جوارحها ثناء وحمداً . فتطوقت به شكراً ، (وتجملت بأثواب صنائعه مجداً وفخراً)[٥] ، ونطق لسانها ثناء علانية وسراً .

تولى ابن أخيه الأمير طاهر (بعد أبيه ، كما جرت به العادة)[٦] الامارة على العرب ، (بعد موت أخيه محمد ، وكان أكبر منه . وكان ابن أخيه يجله ويعظمه)[٧] . وكان يظهر لابن أخيه المودة ويكتم له

---

(١) لعل نسبتهم ترجع الى الأمير حيار بن مهنا أمير بادية الشام . كان مواليا لسلاطين مصر والشام وتابعاً لهم ، فنفض طاعتهم سنة ٧٦٥ . توفي سنة ٧٧٧ هـ (انظر في ذلك العبر : ٤٣٩/٥ والدرر الكامنة : ٨١/٢) .

(٢) في النسختين : قفار .

(٣) يعني النبي يوسف (ع) .

(٤) أفعم الأناء : ملاه .

(٥) ساقط من : ل .

(٦) ساقط من : ت .

(٧) ساقط من : ل .

السوء • حتى ورد عليه ابن أخيه يوما بعساكره العظيمة • فاتخذ لـه وليمة ، فحضرها ابن أخيـه ، وكان الأمير أحمد المذكور هيأ لـه سيفا قصيراً قاطعا • فبينما هو على طعامه ، والأمير أحمد واقف على رأسه تعظيما لابن أخيه أخرج السيف خفية ، وضرب عنق ابن أخيه ضربة ، خرجت روحه معها • واستولى على أمواله وخزائنه ، وتولى الامارة •

وهرب منه أخو الأمير ظاهر وهو الأمير دَندن ، وأخوه الآخر الأمير فياض وابن الأمير ظاهر « مدلج » • وصارت بينهم العداوة والفتن • وقوي جانب الأمير أحمد ، صاحب الترجمة • وكان الأمير دندن التجـأ الى حسن باشا أمير الأمراء (ابن محمد باشا)[1] ببغداد • فبعث الأمير أحمد الأموال الكثيرة للقبض على الأمير دندن وقتله • فأخذها حسن باشا وطلب أكثر من ذلك[2] • وسجن في قلعة بغداد الأمير دندن ، وكان حسن باشا منتظراً مجيء بقية المال لقتله • فأدخلوا له قفة من العنب ، وضعوا له فيها حبلا ومبرداً • (وكان هناك شباك مطل على نهر[3] دجلة) • فبرد شباك السجن ونزل من القلعة ليلا ، وهو يحسن السباحة ، وهرب، وذهبت دراهم أحمد شَذرَ مَذرَ[4] •

---

(١) ساقط من : ت • الوزير ابن الوزير نائب الشام • ولي كفالة حلب في مبدأ أمـره ثم كفالة الشام سنة ٩٨٥ ، ثم انتقل الى ولاية أناطولي فأرض الروم • ثم ولي نيابة الشام ثانية ٩٩٧ وتكرر عزله • أصيب برصاصة تحت إبطه قضاء وقدراً من يـد طفل فمات لساعته سنة ١٠١٢ •
ـ خلاصة الأثر : ٢/٤٠ •

(٢) وفي ل : ثلاثين الف غرش •

(٣) كذا قرأناها ، وفي ل : نفس • والجملة ساقط من : ت •

(٤) أي ذهبوا في كل وجه •

ثم إن الأمير أحمد بعد ذلك سلك سلوكا مقبولا ، رضي منه الرعايا وأجناده وأمراء السلطنة ، وصالح ابن أخيه دندن وجميع أقاربه ، وأجزل لهم العطايا ٠ وكان الأمير أحمد يحب رجلا عالما في عانة[1] يقال له الشيخ ظاهر ٠ وكان يعظمه وينصحه ويُسلكه طريق الخير ٠ (ثم إنه قال له : أخطأت في قتل ابن أخي ، هل لي من توبة ؟ قال له : التوبة القصاص أو الدية إن رضي ورثة المقتول ٠ وكان يظن أن دندن وارث)[2] ٠ فأخذه يوما من الأيام الى الصحراء ، وكان أحمد حينئذ شيخا كبيراً ٠ فلما خلا لهما المكان أخرج أحمد خنجراً وقال لدندن : اقتلني فانني قاتل أخيك ، والقتل بالقتل ٠ قال : معاذ الله ٠ قال : سامحني ٠ فسامحه (وقال له دندن : سامحك الله يا عمي ، أبرأ الله ذمتك)[3] ٠ ثم زوجه ابنته وأعطاه الدية ٠ ثم قال له الشيخ ظاهر : دندن غير وارث ، فسعى في عفو أولاد المقتول ٠

ثم بعد ذلك مات الأمير أحمد ، وانتصب ابنه شديد[4] ٠ وعلى

---

(١) عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت ، يعد في أعمال الجزيرة،مشرف على نهر الفرات، وبه قلعة حصينة ٠

(٢) ساقط من : ل ٠

(٣) ساقط من : ت ٠

(٤) الأمير شديد بن أحمد (ت ١٠١٨) أمير بادية الشام ، وكان كثير الظلم فيها ٠ كان مقامه ومقام آبائه في بلاد السلمية وعانة والحديثة ٠ كان جباراً سيء السيرة ٠ اغتاله ابن عمه مدلج بن ظاهر ببرية حلب سنة ١٠١٨ ٠
ـ خلاصة الأثر : ٢٢٢/٢ ٠
ـ تراجم الأعيان : ٢٣٩/٢ ٠

ما يقال ، يغفر الله له : كان مدمنا لشرب الخمرة • فقتله فياض أخو ظاهر ومدلج بن ظاهر[1] • وقالوا : يا للتارات • وسيأتي تفصيل قتله في ترجمة فياض •

كان الأمير أحمد يحب العلماء ، وكان متشرعا • فأحب السيد علي الموقت بالجامع الكبير ، الآتية ترجمته • فكان يسامر ليله • فقال : يا أمير ، هذا النجم يفعل كذا، وهذا النجم يفعل كذا[2] • ونقل مذهب الصابئة أنهم يعتقدون أن النجوم لها تصرف في الكون • وكان الشيخ ظاهر حاضراً • فقال يا أمير / ، في مجلسك يقع الكفر وأنت ساكت ؟ والله حرام علينا الجلوس عندك • فقال له السيد علي : أنا ما قلت إني أعتقد هذا الأمر ، أنا ذكرت مذهب الصابئة • قال : أيلزمك بحضور العرب ، الذين لا يعقلون شيئا ، أن توضح مذهب الصابئة ؟ فعند ذلك الأمير أحمد طرد السيد علي من منازله • وجاء الى حلب ، واستكتب محضراً ، يذكرون فيه حسن عقيدة السيد علي • فكتب الوالد : السيد علي عقيدته حسنة • كان ينبغي أن لايذكر مذهب الصابئة بحضور هؤلاء العوام • وكان ينبغي للشيخ ظاهر أن ينصحه سرأ لا علانية •

٣٨

---

(١) مدلج بن ظاهر بن عساف بن عجلة، ابن قرموش الحياري أمير عرب الشام من بني حيار• كان قويا بطاشا ، يروى أنهم من ذرية جعفر البرمكي • مات سنة ٩٤٥ بقرية أساور (أساود) حول حماة • وانظر أخباراً له في ترجمة الأمير حسين بن فياض الحياري أمير العرب عند المحبي •
ـ خلاصة الأثر : ٢/١٠١ •
ـ در الحبب : ٢/٤٨٠ •

(٢) الى هنا ينتهي نسخ النسخة التركية المرموز لها بالحرف (ت) ، وما يأتي ذكره منها فلتقديم النسخة وتأخيرها •

ومما كتبته : مولانا السيد علي إنما ساد آقرانه بتجنب البدع والأهواء • فشيد بنيانه في رفع معاهد العلم والتقوى ، وسدد بنانه في إظهار خفايا الأحكام والفتوى• فالذي أحطنا به علما ، وتيقنا منه جزما أنه حسن السير والسرائر• ومن رماه بسوء العقيدة فهو بمعزل عن الحق ظاهر • فكتب عليه جماعات من أعيان البلدة • وعرض على الأمير أحمد فسكت • لكنه بعد ذلك أعرض عنه ، ولم يحصل منه القبول •

وسمعت عنه حكاية أن رجلا كان يبيع على نساء العرب ما يحتجن إليه من حرير وكتان وطيب وغير ذلك • وكان شابا تختلط به نساء العرب • فقال لرجل : خذ هذا الخنجر وعجل ، فان رأيت (بتاعه) منتصبا اقطعه[1] ، وائتني به ، وإلا دعه فيما هو فيه • فذهب فوجده غير منتصب ، فبعث إليه بمال وأحضره إليه ، واعتذر منه • فقال : يا أمير ، وتربة أجدادك[2] •



(١) الصواب : فاقطعه •

(٢) كذا ختم كلامه •

٢٧ ـ أحمد بن مطاف[*]

أمير الأمراء بحلب • وضعته الدول في مفارقها ، وطلعت به أفلاك المعالي من مشارقها ، ونظمته فرسان أيلالة[١] في سوابقها • أحدقت به الرفعة إحداقَ الأبصار بالحبيب ، واكتنفت به اكتناف الغمد بالصارم المجيب • فصار للمجد قوما وللألطاف مغنما، وللملتجيء آمنا، وللمرتجي خدنا[٢] • يقصد للابتضاع من در جميله المتكاثر ، والارتضاع من در جوده المتقاطر • ملأ الأسماع محامدأ ، وجبر الأنظار مشاهدأ ، وأقام على ضايع المعروف شواهدأ، وأثقل كاهل العفاة فرايدأ، وانعم الصدور من الجميل فوايدأ •

لم يزل يتدرج في المناصب حتى تولى كفالة الممالك الحلبية • وفي تلك الأيام وقع حريق في سوق العطارين[٣]، وذهب للناس أموال متعددة • مع أن هذا الأمر لم يعهد في حلب قبل • سببه أن بعضهم نسي في الشقف[٤] بعض نار • وقيل: إن جماعة الباشا فعلوا ذلك عمدأ حتى يغرموا الناس الأموال ، والله أعلم بحقيقة الحال • والذي قاله بعض أرباب العقول الحسنة أن هذا الأمر وقع من غفلة رجل عن النار •

★ أمير الأمراء أحمد بن مطاف • تولى كفالة حلب ، وقد جرى في زمانه حريق سوق العطارين ، كما حصل في زمانه فساد من العرب وقطع الطرق • توفي سنة ١٠٠٨ ودفن بمحلة الجلوم •
ـ خلاصة الأثر : ١/٣٦٤ •

(١) أيلالة : موضع في تركية •

(٢) الخدن كالخدين : الحبيب والصاحب ، للمذكر والمؤنث •

(٣) أحد أسواق حلب القديمة ضمن الأسوار • يقع بين قلعة حلب وباب إنطاكية اشتهر منذ أواخر العصر المملوكي وبداية العصر العثماني ببيع التوابل والنباتات الطبية والحناء •• وما زال على شهرته •

(٤) الشقف : الخزف ، وهي آرامية الأصل • وتحولت في عامية حلب الى منقل النار •

وظهر في زمنه من العرب ، فساد كثير من قطع الطريق ، وأخذ أموال الناس حتى ركب ابنه درويش بيك[1] بعساكر حلب نحو آلف فارس . وكان أمير سويد العرب عرار خال دندن . فاقتتلوا ، وانهزم عساكر حلب . فكان عرار يتبعهم وحده ، ويقتل منهم ويفر . ومن تحته فرسه التي لا تسابق وعليه الدرع الذي لا تعلم فيه السهام ولا السيوف . قيل : ولا المكاحل . واستمر يتبعهم الى قرب المدينة[2] .

وكان عرار في الشجاعة والفروسية ، والفرس والعدو لا يطاق . وعاش درويش بيك بعد والده مدة طويلة . وكان من أكابر أعيان المتفرقة ، وحصل له القبول التام عند نصوح باشا . وسعى على قتل السيد حسين نقيب الأشراف ، بتحسين أخيه السيد لطفي له ، قائلا له : إن أخي يفعل كذا ويفعل كذا . وسيأتي خبر مقتل السيد حسين .

ثم لما وقعت الفتنة بينه وبين حسين باشا بن جانبولاط . وكان يتهم درويش بيك في أنه هو الذي حسن لنصوح / كل هذه الأمور . فلما ملك **٣٩** حسين باشا حلب ، وصار باشا حلب حبس درويش بيك في القلعة وخنقه ليلا ، وعلقه على باب الحبس ، وقال : إن درويش بيك هو الذي قتل نفسه . تجاوز الله عن الجميع . قتل سنة أربع عشرة[3] وألف . ووالده

---

(١) درويش بن أحمد بن مطاف ، من أكابر أعيان المتفرقة في حلب . قتله مقبول باشا خنقاً سنة ١٠١٤ .
— إعلام النبلاء : ٢١٧/٣ .
واللقب « بيك » فارسية الأصل ثم غدا لقبا تركيا يطلق على أبناء الملوك والنجباء وأمراء القبائل الصغار وقواد الجيوش . كما لفظوها « بي » و « باي » .

(٢) يعني حلب .

(٣) في الأصل : سنة أربعة عشر .

صاحب الترجمة بنى مدرسة ، وشرط لمدرسها في اليوم عشر قطع فضية، وفي قول عشرين عثمانيا صحيحا . واتخذ له ثلاثين جزءاً من كتاب الله عز وجل ، وهو ختم كامل . وبنى له مدفنا . وله خان وبعض دكاكين ، وقفها على هذه الخيرات . رحمه الله تعالى .

توفي سنة ثمان وألف تقريبا ، ودفن بمحلة الجلوم الكبرى[1] .



(١) انظر تعريف « الجلوم » سابقاً . والجلوم حيان حتى اليوم : جلوم الكبرى وجلوم الصغرى ، أو جلوم الجوّاني وجلوم البراني .

٢٨ ـ أحمد بن عمر القاري(*)

نسبة الى « قارة »[١] : بلدة صغيرة (دون حماة ودون حمص)[٢] مشهورة بشدة البرد. لفظ العلائق، ونفض العوائق . واقتحم الأسفار، وحمل عصا التسيار ، وأنس بالوحوش والقفار . قنع بسد الرمق ، ورابط على الفقر والجوع بغير قلق . قلبته يد الأقدار ، ونقلته ركائب الليل والنهار من سهل الى نجد ، ومن راحة الى كدّ . وكا طوراً قيسيا ، وآونـة يمانيا .

فاستقر به النوى ، وأحلّه بما قرّت به عينه وأطرب الجوى ، فنزل على حاتم القِـرى ، واتّخذ موطنه أم القرى . فرفل بعد التعب في ثياب الراحة ، وجدّد له الدهر مآربه وأفراحه ، وهيج ارتياحه .

نشأ متوسما بسمة الفقر والدروشة . فطاف البلاد ، (وزار مرقد الشيخ عبد القادر الجيلاني ، قدس الله سره)[٣] ، وهو في ثياب بذلّة ، وأحوال مختلّة . راضيا بالقوت ما تعدّى .

★ أحمد بن عمر المعروف بالقاري . نزيل حلب . نقل الطباخ ـ على عادته ـ كل ترجمته من العرضي ، وختمه برثاء ابن النقيب له ببيتين : توفي سنة ١٠٤١ . ـ إعلام النبلاء : ٦/٢٣٤ .

(١) قاره : جُبيل مستدق . والقارة ـ لغة ـ أصغر من الجبل ، كذا قال الأصمعي . وهي اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق بين حمص ودمشق (ياقوت) . وهي واقعة اليوم بين حسية والنبك ، مشهورة بالبرد الشديد شتاء وبالثلوج .

(٢) كذا في ل ، وفي ت : فوق حمص .

(٣) ساقط من : ل .

وأخبرني أنه ذهب إلى بغداد لقصد خدمة الشيخ حبيب الله البصري[1] ، فوجده فيها ، فطلب منه عهد القوم على طريقة القادرية ، (فأطرق مليا ثم)[2] قال : أجد عليك سيماء الشيخ أبي بكر بن وفاء الحلبي[3] ، فاذهب إليه وكن في خدمته • فقصد حلب ، وخدم الشيخ أبا بكر في حال حياته • (وكان عند الشيخ أعظم من صاحب الترجمة)[4] • فحين مات الشيخ أبو بكر جلس مكانه شيخا على الفقراء جماعات متعددة • هذا يجلس سنة فيقوم عليه الجماعة وينصبون غيره •

وكان مكانهم الجبل المدفون به الشيخ أبو بكر ، لكن كان ضيقا ، ومساكنه قبيحة • وكان المذكورون يحلقون اللحى ، ويفترشون الرماد والجلود ، ولا يصومون ولا يصلون ، ولا يعرفون سوى أكل الحشيش ، والكلام المهمل ، والأوضاع الغريبة ، ويشربون الخمر • ومع ذلك كانت تتوارد عليهم الصدقات والاحسانات من الرجال والنساء ولا يعرفون لها قيمة •

وكان الشيخ أحمد بينهم من جملتهم غير معتبر فيهم • (وقالوا :

---

(١) وهم محقق خلاصة الأثر فقرأ « المصري » بدلا من البصري ، حبيب الله البصري الشافعي القادري • فقد تضايق من شتم الصحابة ، فحج ثم قطن مصر بالجامع الأزهري ملازما درس شيخ الاسلام الرملي ، ثم لزم الطريقة القادرية ، وجاور في مشهد الشيخ عبد القادر ببغداد بعد مفارقته مصر • ومر بحلب ثم ارتحل الى البصرة لعدم راحته في بغداد • مات بالبصرة سنة ١٠١٤ •
ـ خلاصة الأثر : ١/٥٠٠ •

(٢) ساقط من : ت •

(٣) الكلمة ساقطة من : ت •

(٤) وفي ت : « وكان أحقر جماعته » •

مرادنا شيخ يصلح نظامنا • فاشترى لهم بسطا وصحونا وبعض حوائج التكية)[1] • فلما وجدوه صاحب معقول ، ولــه حسن رأي ، اتخذوه شيخا • فأخذ في إصلاح أمورهم - حتى زارهم أحمد باشا مطاف زاده[2]، فزجرهم على ترك الصلاة والصيام • (فامتثل الشيخ أحمد أمره ، ثم بادر الى المحافظة على الصلوات والأوراد والعبادات • ثم اتسعت عليهم الدنيا فاتخذوا الغلمان الحسان ، ثم بنوا الأماكن اللطيفة • وأوقف الناس عليهم أراضي وبساتين ، كلها كانت تكتب باسم الشيخ أحمد ، وإنه مالكها • وصار مكانهم من متنزّهات[3]، حلب ومن أعاجيبها)[4]•

وأجرى لهم إسماعيل آغا أمير القلعة من قنــاة حلب الى مكانهم • وكان الشيخ أحمد المذكور يحلق اللحية ويأكل الحشيش ، (لكنه كــان لا يفارق الوضوء ، ولا يترك التهجد ، ويطالع كتب القوم ، ويورد منها بعض حكايا وبعض مباحث ، ويكلم كل إنسان على قدر عقله ، ويعرف التركية والعربية • وكان له لطائف حسنة ، منها أنه دخل إليه محمــد أفندي الكواكبي • فناوله القهوة شاب حسن الصورة من جماعة الشيخ أحمد • فقال له محمد أفندي : الظاهر أن جميع ما عندكم لله • قــال : أريد أن تأمر هذا الغلام الحسن يعطيني قبلة في خده • فقال له الشيخ أحمد: أنا أنوب منابه فقبّلني عنه فتقدم الكواكبي وقبل الشيخ أحمد•

ودخلتُ إليه مرة فذُكر عنده درويش محمد شيخ المولوية • وكان

(١) ساقط من : ت •

(٢) انظر تعريفه رقم ٢٧ « ابن مطاف » •

(٣) في ت : منتزهات ، وهو خطأ •

(٤) ساقط من : ل •

المذكور يدّعي الدروشة والفقر ٠ومع هذا كان له علافات في التمارات٠ فقال الشيخ أحمد : درويش محمد مثاله كالنعامة إن جاءها طعام بحمال فتحت فاها وطلبت الأكـــل ، وقالت : أنا جمل ٠ وإذا جاءت الأثقـــال ليحمّل عليها صفقت بجناحيها وقالت : أنا طيرٌ لست بجمل)[1] ٠

ورأيت من يقينه وتوكله أن جميع أهل حلب صمموا على أن نصوح باشا يقتل الشيخ أحمد القاري ، ويهدم مكانه ٠ والسبب أنه كان يحب عساكر الشام ، والقاري لا يهتم لذلك ولا يبالي ٠ حتى حضر إليه نصوح باشا (ومعه الفعلة بالفؤوس والمجارف ، وأهل حلب يظنون أنه يهدم ذلك الموضع ٠ فاجتمع الناس عند مرقد الشيخ أبي بكر لأجل الفرجة ، والفقراء عنده هربوا ، وهو قاعد ثابت ٠ حتى في خلال ذلك ظهر أنـــه يهدم الأبنية التي على سور المدينة)[2] ٠ ثم جاءه الباشا زائراً ، فقال له صاحب الترجمة : يا باشا ، أنت لا تقدر أن تفعل إلا إحدى ثلاث : إما القتل فانا لنا مدة نتمنى درجة الشهادة ٠ وإما النفي من حلب ، فلنا مدّة نطلب السياحة ٠ وإما الحبس فلنا مدة نطلب الرياضة ٠ أتقدر على أكثر من ذلك ؟ فضحك[3] وقال : طب نفسا وقرّ عينا ، (ما لنا بركة إلا أنت ٠ اليوم أخرجت الفعلة لهدم الدور على السور ، وليس لي نية في ضرركم أصلا)[4] ٠

---

(١) ساقط من : ل ٠
(٢) ساقط من : ت ٠
(٣) الكلمة ساقطة من : ل ٠
(٤) ساقط من : ت ٠

وكان اشترى عقارات من بساتين وكروم وأراض ، اتخذها وقفا على المجاورين عند ضريح الشيخ أبي بكر ، أثمانها حصلت له من الصدقات الواردة على مقام الشيخ أبي بكر ، تقربا الى روحه الكريمة ، وجعل لها متوليا[1] .

ومن لطيف أمثاله أنه دخل عليه رجل عليه ثياب الصوفية ، وله تيمار[2] يميل في الباطن الى الدنيا . فقال : هذا كالنعامة ، إذا أرادوا أن يحملوها خفقت بجناحها ، وقالت : أنا طائر ، وإذا هبوا لبكّ[3] الدقيق قالت أنا جمل .

واستمر نحو خمسين سنة في الخلافة ، لا ينازعه منازع ، في راحة وافرة ، وصدقات تأتيه من الناس متواترة . وغالب الكبير والصغير يقبلون يده . [وهو][4] ملازم على الأوراد ، ويبذل القرى للواردين عليه . وكان يقول: الدهر مل من طول عمر ثلاثة؛ أحدهم أنا ، والثاني من أبي الجود أفندي ، والثالث من شاه عباس[5] . قال بعضهم :والرابع

---

(1) ساقط ما بعده من : ت ، عدا الوفاة في الخاتمة .

(2) تيمار (تركية) : ملازم ، رتبة عسكرية .

(3) بكّ الشيء : خرقه وفسخه .

(4) إضافة المحقق ، للمعنى .

(5) تزعم الأسرة الصفوية أنها عربية وترفع نسبها الى موسى الكاظم . وسموا بالصفويين نسبة الى صفي الدين الأردبيلي . استطاع عباس الابن الثالث لحيدر أن يستقل سنة ٩٠٧ ويؤسس دولته في تبريز ، وشرع في فتح إيران كلها وسرعان ما تاخموا الدولة العثمانية . وقد أدت الحدود واختلاف المذهب الى حروب طاحنة منذ ٩٢٠ . وقد حاربه سليم وانتصر عليه . حظي عباس برضا العلماء ، وكان أفضل الصفويين . توفي ١٠٣٨ باصفهان ودفن بأردبيل وعمره نيف وسبعون سنة .

ـ خلاصة الأثر : ٢٦٧/٣ .

ـ تاريخ الدول الاسلامية: ٥٤٤/٢ .

من يوسف باشا بن سيفا[1] • لكن أبو الجود أفندي فيه نفع لعباد الله • ثم اشترى كتبا ، فيها المقبول الذي له ثمن ، فوقفها على المكان •

وكثرت الصدقات فعمر[2] حسن باشا بن علي باشا بن الرند ميدان الفقراء بالقبة الكبيرة ، تحتها العواميد العظيمة • وعمر حمزة بُلك باشي[3] القاعة ذات البركة من الماء، ولم يتمها، بل وصلت الى السراويل • فأتمها أحمد باشا أكمكجي زاده[4] الوزير ، والوزير الأعظم محمد باشا[5] كبّر القبة التي هي على مرقد الشيخ • وعلي آغا آغا الينكجرية[6] أيضا عمر عمارات • والحاصل أنشأ فيها صاحب الترجمة بتدبيره وحسن رأيه أشياء عظيمة من حدائق لطيفة ، ومطابخ للطعام ، وبيوت خلاء • وصار هذا المزار لا يوجد له نظير في الدنيا / بالنظر الى مزارات الأولياء • ٤٠

وكان صاحب الترجمة ذا سكون ومصاحبة لطيفة وسخاء مُفرط، لو جيء له بالألوف لفرح بانفاقها يوما واحداً • وعماراته كلها صدرت منه بصدر واسع وكرم زائد، وتحمل تام للفعلة والمعلمين • وقد لامه أسعد أفندي[7]

---

(١) أمير طرابلس الشام • ولي حكومتها مدة طويلة • قصده الشعراء • وهو الذي أسس دولتهم ، فبنى خلفاؤه بعده واقتدوا به • حارب ابن جانبولاد • توفي في عشر الثلاثين • ـ خلاصة الأثر : ٤/٥٠٣ •

(٢) في الأصل : وكثرة الصدقات عمر •

(٣) ذكره الطباخ في نقله عن العرضي « حمزة الكردي الدمشقي » • وبلوك باشي : الرئيس على عشرة جنود •

(٤) اي ابن الخباز ؛ أكمك : خبز وجي : للنسبة وزاده : ابن •

(٥) محمد باشا : كان وزير السلطان سليمان ثم سليم ثم مراد - توفي شهيدا بالقسطنطينية

(٦) استعاض الطباخ آغا الينكجرية بقوله : « ضابط العسكر » وهو صحيح • سنة ٩٨٧ •

(٧) نقل الطباخ النص ، وحين وصل الى أسعد أفندي قال : « شيخ الاسلام المولى أسعد » •

ولما مرض أوصى بالخلافة من بعده لدرويش أحمد الكلشني ، وأعطاه ختمه • وأحضر الكشاف عنده ، وكتب حجة بذلك • ولما مات أظهر الشيخ مصطفى القصيري[1] ورقة بخط الشيخ أحمد المسطور في دعواه قائلا : إنه اتخذ درويش مصطفى الخليفة من بعده • واشتد الخصام ، وبقي هذا يتولى الخلافة مدة ، ثم يذهب آخر ، ويأتي بأمر سلطاني ليكون الخليفة ، ويعزل الآخر ، وهلم جرا • واختل أمر ذلك المكان غاية الاختلال •

وانتقل بالوفاة من سنة إحدى وأربعين وألف ، (ودفن عند باب مرقده الشريف ، وعمره جاوز التسعين ، بل قارب المئة ، رحمه الله تعالى)[2] •



(١) مصطفى داده القصيري • وردت ترجمته في « مورد أهل الصفا » ليوسف الحسيني • كان معظماً لدى الكبار والأعيان • سار في مشيخته على تكية الشيخ أبي بكر • وهو ثاني خلفاء الشيخ أبي بكر ، وقد خلفه الشيخ أحمد القاري أكثر من ثلاثين سنة • توفي سنة ١٠٧٤ ، ودفن في التكية •

(٢) اضافة من : ت •

٢٩ ـ أحمد باشا بن الأكمكجي

الشهير بأحمد باشا بن الأكمكجي الوزير • تحلت بمجده أجياد الصدارة ، واتّشحت بمحامده أجناد الوزارة • تعشّق الدولة طفلا ، فهطلت عليه من مزنها طلا فوبلا ، (ومدت له للدولة ظلا)[١]• فاستيسر لجتها ، واستظهر حجتها ، وعلق بأردانها[٢]،/ واعتصم بعنانها،وافترع بكرها ، وثقب دُرها ، واستخلص دَرها • وجرّ على مجرتها ذيلا ، واستباح ساحتها حين جرّد عليها رجلا وخيلا • ثم اختلعها منه قهراً من لبس فيه جلد النمر ، وفاجاه بنقمته مفاجأة السيل المنهمر • ولفظه في مهاوي شماتة الحسود[٣] ، وقرّ به عين العدو وأهبطه الى الحضيض[٤] بعدما كان في مراقي السعود • وولاه كفالة حلب بعدما كان أحد الوزراء الكرام ، وأنزله عن معالي تلك المراتب العظام • وكان يود لو غاب غيبة القارضين[٥] ، وأن لا يبقى منه إلا أثر بعد عين ، وينعق فيه غراب البين • ثم تذكرت الدولة عهودها المنسية ، وعادت الى طباعها الأمسية• فأوطأته مطاياها ، وأنعمت له ركاياها[٦] • وعادت به والعود أحمد • وقال لسان حالها : إني أشكر الله وأحمد •

٤١

(١) ساقطة من : ت

(٢) الأردان : أصل الأكمام ، مفردها رُدن •

(٣) وفي ل : « في مهاو وفرح بها الحسود » •

(٤) وفي ل : من الثريا •

(٥) القارظ : الذي يجمع القرظ ويجتنيه • من المثل : « لا يكون حتى يؤوب القارظان» • وهما رجلان ، خرجا ينتحيان القرظ ويجتنيانه . فلم يرجعا . فضرب بهما المثل •

(٦) الركية : البئر ذات الماء •

كان والده خبازاً[١] ، فتقرب الى الدولة حتى تولى منصب الباش دفتر دارية . وحظي بالكلمة النافذة عند سلطان الزمان أحمد[٢] وعساكره ووزرائه وأجناده . وكان إذ ذاك مشهوراً بالظلم (؛ فان النفوس جُبلت على كراهة من يطلب منها مالا ولو كان قانونا . وباش دفتر دار من شأنه المطالبة بالأموال ، والمحاسبة على النقود)[٣] .

ثم تولى نصوح باشا الوزارة العظمى ، (وكان يبغض صاحب الترجمة[٤] فسعى في قتله عند السلطان فلم يتيسر لأنه كان يحبه . ثم على توليته باشوية[٥] حلب ، ليبعده عنه (بناء على أن يسلك الظلم ، ويشتكي عليه الناس)[٦] . فجاء الى حلب ، وأصلح نقودها ، وعمّر قراها (بعد ما كان على القرى أموال للينكجرية العشرة باحدى عشرة في كل شهر حتى خربت قرى حلب . ثم إنه أصلح تلك الأمور . فرجعوا الى أن يديّنوا العشرة بخمسة عشر في السنة . وأصلح المعاملة ، فأنزل من

---

(١) خباز (بالتركية) أكمكجي .

(٢) الاسم ساقط من : ت .

(٣) ساقط من : ت .

(٤) ساقط من : ل .

(٥) وفي ت : كفالة . باشوية حلب : يعني إمارتها . ووالي حلب يكون وزيراً أو مشيراً أو باشا ، ويندر أن يكون بيكاً أو أفندياً . وكثير من الذين تولوا حلب انتقلوا منها الى الصدارة العظمى أو من الصدارة إليها . وولاية حلب بالنسبة الى بقية الولايات العثمانية تعد من الصف الأول .

— نهر لذهب : ٣١٩/١ .

(٦) ساقط من : ت .

القلمة العثامنة[1] النقية الوازنة، بحيث جعل الأسدي بسبعين والريال بثمانين ، لم يتغير هذا النظام• ولا توجد العثامنة لقلتها ولقبولها)[2] •

وأجزل مع الناس أحسن المسالك ، وأجزله عدله على أهلها ، وأجل علماءها ، ودفع لهم مالهم في بيت المال • (وكثرت الأقوات ، وانتشرت الخيرات)[3] • (وكان يجمع الأطفال ويلبسهم الثياب ، ويجمع الفقراء ويفعل ذلك • وكان يمر ببيت القهوة ، فيعطي ثمن القهوة عن جميع من فيهـا •

وإذا صادر أحداً من أهـل الجنايات قال : أعطني كـذا ، وأعط كتخداي كذا ، وفلان كذا ، بألطف عبارة ، حتى يهون على المصادر منه الأمر ويسهل • وقد رأى الله حصول الأمن في زمانه، والرخاء الذي ماسبق• وأكمل عمارة القاعة في الشيخ أبي بكر[4] •

وكان يحب ممازحة الناس على الجماع ؛ يقول للشيـخ الكبير في الديوان : خذ هذا المال ، واشتر أرزاً ولحما وجامع ، وأخبرني غداً كم جامعت ؟ فيذهب ذلك الرجل ، ويأتيه بالخبر في الثاني إما كذبا وإمـا صدقا ، فيقول : جامعت كذا• فيعطيه أيضا• وكان لا يحب قتل النفس؛ ما قتل إلا القليل • وإذا ثبت على أحد سرقة قطـع يده على مقتضى الشرع • وقد ثبت على فلاح أنه لاط بغـلام صغير ، (وكان الرجـل أعزب)[5] فقطع من ذكره قطعة فوق التمرة (حتى إنه طلب بعد ذلك وتزوج وجاءه أولاد)[6] •

---

(١) يعني : العملة العثمانية • والأسدي عملة عثمانية صغيرة •

(٢) ساقط من : ت

(٣) ساقط من : ت

(٤) المقطع ساقط من : ل •

(٥) ساقط من : ت

(٦) ساقط من : ت ، وما بعده كذلك حتى النهاية •

وكانت حلب ونواحيها أجدبت ، فاستسقى الله تعالى بالوالد . وكان الوالد يدعو الله ، ويعظ الناس ، وهو يبكي حتى أنزل الله المطر . ومات الوالد في زمنه فأعطانا مؤونة تجهيزه ، واحتفل بنا غايـة الاحتفال ، وحمل سرير الوالد وبكى عليه بكاء شديداً .

وأخبر أنه لما ورد عليه أمر السلطان[1] بتعمير السرايا فعمرهـا وقال في نفسه : أي من دخل إليها بعد تمام التعمير قبل كل الناس يكون من رجال الغيب ، أهل العناية من الله عز وجل . فلما كملت وأصبـح الصبح وقعد ينتظر من يأتيه . فاذا بالقائل يقول له : الشيخ عمر أفندي جاء إليكم . فتلقاه الى خارج ، وفرح غاية الفرح ، وظهر له أنـه ظفر تمام الظفر . وكان يوم الجمعة ثالث يوم موت الشيخ / الوالد . فبعث ٤٢ مناديا : احضروا يا أهل حلب لسماع وعظ الشيخ وفاء[2] مكان والده. ففرح الناس غاية الفرح ، واجتمع الألوف ، حتى وعظت في ذلك اليوم الحافل . وصار لي عجيبة . من أول ، كنت إذا وعظت استمرت المطالعة من الأسفار الى وقت العصر ، لا أكلم أحداً . ولا أشتغل ذلك اليوم عن الوعظ بشاغل . ومع ذلك يرتج بي المجلس من الحفظ ، وأبقى متحيراً في إكمال المجلس لغلبة النسيان . ومن ذلك اليوم ما عدت أفتقر إلا الى مطالعة نحو ساعة أو ساعتين . فعرفت أن ذلك من أنفاس الوالد ، ومن روحانية الوالد،قدس سره العزيز. وأعطاني عرضا بمدرسة الحلاوية[3]

---

(١) في الأصل : سلطان .

(٢) يعني أبا الوفاء المؤلف .

(٣) الحلاوية : كانت كنيسة ، بنتها هيلانة أم قسطنطين ، وحولها القاضي ابن الخشاب الى مسجد وعرف بمسجد السراجين . جددها نور الدين وجعلها مدرسة حنفية . من أبرز من درّس بها ابن العديم والرومي وابن شحنة . والمدرسة اليوم مسجد قريب من الباب الرئيسي للجامع الأموي .
— نهر الذهب : ٢/٢١٦ .

مع فتوى الشافعية بعدما طلب المدرسة منه جماعات أرباب أموال وشوكة فلم يقبل ذلك • وحين جاء جواب عرضه بالقبول فرح الفرح التام •

وتولى في زمنه صدر الدين زاده قضاء حلب • فضيق عليه ، فانه كان يبغض جماعة نصوح باشا • ولما قتل نصوح باشا تولى هو القائم مقاميّة • وصارت له الجلالة والرفعة العظيمة •

توفي سنة عشرين وألف تقريبا ، وعمره نحو ثمانين سنة •



٣٠ ـ أحمد بن محمد[*]

نقيب الأشراف بحلب · والده عاصر سلافة الأدب لأهل عصره · ومعمر بيوت المنظومات لتأوي إليها أفكار أهالي مصره · أزمع في ريّق الطفولية وعنفوان الشبوبية في اقتحام لجج الطلب ، والازدحام على مشارب الأدب ، لا يحجزه عن ضنكه عـُمي ، ولا يلهيه عن مواسمه حديث سعدى ومي · أسعفته راحة الراحة بامتلاء الراحة ، حتى ولج عتبات الأساتذة ، ولج في اقتناص[1] أوابد موائد الجهابذة ·

ترقى صهوات الكمال، وثمل من قهوات المعاني المستخرجة من خفايا المقال · فملك صولة التحقيق تفصيلا وإجمالا · وتقدم ، وإن تأخر عصره ، في ميادين المجد استظهاراً واستقلالا · فأضحى من أبناء الأقوال، مُشاكلا سلالة الاقبال· فمدت عليه الرئاسة أطنابها ، وتلت عليه في مقام المحامد إطنابها · أنزله السعد في رحابه ، وكشف ستر حجابه · فلله دره من لوذعي ماهر ، وألمعي يناضل في حومة الجدال ويناظر · اجتهد في تحصيل العلوم منذ كان صغيراً قبل البلوغ ، فقرأ على الشيخ الولي أحمد الحموي الحمامي العلواني « منهاج الفقه » للنووي[2] · فانه كان شافعيا

★ هو أحمد بن السيد محمد المعروف بابن النقيب الحلبي الحنفي ·ت ١٠٥٦ · الف حاشية على « الغرر والدرر » لمنلا خسرو ، في الفقه ·
ـ هدية العارفين : ١/١٦٠ ·

(١) في الأصل : اقتنصاص ·

(٢) هو نفسه « منهاج الطالبين » في فروع الشافعية · توفي النووي سنة ٦٧٦ ·

أسوة آبائه وأجداده · ثم لازم الشيخ نجم الدين بن الحلفا [وي][1] في القراءة عليه سنوات متعددة · ثم لازم الشيخ صلاح الدين الزردكاشي · ثم قرأ على الشيخ برهة من الزمان · ثم بعد موت الوالد لازم القراءة على الشيخ أبي الجود البتروني · واقتصر عليه قراءة وسماعا لدروسه ·

وتولى بعض المدارس الحلبية ، ثم توجه الى قسطنطينية · فصار ملازما لمحمد أفندي غني زاده[2] · ثم سلك طريق القضاء ، فتولى قضاء إدلب ثم سرمين[3] · وكان ذا أموال غزيرة ، وكذلك والده كان من الأغنياء ، وجده والد والده · وما كان من بيت علم ، لكن الله منحه لسانا طلقا ، وفهما ثاقبا ، وذكاء مفرطا · ثم أخذ أمرا شريفا بالتقاعد عن قضاء القدس الشريف · ومنذ توجه الى الرئاسة تعادى مع جماعات متعددة · وكان سيف الله أفندي اتخذ للعلماء وليمة · فحضرها الشيخ أبو الجود والشيخ أبو اليمن والشيخ محمد البترونيون الاخوة الثلاثة · وكنت الفقير ممن حضرها والشيخ نجم الدين الحلفاوي · وكان صاحب

---

(١) إضافة المحقق · هو محمد بن محمد الملقب نجم الدين الحلفاوي الأنصاري ، الحلبي الدار الحنفي المذهب · خطيب جامع حلب ، وله شعر · توفي سنة ١٠٥٤ · و « الحلفاوي » قيل لأجداده بني الحلفاء لأن أباهم ولد في طريق الحجاز بجوار أرض كانت تنبت الحلفاء ·
ـ خلاصة الأثر : ٤/١٨٣ ·

(٢) محمد بن عبد الغني بن ميربادشاه ، المعروف بغني زاده · كان نادرة الروم وقاضي العسكر المشهور · وهو أشهر موالي الروم في الذكاءوالنظم والنثر ، وله مؤلفات مدحه الشعراء · توفي سنة ١٠٣٦ ·
ـ خلاصة الأثر : ٤/١١ ·

(٣) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب ـ وما زالت ـ أصل اسمها « سدوم » على قول الميداني · ويذكر ياقوت أن أهلها كانوا على مذهب الاسماعيلية ·

الترجمة جالسا تحت مجلس النجم ، والنجم جالسا تحت مجلسي • وفوق مجلسنا الشيخ أبو اليمن • فجاء أحمد أفندي بن محمد أفندي المفتي ، وحاول الجلوس فوق صاحب الترجمة • / فتجاذبا وتجادلا ، وارتفعت الأصوات بينهما • أحمد أفندي يقول : توليت أقضية متعددة حتى انتهيت الى آدنة[1] • فأنا أحق بالجلوس فوقك • وذاك يقول : آنا شريف عالم فاضل ، لست جاهلا • وأنت رجل جاهل • ثم يخاطب أبا الجود أفندي مع كونه عما لذلك ، فيقول له : يا أفندي أيحل من الله بعد ملازمتي لكم في الدروس عشر سنوات ، وشدتي التي قاسيتها في التحصيل ، يقعد ابن أخيك فوقي ! فيقول أبو الجود أفندي كلاما محتملا لمعنيين : الأدب شيء مليح ، لزوم الأدب أمر عظيم • الى أن أخذ النجم بيد صاحب الترجمة ، فأجلسه فوق مجلس نفسه ، فقال له : أنت شيخي ، لا أجلس فوقك • ثم إنهم جذبوا أحمد أفندي البتروني[2] الى الجهة الأخرى حتى سكنت نيران الفتنة • فلما جيء بالطعام تحول المجلس ، فعاد أحمد أفندي وجلس فوق صاحب الترجمة • فعادت الفتنة أيضا حتى تحول أحمد أفندي الى ناحية أخرى • ثم ثارت الفتنة أيضا بينه وبين حجازي أفندي • وكان هذا يذم ذاك عند الحكام ، وذاك يذم هذا عند الحكام •

٤٣

فلما كان العشر الأخير من شهر رمضان أقام بنو العماد حلقة الذكر والصلاة على النبي ﷺ • وكان العالم يجتمعون في ذلك المكان تبركا •

---

(١) أدنة : بلدة تقع جنوبي تركية •

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن البتروني الحلبي (وتتمة ترجمته في ابراهيم ابن عمه) • ابن مفتي الفقيه الحنفي وأحد كبراء حلب وأسخياء العالم • ولي القضاء ثم تقاعد عن قضاء الشام وتصدر بحلب • توفي سنة ١٠٧١ •
ـ خلاصة الأثر : ١/٢٤٣ •

ومنهم تنزها، فكان يجلس في الحجازية ويشرب الدخان! حتى جاء الباشا، وهو سليمان باشا[1] مبدلا صورته • فزجره وأهانه بالكلمات الشنيعة والأقوال الفظيعة ، وكسر شمعته ، وأطفأ ضوءه ، وكسر شربات[2] كانت هناك ، وأهانه إهانة تامة •

ولما مات الحاج محمود بن نصير عن آموال جزيلة ، ولم يكن له أولاد ، بل كان له ورثة لهم بعد• وكان هو القسام • فاستخرجوا أمواله، وأكلوا منها شيئا كثيراً • فأخرج حجازي أفندي أوامر في جماعات هجموا على بادستان السلطان[3] ، وكان في زمن حسن باشا هو كافل حلب • فسجن صاحب الترجمة عند رجل من أعيان أتباع الباشا ، فصادره الباشا بعد ذلك بثلاثة آلاف غرش • وصادر سعدي جلبي بن الشيخ مسعود[4] بثلاثة آلاف • وصادر السيد عمر لكن خفية بدون حبس• وصادر السيد حسن ابن بنت السيد محمد • وحاول بعد موت الشيخ أبي اليمن أخذ فتوى حلب بالحنفية ، وبذل الأموال • فلم يمكنه ذلك لكون شفعاء

---

(١) سليمان باشا : الوزير نائب الشام • كان في البدء أمير آخور السلطان ، وولي بعد ذلك نيابة الشام ثم جاءته الوزارة • كان يتكلم العربية فصيحاً ويعظم العلماء • ثم عزل عن الشام وولي نيابة ديار بكر ، ومات بها سنة ١٠٣٢ •
ـ خلاصة الأثر : ٢/٢١٣ •

(٢) الشَّربة : إناء من خزف يشرب منه •

(٣) بادستان السلطان : مجلسه (تركية) •

(٤) ترقى سعدي جلبي الى قاضي العسكر ثم صار مفتياً بالقسطنطينية • مات بالنقرس سنة ٩٤٥ ، وصلي عليه صلاة غائبة بجامع دمشق • هذا ما ذكره الغزي ملحقاً بترجمة زين الدين بن العجمي •
ـ الكواكب السائرة : ٢/١٤٦ •

مصطفى أفندي العلبي[1] أصحاب قوة ، لا ترد لهم شفاعة ·

وحين مات النجم الحلفاوي ظن أن الدهر صفا له، وأنه صار مستقلا بالأمور · فما انقضت مئة يوم وخمسة أيام وإذا بالمنية نزلت عليه :

وإذا المنيـة أنشبت أظفارها ألفيت كـل تميمـة لا تنفـع

حتى كان النجم يقرىء التفسير ، وهو أيضا يقرئه ·

وكان رحمه الله له نظم حسن وإنشاء أحسن وخط متوسط · كتب رسالة على سورة « الفتح » · وله بعض تعليق على « الدرر والغرر » الفرعي · حاول أن يتخذها حاشية ، فلما اطلع على حاشية عزمي زاده انتقض عزمه · وحاول حسن باشا حين صادره،وكان قد اقترب الوزير الأعظم بيرم باشا للديار الحلبية أن يحضره مجلس الشرع ، معترفا بأنه ما أخذ منه شيئا ، هرب منه أحمد أفندي ، وتوجه الى الوزير واشتكى ما أصابه من حسن باشا · فوعده باستخلاص حقه منه · ثم صادف في طريقة حسن باشا فخضع له وتذلل ، وقال : فعلت معك خطأ · ودعا على من كان سبب ذلك · ثم صالحه على ألف قرش، أعطاه إياها أسبابا·

والعجب أن صاحب الترجمة من حين قراءته في العلم كان مطلبه فتوى حلب مع كثرة ماله وكثرة رجاله · فعجز عن أخذها من مصطفى أفندي علبي زاده · بل عجز عن أخذ النقابة لنفسه ، وكذلك النجم الحلفاوي مع كثرة علمه وماله ورجاله · وحين كان صغيراً يراود غادة الفتوى ، ولم تحصل له · وكذلك إبراهيم أفندي مع كونه / ابن المفتي ، وفرغ ٤٤

(١) مصطفى المعروف بابن العلبي مفتي الحنفية بحلب ورئيسها السامي· سافر الى الروم وانحاز الى شيخ الاسلام يحيى بن زكريا · ثم عاد الى حلب مفتياً · ثم أضاف اليه السلطان مراد قضاء إدلب الصغرى ، ولم يتحل بهذا المنصب أحد · توفي ما بين ١٠٥٠ ـ ١٠٦٠ ·
ـ إعلام النبلاء : ٢٩٨/٦ ·

له والده ، وعجز ، فما أمكن . ومصطفى أفندي بن العلبي لم تخطر له في الصغر على بال . ومع هذا تفضل الله عليه بها ، مع أنه حين كان صغيراً حتى قارب الاكتهال لم تخطر له بالبال حتى منحه الله إياها ،ذلك تقدير العزيز العليم .

وبالجملة كان عالما فاضلا ، حديد اللسان ، حريا بالتعظيم والاحترام . وكان يناضل النجم في الصدارة الحلبية حتى انتقل النجم الى رحمة الله عز وجل . فظن أن الوقت صفا له . فمضت أيام قليلة نحو مئة يوم وعشرة أيام[1] تقريبا ، انتقل المزبور[2] أيضا الى رحمة الله عز وجل .



(١) قبل صفحات قال : وخمسة أيام .

(٢) المزبور : المذكور .

٣١ ـ أحمد بن حسين
الشافعي الحموي

من سلالة القطب الرباني والهيكل النوراني (الشيخ محيي الدين أبي صالح)[١] عبد القادر الكيلاني من حماة المحروسة ، ذو الصلاح والدين . سارت أجناده تحت علمه المشهور والنجاح المرقوم في طي رق هداه المنشور، والتقوى المتضوع عَرفها، والمتنوع عُرفها، والمادح لا المخصص وصفها . ثمرة روضة ولاية يانعة ، وزهرة حديقة لأفنان . من سلالة كرام هم فروع الاسلام[٢] ، وللقلوب المكلمة بموسى العصيان أساه . كلف بهم المجد كلف العليل الى الشفاء ، والغليل الى الرواء ، والعفاة الى العطاء . (لاذ العاصي بحماة فحماه ، واقتفى الطائع آثار رشاده فرقاه ورتاه)[٣] .

تدثر مروط[٤] التقى منذ كان صغيراً ، وتزمل بشعار الهدى والارشاد والسخاء ، (وتزمل بأردان النصائح[٥] ، ودعوة الخلف الى الحق حينما كان كبيراً) ، (حتى أشرق في سماء المحامد بدراً منيراً . جلس على سَجادة المشيخة حين كان صغيراً ، ولم يزل على المحافظة على الصلوات والأوراد والأذكار وإعطاء العهود للمريدين المعتقدين في جده، قدّس الله تعالى سره العزيز،)[٦] والقناعة بما يأتيه من غلال أفدنته ،

---

(١) إضافة من : ت .
(٢) وفي ت : « ملاذ النجاة » .
(٣) ساقط من : ت .
(٤) وفي ت : ثياب . المرط : كل ثوب غير مخيط .
(٥) الردن : الغزل والخز ، جمعها أردان . والجملة إضافة من : ل .
(٦) ساقط من : ل .

ومن ريع أوقاف والدته ؛ فان والدته من بيت حطب من أهالي حلب ، ذات أوقاف جليلة وأموال غزيرة • (وزوّج بنته لابن الخوجه باكير • وكان تزوج فلاحة من قرية لا تليق به ، لكونها ليست من ذوات المجد • فغضب عليه الشيخ أحمد السابقة ترجمته • وكان كتب له إجازة فطلبها منه ، فأرسلها إليه ، واستمر يمقته • وفي نفس الأمر الشيخ أحمد الصغير صاحب الترجمة لا يفتقر الى إجازة الشيخ احمد الكبير ، لأنه مجاز من والده الشيخ حسين ، وهو صاحب الخلافة)[1] •

والعجب أنه كان في رتبة الشيخ أحمد السابقة ترجمته من جهة المشيخة • ومع هذا كان مؤدبا مع الشيخ أحمد لكونه كان أكبر منه سنا جداً • ولما مات الشيخ أحمد أجمع فقراء القادرية على أنه الأحق بالجلوس في زاوية الشيخ أحمد ، لكن لما علم أن مدار الجلوس هناك الاستيلاء على أوقاف الزاوية المذكورة ، ومخالطة أهالي المحلة في قطع المصادرات والدخول في تعاطي مصالح المحلة من العوارض والنزل ومظالم حكام السياسة ومحاصيل القضاة ، وأن هذا الأمر يودي الى قلة الدين ، وقطع صفات المتقين، وإن كان في ذلك نفع له كما هو عادة مشايخ حماة؛ فان كل رجل يستولي على محله ، ويبقى مأكله ومشربه منها ، فقنع بزاوية والده ، وجلس الشيخ جلال الدين ابن عم المتوفي وابن عم صاحب الترجمة في تلك الزاوية • ثم لما مات الشيخ جلال الدين أيضا راودوه عنها فاستعصم • وجلس الشيخ يحيى ابن أخي الشيخ جلال الدين • ثم مات الشيخ يحيى فأجلسه الحكام قهراً • (ثم لما علم

---

(١) ساقط من : ت •

أن الشيخ شرف الدين شقيق الشيخ يحيى سعى فيها وبذل المال تركها قبل المخاصمة ، رضي الله عنه . فانه حسن الأخلاق ، حسن الأوصاف ، مليح الشمائل . لم يُعهد منه ظلم ولا تعصب ، ولا كلام رديء ، ولا فعل منكر)[1] .

عهد له والده بالخلافة قبيل وفاته ، فلازم الزاوية بعد موت والده يقيم حلق الأذكار والأوراد بعد[2] الصلوات الخمس. (واشتغل مدة من الزمن في فقه الامام الشافعي رضي الله عنه ؛ فانه شافعي وإن كان جده الأستاذ الباز الأشهب عبد القادر الجيلاني حنبليا)[3] . وقرأ الفقه على الشيخ العلامة عمر العسكري[4]،وعلى تلميذه الشيخ حسن العاني. وقرأ على الفقير أياما في « شرح المنهج » للقاضي زكريا[5] . وكنا كثيراً ما نجده عندنا زائراً . وكنا نزوره أحيانا[6] .

مات رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وألف ، ودفن بجانب والده رحمه الله تعالى[7] .

---

(١) إضافة من : ت .

(٢) في ل : بعض . ويجوز قوله : « بعد بعض » . والجملة ساقطة من : ت .

(٣) ساقط من : ل .

(٤) ذكره الغزي في (الكواكب السائرة : ١/٣١٦) في أثناء ترجمته ليوسف بن حسن الحنبلي .

(٥) يقصد « منهاج الطالبين في فروع الشافعية » للإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦). شرحه القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٨ .

(٦) المقطع ساقط من : ت .

(٧) في حين أن ناسخ النسخة « ت » يقول : وهو الآن حي بارك الله في عمره .

٣٢ ـ أحمد الشهير بمنلا زاده[*]

القاضي بحلب في سنة ست عشرة وألف ، قدم حلب قاضيا ، فصادف الشريعة بالطغاة مغبرّة الأرجاء ، ضيقة الأنحاء · كدّر صفاءها[١] ، وسدّ مسعاها ، وعدا عليها عداها · عقود شملها منفصمة ، وقواعد صلاحها منخرمة ، وعراها غير مبرمة · (أضيق من سم الخياط من الاحتياط على الأموال ظلما والاختباط)[٢] ، حتى كاد أن ينزع الى الفرار ، وقد رحل الصبر ولات حين اصطبار ·

وازداد ألمه مصابا بأن اتخذ السكمانية للمداراة أصحابا ، وإنه لضغث على ابّالة[٣] · قطع أوصاله ، وشتت أحواله ، فأعطى الدنية ، وارتقب الأقضية السماوية · الى أن أذن / الله بالفتح والنصر ، وانفلت ٤٥ من قبضة القهر ، وربقة الأسر · فعاد بعد العناء الى الدعة ، وانتقل من ضيق الهموم الى السعة · وأقبلت رايات الخلافة ، وآيات الأنافة ، تعلن الاسعاف والاسعاد ، وتلت ألسنة السعادة « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » وهو مراد العباد ومقتضى السداد ·

---

* كذا اسمه في : ل · وفي ت : « إبراهيم بن···منلا زاد » · ومنلا زاده : ابن الشيخ·

(١) ساقطتان من : ت ·

(٢) إضافة من : ل ·

(٣) من المثل : « ضغث على إبالة » يضرب لمن حملك مكروها ثم زاد عليه (المستقصى : ١٤٨/٢) ·

دخـل حلب قاضيا ، وعلي باشا بن جانبولاد[1] (كافلهـا بسيف عصيانه من غير أمر سلطاني)[2] ، (في دست عصيانه ، وسرير طغيانه، وتزايد أعوانه . فوجد الشريعة مغلقة الأبواب ، مهتوكة الحجاب)[3]. فأخذ في المداهنة والمداراة . (وكان الرجل المذكور فاضلا عادلا كاملا، فصبر وتحمل المشقات)[4]،حتى دخل عليه السيد شمس الدين بن السيد علي الحنبلي ، (الذي كان مؤقتا بالجامع الكبير)[5] (وأحد أتباع بني جانبولاد)[6] في مطلب ، فقال له : لا يلزم بمقتضى الشرع . فقـال حين خرج : بعد مدة (أصير قاضيا بحلب ، ووالدي قاضي العسكر بأمر ابن جانبولاد)[7] . فأسرّها ابراهيم أفندي[8] في نفسه . (فلما قاتل علي باشا للوزير العظيم مراد باشا كان السيد علي في صحبة علي باشا يقوّم له السعادة ، ويعده بالسلطنة وزيادة . فانكسر علي باشا ،ورجع

---

(1) علي بن أحمد بن جانبولاد بن قاسم الكردي القصيري . جده جانبولاد كان يعرف « عربو » . كان أمير لواء الأكراد بحلب . ولي حكومة المعرة وكلس وعزاز . وبعد حروب طويلة استطاع علي أن يتولى حكومة طمشوار في داخل بلاد الروم . واستمر عليها الى أن عرض أمر استوجب قتاله . فقتل وأرسل رأسه الى باب السلطنة ، وكان ذلك في حدود سنة ١٠٢٠ .

ـ خلاصة الأثر : ٢/١٣٥ .

(2) إضافة من : ت .

(3) إضافة من : ل .

(4) إضافة من : ت .

(5) إضافة من : ل .

(6) إضافة من : ت .

(7) وفي ل : « حضرة الباشا يولي والدي قضاء حلب » .

(8) كذا في : ت . وفي ل : « يوسف » ، واسمه أحمد أو إبراهيم .

بصفقة المغبون)[1] ، وانكسرت السكمانية فأخذ أهل حلب يجمعون السكمانية في القيود ، ويُحضرونها لدى القاضي . وكان الشيخ شمس الدين من جملة أهالي حلب الجامعين للسكمانية . فلما تمثّل بين يديه قال له : خبيث ، أنت ركن السكمانية . فوضعه معهم في السجن (الى أن يحضر الوزير الأعظم مراد باشا ، فقدّم السكمانية ، وبينهم المذكور ، فضربت أعناق الجميع ، وكان شمس الدين منهم)[2] . ويا ليته سامحه وعفا عنه ، ولا يعرضه للقتل . فان شمس الدين كان فاضلا ، وكان ماهراً بعلوم القراءات السبع[3] . وكانت له ديانة ، ولكن الأقدار السماوية جرت بما كان . ومات شمس الدين شهيداً ، (ووضع رأسه بين الخيام ،وجثته ـ من غير تغسيل ولا صلاة ـ في الحفر)[4] .

ثم هرب والده ، فعزله القاضي المسطور من الميقات ، وعرّض فيه للوزير الأعظم ، وفي أتباعه وأحبابه عرضا[5] فاحشا جداً . فمن جملة ما كتب في الأمر الشريف أن يقتلوهم حيثما وجدوهم ، ولا يرفع عنهم القتل ، ولا يخفف عنهم العذاب . وكان الساعي في ذلك السيد محمد الصادقي . حتى أخذ وظيفة الميقات قتل جماعات كثيرة غلطا . منهم :

---

(١) إضافة من : ل .
(٢) إضافة من : ت .
(٣) الكلمة ساقطة من : ت .
(٤) إضافة من : ل .
(٥) لعل الصواب : تعريضا .

شيخ قادري ، نازل في مدرسته الأسدية[1] ، داخل باب قنسرين[2] . كان إذا خرج جماعات من مطبخ السكمانية ، وكتب في دفتر السكمانية يحضرون هذا الشيخ لقراءة الفاتحة . قتله الوزير الأعظم . ومنهم رجل متجاذب منقطع داخل باب النصر[3] يسمى الشيخ سعد ، ضربه الرعايا ظاما حتى قتلوه . ورجل يقال له عمر جلبي بن المعطار . كان ألف سيرة لبني جانبولاد على أسلوب سيرة الملك الظاهر ، ضرب الوزير عنقه بأمر صاحب الترجمة . ومنهم الشيخ عبد القادر ، كان رجلا صالحا في بانقوسا ، كان بنو جانبولاد لا يعتقدونه ، فضرب عنقه كذلك بأمر القاضي[4] .

والعجب أن الشيخ أحمد الحموي اختفى أياما ، وقال : هذا زمان

---

(1) مدرسة قديمة تقع داخل باب قنسرين في محلة الرحبة . أنشأها بدر الدين بدر الخادم عتيق أسد الدين شيركوه ، وكانت دارا يسكنها فوقفها بعد موته . أول من درس بها قطب الدين النيسابوري . لها وقف بحلب وآخر بدمشق . ويقال لها كذلك « المدرسة الأسدية الجوانية » . وهناك مدرسة أخرى تدعى الأسدية تجاه القلعة . لم يبق للمدرسة بقايا في زمان الطباخ حيث دخلت بقاياها في العمارة التي أنشاها خسرو باشا .
ـ إعلام النبلاء : ٣/١٨٠ و ٤/٢٦١ .

(2) باب قنسرين : أحد أبواب حلب السليمة ، وهو أعظم أبوابها وأقدمها ، ولعله كان موجوداً قبل الاسلام . سمي بذلك لأنه يفضي الى بلدة قنسرين المندثرة . وكانت تبعد ٥٤ كم عن حلب ، وبجوارها قرية العيس .
ـ موسوعة حلب : ٢/١٨ .

(3) أحد أبواب حلب ، لا يزال بعضه سالما . وكان يعرف بباب اليهود ، فبدله الملك الظاهر كراهة ذكر اليهود . كما يسمى باب القديس جرجس ، ولا يزال مزاراً للنصارى ، ومزاراً للاسلام باسم مقام الخضر (موسوعة حلب : ٢/١٩) . وما زال باب النصر حياً مهماً تجارياً ، يقع على رأس زاوية بين السويقة والخندق .

(4) المقطع كله ساقط من : ت .

الفترة ، ربما يقتلونني[1] ، لكونه كان يعتقدني . ثم استمر قاضيا أشهراً . وكان في صحبة مراد باشا محمد أفندي الشهير بجشمي[2] ، فعرضه لقضاء حلب . وكان جشمي من قضاة القصبات ، والقانون أنه لا يتولى قضاء المولوية ، لكن قبل السلطان عرضه لكون الفتح العظيم صار على يديه . وبمجرد توليته لقضاء حلب جاء الى المحكمة من غير التفات الى رعاية خاطر القاضي السابق . وضيّق عليه الدنيا فخرج ، وهو مقهور غضبان على جشمي أفندي .

(وبالجملة لقدكان إبراهيم أفنديفاضلا عالما عادلا متباعداً عنالرشوة. مات رحمه الله تعالى في سنة عشرين وألف ، وعمره فوق الخمسين . رحمه الله تعالى ، وجعل الفردوس مستقره ولجميع المسلمين آمين)[3] .



(١) في الأصل : يقتلوني .

(٢) ذكر الغزي جشمي محمد صالح من قضاة حلب أيام الدولة العثمانية .
ــ نهر الذهب : ١/٣٠٦ .

(٣) المقطع كله إضافة من : ت . ولعل موقعها مكان آخر .

٣٣ ـ إبراهيم بن المنلا أحمد الحصكفي(*)

الشافعي المشهور بابن المنلا . والده شارح «المغني»[١] لابن هشام. مشيد كعبة اللطائف، وممهدها للعاكف والطائف. وحامي حمى النكات والظرائف. مقام فضله حرم المشكلات، وبيت مجده قبلة الكمالات. وزمزم علمه/مورد الطالب، وحجر تحقيقه[٢] مسند لكل راغب. أشرق قمر فضله ٤٦ في منازل التقريب والتقرير، وسطع نور بيانه في هياكل التحبير والتحرير.

★ ابراهيم بن أحمد بن علي الحصكفي الأصل، الحلبي المولد العباسي الشافعي. ولد بحلب ودرس على عمر العرضي ومحمود البيلوني . حج بعد الألف ورجع الى حلب، فانزوى عن الناس ولزم المطالعة . كان من أهل العلم والأدب . له كتابان ما زالا مخطوطين . توفي سنة ١٠٣٢، بينما لم يحدد المحبي السنة بل قال: «بعد الثلاثين بقليل» ولقد أخطأ ناسخ «ت» فجعل اسمه «أحمد بن أحمد» . وتوفي والده الشارح سنة ٩٩٠ .

والحصكفي: نسبة الى «حصن كيفا» على دجلة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين .

ـ خلاصة الأثر: ١/١١ .

ـ إعلام النبلاء: ٦/٢١١ .

ـ ريحانة الألبا: ١/٩٧ .

(١) أحمد بن محمد بن علي الحصكفي (٩٣٧ ـ ١٠٠٣) فاضل أديب شاعر . ولد في حلب ونشأ فيها . له كتب ورسائل وكلها مخطوطة . شرح مغني اللبيب . وله اختصار تاريخ الذهبي وعقود الجمان . قتله بعض الفلاحين بالقرب من معرة نسرين قرب حلب .

ـ خلاصة الأثر: ١/٢٧٧ .

ـ إعلام النبلاء: ٦/١٣٨ .

(٢) كذا في: ت، وفي ل: بحقيقته .

مع أصول مجد طالت فروعا ، وكرم إباء عذبت ينبوعا · ودين مشرق ، وصلاح معرق ، وتقوى أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وطاعة هي ثمرات سرحة الأماجد والعلماء ·

شرّق بالمطالب ، وغصّ بماء المآرب · فكان في التشاكي مع الزمان كفرسي رهان ، يعاتبه : ما هذا الحرمان ؟ ولمَ لفظتني في هوّة الهوان، وابتسمت للأقران ؟ (لمَ رقيت البيدق الى الفرزان ؟)[1] وتهلّل لهم صبح محياك في ارتفاع الشان ، وطففت الميزان ؟ فأجابه : لست صليب العزم ، ولا قوي الحزم ، ولا ماضي الرأي ، ولا نافذ البصيرة ، ولا حديد السريرة · هلا ارتكبت شنارهم[2] ، ولبست عارهم ؟ أما دعيت ما انفتق به جيب خبايا الخفايا للقائل ، وهدر شِقشقته لأجل الفاضل ؟

سألت زماني ، وهو بالبذل مولعٌ وبالجهل محفوف وبالنقص مختصُّ
فقلتُ له: هل من سبيل الى العلى ؟ فقال : طريقان: الوقاحة والنقصُ

فأعرض عنه جانبا ، وصارمه مُغاضبا · ثم حاول الرحلة الى الروم، طامعا في بلوغ مايروم، (واقترنت مطالعه بكواكب النحوس الزحلية)[3] · والأقدار تضحك من أفعاله ، وتفترُّ ثغورها هزوا من انعكاس آماله ، (وعبس فيه محيا المطالب لسوء اختلاله)[4] · وحقّ أن ينشد له على

---

(١) ساقط من : ت · البيدق عن «بياده» كما عربت الى «البيّادة» · ومن قواعد التعريب تحويل الهاء الفارسية في آخر الكلمة الى قاف أو جيم · وعدّ أحد حجارة الشطرنج · والفرزان : في الأصل العاقل والحكيم · ثم استخدمت في الشطرنج حجر الوزير ·

(٢) الشنار : العار ·

(٣) إضافة من : ل ·

(٤) إضافة من : ل ·

سبيل التذكير ، ما هو من نظم هذا الفقير ، جامع التاريخ المسطور ، والمنظم لجواهره في أسلاك التأليف من منظوم ومنثور :

نصب الحمام لقوّتي شرك الردى في غرة وأنا له لا أعلمُ
فطفقت القط حبة الأمل الذي راودته والشيبُ مني يبسم

الى أن فاجاه الموت في طريق رحلته، ونزل به جيش المنية قبل أمنيته.
لازم القراءة مذ كان طفلا ، وتردد الى أبواب المشايخ ، فلازم الشيخ الوالد في مقدمات العلوم ، حتى قرأ عليه في شرح « الشمسية »[1] مع حاشية الشريف ، والفناري[2] ، و « البرهان » في المنطق . وسمع عليه صحيح البخاري ، وأجازه في الكتب الستة . (وقرأ عليه « أدب البحث » للمسعودي مع حواشيه[3] . وسمع بقراءة أخيه على الوالد « المطول » (وحاشيته لحسن جلبي)[4] . وسمع له بقراءته على والدي « شرح العقائد » مع « حاشية الخيالي »[5] .

ورايته، وأنا صغير، يقرأ على الشيخ الوالد في « تفسير البيضاوي» أيضا . كان يقرأ في سورة هود . وقرأ على والده « شرح المفتاح »[6]

---

(١) الشمسية : متن مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي ، توفي سنة ٦٩٣ . ألفها شمس الدين محمد ، وسماها بالنسبة إليه .

(٢) الفناري هو محمد بن حمزة الفناري (أو الفنري) الرومي . صاحب المؤلفات العديدة أهمها « شرح إيساغوجي » و « أنموذج العلوم » . توفي سنة ٨٣٤ .

(٣) ساقط من : ل .

(٤) ساقط من : ت .

(٥) كتاب « العقائد العضدية » للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦) . ومن شراحه أحمد بن موسى المعروف بالخيالي المتوفى بعد سنة ٨٦٢. ويقول حاجي خليفة : وهذه غير حاشية شرح العقائد .

(٦) مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦). وشارحه السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦) ، وقد انتهى من شرحه سنة ٨٠٣ .

للشريف ، و « مغني اللبيب » ، ومعه كتب والده (الشرح المشهور)[1]. وقرأ على الشيخ محمود البيلوني « المنهاج في فقه الشافعي »[2] ، و « التوضيح » لابن هشام في النحو . (وأسفا على تلك الوجوه المشرقة والأنوار الساطعة المحدقة . جعل الله مستقرهم جنات الفردوس)[3] .

وكان كثير المطالعة والمواظبة على تأليف بعض رسائل ، وتحرير بعض مسائل . له قصائد متعددة . (ونظم كتاب « الدرر والغرر » في فقه الامام أبي حنيفة في أبيات كثيرة جداً تنوف على الخمسة آلاف بيت[4] من بحر الرجز إلا أنه أخل بمسائل كثيرة فيه)[5] . (وله معرفة حسنة « بالمثنوي » للمنلا جلال الدين الرومي)[6] . وله رسالة سماها «المساجلة والمطارحة»[7] سأل الأفاضل الناظمين فأجابهم .



(١) وفي ل : « شرح المغني » .

(٢) يعني «منهاج الطالبين» في مختصر المحرر في فروع الشافعية للإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦) .

(٣) إضافة من : ل .

(٤) وفي ل : عشرة آلاف بيت . ولم تذكر « ت » اسم البحر .

(٥) ساقط من : ل .

(٦) هو محمد بن محمد البلخي القونوي (نسبة الى قونية) الرومي (نسبة الى بلاد الروم العثمانية) جلال الدين . عالم بفقه الحنفية وأنواع العلوم والتصوف . وهو صاحب « المثنوي » المشهور وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة الى « مولانا » . قدم بغداد ، وتجول في كثير من الأمصار ، ثم استقر في قونية حيث توفي فيها سنة ٦٧٢ . وما زال قبره معروفاً . والكلام ساقط من : ت .

المثنوي : منظومة فارسية على الرمل المسدس ، وهي في التصوف . والكتاب مشهور جداً لدى الطائفة المولوية وأهل الأدب . ترجم أغلبه الى العربية .

(٧) عنوان الكتاب « حلبة المفاضلة في المطارحة والمراسلة » ، جمع فيه مكتوباته ومطارحاته مع أبناء عصره . وما زال مخطوطاً (الكشف : ١/٦٨٧) .

وكان ملازما على أوراد الشيخ محمد البكري[1] (، قدس الله سره، حتى استجازه مكاتبة فأجازه فيه • لكن كان يزعم في نفسه أنه أعلم من أكابر العلماء ، ويستخف بالعلماء بحسب الباطن • وتظهر عليه أمارات الدعوى والأنانية الزائدة • حتى كان إذا اجتمع بالوزراء يعانقهم ويقبل وجوههم ؛[2] ، وعلى تلاوة القرآن ، والقيام بالليل مع التنزه عن مخالطة الأحداث أو استخدام المرد ، متجنبا عن مداخلة الحكام وأحوال الناس • عنده شمم يظن أنه أعظم من أكابر العلماء ، حتى إنه يظن أنه أعلم من الشيخ أبي الجود • والحال أن الشيخ أبا الجود كان له تحقيق في حل المشكلات •

والمذكور له معرفة تامة بالنظم والنثر ، يعرف اللسان التركي والفارسي • وكان يحل الاسنوي[3] ويقرر معناه • وهذه فضيلة حسنة يعتبرها أهل الروم[4] •

ومن عجيب أمره أن أحمد باشا الوزير بن الأكمكجي أراد في شهر ربيع الأول أن يتخذ مولدا شريفا في مزار الشيخ أبي بكر • وكان من عادته مجلس الباشا في الصدر ، ومن تحته من جهة اليمين الشيخ الوالد ، وتحت مجلس الوالد عطاء الله باشا ، وتحته دفتردار حلب ، وهلم جرا •

(1) محمد بن علي البكري الصديقي العارف ، ابن العارف • أجمع أهل الأمصار على جلالته • نزل دمشق • له بعض الكتب الدينية وديوان شعر • تجول في الأمصار حتى توفي سنة ٩٩٤ •
ـ الكواكب السائرة : ٣/٦٧ •
(2) إضافة من : ل •
(3) هو عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي الشافعي • فقيه من علماء العربية • صاحب المؤلفات الثمينة العديدة • ت ٧٧٢ •
ـ هدية العارفين : ١/٥٦٥ •
(4) ساقط ما بعده من : ت •

وعن الشمال أبو[1] الجود أفندي ، وتحته أبو اليمن أفندي ، وتحته أخوه محمد أفندي ، وهلم جرا • والعالـم مجتمعون ومزدحمون • ثـم دخل صاحب الترجمة محنولا أن يجلس فوق الجميع • فما فسح له أحد مجلسا / يجلس فيه ، ولا التفت إليه الباشا • فرجع من حيث أتى وهو مغاضب •

٤٧

ومن عجيب أمره أن محمد باشا الوزير الأعظم ، المدفون في مـزار الشيخ أبي بكر قدس سره ، كان قـدم حلب ليأخـذ روان[2] من أيادي قزلباش[3] • وكان قاضي أوردية[4] مصطفى أفندي ، وكان شيخا كبيراً جداً • لكن كان يحب اللهو، وكان يختفي ويأتي الى بني عبد السلام بيك، ويحضرون[5] امرأة ذات حسن وذات صوت حسن ، وتضرب على الطنبور ضربا حسنا • فكان يداخلهم صاحب الترجمة قهرأ عليهم فيستحيون من إخراجه • وكان الوزير مزوجا بأخت السلطان • فبلغها الخبر ، فبعثت خطا شريفا من السلطان بطرد مصطفى أفندي الى مصر ، فطرد •

ثم تقلبت الدهور حتى تولى كفالة حلب الوزير الأعظم • فنزل بعد المنابر الى المزابل • فاجتمع به صاحب الترجمة وقال له : أبتدىء[6] أسفا على زمن كنا معكم في دار بني عبد السلام • فاحمر وجه الوزير غيظا ، ولو لم يفعل ذلك • ربما قال له : وكانت تغني لنا فلانة • وقريب من هذا أن الخليفة المنصور العباسي كان له صاحب في المنزل الخشن • فجاءه لما تولى الخلافة ، وقال : أنا صاحبكم القديم ، وذكره بأمور ، والمنصور يستبردها • ثم أعطاه ألف درهم • ثم في السنة الثانية قدم عليه ، قال :

---

(١) وفي الأصل : أبي •
(٢) روان : المحمل •
(٣) قزلباش : ذو الرأس الأحمر ، نوع من العسكر (قاموس تركي) •
(٤) قاضي أوردية : أي القاضي الفرد العسكري، مأخوذة من كلمة« أوردو » أي العسكر•
(٥) في الأصل : ويحضروا •
(٦) في الأصل : ابتدا ، ولعلها كما ذكرنا •

ما الذي جاء بك ؟ قال : الشوق · فأعطاه خمسمئة درهم · ثم في السنة الثالثة جاءه فقال له : ما الذي جاء بك ؟ قال لما كنت معك في الصحبة القديمة كان عندك كتاب فيه دعاء عظيم لقضاء الحاجة · المراد أن تعيرني إياه ، وأعيده · قال له المنصور : لا تتعب نفسك ، هذا الدعاء لا يفيد · فاني دعوت الله به من سنين أن لا يجمع بيني وبينك ، فلم يقبل الدعاء ، فخجل · ثم لم يعد يأتيه ·

قال أبو السعود أفندي في تفسير : « والذي أنزل إليك الكتاب بالحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون »[1] عدم إيمانهم متعلق بعنوان الحقية ، لأنه المرجع للتصديق والتكذيب ، لا يعنيان[2] كونه منزلا كما قيل ، ولأنه وارد على طريق الوصف لا الاخبار · انتهى · ناقشه صاحب الترجمة بأنه ما المانع من تعلقه بكونه منزلا المستلزم بحقيته ؟ فاذا لم يؤمنوا بالانزال لا يؤمنون بكونه حقا ، نعم تعلقه بالحقية وجه وجيه · انتهى · ناقشه أبو الجود أفندي بأنه يتعين تعلقه بكونه حقا لأنه المرجع للتصديق والتكذيب ، وتعلقه بالانزال مستلزم بحقيته ، وشتان بين المستلزم والمرجع والمناقشة الجيدة منع كونه وصفا ، أو منع عوده الى الوصف . باعتبار تضمن الوصف الخبر على حد قول جبريل للنبي ﷺ ، بعد تعريف الايمان : صدقت · والتعريف من التصورات · وإنما عاد الى ما يتضمنه التعريف · انتهى · فأرسل صاحب الترجمة الجميع للشيخ الوالد ، قدست أسراره ، فناقشهم قائلا على سبيل الاجمال : في الآية نسبتان إحداهما[3] في جملة معهودة، وهي الصلة الداخلة في عقد الوضع، والأخرى التي خبرها قوله الحق ، وهذه ينتظم بها عقد الجمل · وقوله :

---

(١) الآية غير صحيحة ، وصوابها : « والذي أنزل إليك من ربك الحق ، ولكن ··· » الآية : ١ / الرعد : ١٣ ·

(٢) في الأصل : لا يعنوان ·

(٣) في الأصل : احدهما ·

«لايؤمنون» بمعنى لايصدقون · والتصديق إنما يرجع الى الخبر · ومامعنى نسبة خبرية صريحة يصحُّ توجُّب التصديق والتكذيب إليها ، وتنصرف نسبة محمولها لموضوعها سوى قوله الحق مع مبتدئه · فما الداعي الى ترك نسبة خبرية ظاهرة يتوجه إليها التصديق والتكذيب ، ولا يوجه إليها عدم التصديق ؟ ويوجه الى الانزال باعتبار الاستلزام · نعم قد يوجه الى الوصف العنواني باعتبار تضمنه خبراً عند الضرورة . ولا ضرورة هنا · فلذلك قيل : تصديق جبريل لا يرجع الى خبر ضمني ، بل الى خبر صريح · فان النبي ﷺ لم يقصد إفادة الماهية / فقط حتى تكون من قبيل التصورات · بل قصد أن مفهوم الايمان هو هذا · فهو حكم وتصديق ، يقام عليه الدليل · وقوله « لظهور » أنهم إذا لم يؤمنوا بكونه منزلا لا يؤمنون بكونه حقا، غير صحيح لأنه ليس كلامنا في دعويين متضمنتين نسبتين ، حتى يقول : إن عدم مضمون إحداهما[1] يستلزم عدم الايمان بالأخرى · بل كلامنا في تركيب واحد وجملة واحدة ، اشتملت على نسبتين إحداهما جزء من موضوع القضية ، هي قيد لذات الموضوع ، وهي مع ذات الموضوع تركيب توصيفي ·

48

ثم أتى من الكلام بجملته نسبة أخرى ، فهو محمول القضية · فاذا قال القائل لمن أتى بهذه القضية : أنت صادق أم كاذب ، هل يتوجه التصديق والتكذيب إلا لما هو قابل أولا ؟ وبالذات لو سلمنا تعلق « لا يؤمنون » بالذي « أنزل إليك » لا يفيد إلا حقيته فقط · والمدة إفادة حصر الحقية فيه مبالغة ، وليس الكلام في أصل الحقية ، بل في حصرها وقصرها على القرائن ·

ثم حقق الشيخ الوالد كون « أنزل إليك » وصفا بأن (الذي) صفة الكتاب المحذوف تقديره « والكتاب الذي أنزل إليك » · فتكون صلة « الذي » قائمة بذات الموصوف ، فهو وصف لا محالة · انتهى ·

---

(1) في الأصل : أحدهما ·

وللفقير معه مطارحات نظمية • وكان شاعراً مجيداً • وكـان تولى المدرسة القرناصية[1] ، وتنازع مع الشيخ أبي اليمن فيها • واستمرا[2] يتشاجران حتى ضرب أبا اليمن أفندي مرة، وقطع صوفه• وتولى مدرسة المقدمية[3] حين انهزم أبو الجود أفندي من حلب ، خوفا من نصوح باشا ، وأخذ علافته في[4] الخزينة • ثم لما عاد الشيخ أبو الجود الى حلب أبرز أمرا شريفا متضمنا أن أخذ إبراهيم أفندي ما صادف محلا ، وأنه يستعاد عليه فيالعلافة • فدخل المصلحون بينهم ، فترك له المدرسة والعلافـة ، وسامحه أبو الجود أفندي في الذي تصرف به من الدراهم •



(١) كان محلها أواسط الجـادة النازلة من تجـاه المدرسـة الإسماعيلية الى قسطل الملك الناصر • كانت في الأصل جامعاً بناه بكتمر القرناصي الحلبي في حدود سنة ٧٧٠ • ثم زيد عليها غرف وأوقاف •
ـ نهر الذهب : ٣/١٧٤ •

(٢) في الأصل : واستمر •

(٣) كانت بدرب الحطابين ، ثم صار يدعى درب سـلار • انشأها عز الدين عبـد الملك المقدم • وكانت إحدى الكنائس الأربع التي حولها القاضي ابن الخشاب سنة ٥١٨ الى مساجد ، واضاف إليها داراً • ابتدأ عمارتها سنة ٥٤٥ • وأول من درس فيهـا بهاء الدين الأصولي • ولها أوقاف على نهر قويق •
ـ إعلام النبلاء : ٤/٥٠٩ •

(٤) لعلها : من •

٣٤ ـ إبراهيم بن الحاج أحمد

الشافعي العلواني العطار ، من محلة قلعة الشريف . أورده الفضل نميرا صافيا ، وكساه المجد ثوبا ضافيا ، ونشر منه الكمال عرفا عاطرا، وضوع منه الصلاح روضا زاهرا . جد في التحصيل وارتقى ، وعرج به الفضل على براق الاجتهاد أرقى مرتقى . فتباشير صباح صلاحه أعلنت بها ديكة السناء ، وأرج تقواه هب بـه نسيم صبا العنايـة والاعتناء ، منزويا في زاوية رقدة القناعة ، متخذا[1] التقوى له بضاعة . لكن لو كان لابن آدم واديان من ذهب للج في طلب الزيادة ، وسار الى اقتحام عقباتها وذهب . فحصل له الميراث فابتغى الاكتراث ، الى أن حصل على صفقـة المغبون ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

أكثر قراءته كانت على المرحوم الشيخ أحمد الحموي الحمامـي ، وكانت في الفقه . وقرأ على الشيخ الوالد برهة من الزمان . وأكب على الفقه الشريف . ثم أخذ يؤلف حاشية على « شرح المنهاج » للمحلي[2] ، وعرضها على الشيخ الوالد . فمدحها له والدنـا ، وقال : لو طالعتـم

---

(١) في الأصل : متخذ .

(٢) جلال الدين المحلـي ، محمد بن أحمـد (٧٩١ ـ ٨٦٤) الشافعي المفسر ، مولده ووفاته في القاهرة . من كتبه : تفسير الجلالين ، أتمه السيوطي ـ كنز الراغبين في المنهاج في فقه الشافعية ـ البدر الطالع في حل جمع الجوامع، وبعض الكتب المخطوطة .
ـ حسن المحاضرة : ٢٥٢/١ .
ـ شذرات الذهب : ٣٠٣/٧ .

« شرح الاسنوي »[١] و « تصحيح البلقيني »[٢] « الحـاوي العراقي »[٣] وعلمتم ما قيل على « المنهاج » ، وما أشار فيه الشيخ المحلي الى الجواب كانت مقبولة غاية القبول · واطلعت ــ الفقير ــ على هذه الحاشيـة ، فرأيتها حسنة مشتملة على مسائل لطيفة · إلا أن نكات الشيخ المحلي لم يحم حول حماها ·

ثم مات والد زوجته الحاج صلاح الدين ، وخلف أموالا غزيرة جداً، ولزوجته أخ ، صار[٤] هو الوصي · فحاول السفر الى دمشق بعيالـه · فما مكن من أن يأخذ معه القاصر · فقال لـه بنو حمزة : أكابر هاتيك المحلة : أعط لفلان مقدار ألف غرش لفلان[٥]،حتى يبيع فيها ويشتري· والربح يعطيه نفقة للصبي · فأبى ، وقال : لا يمكن · فسعوا عند سيد محمد أفندي القاضي الذي تولى حلب سنة أربع عشرة وألف · فأخذ مال الصبي وأعطاه لبعض بني حمزة · ولو أنه داراهم كان أولى ·

فذهب مـن حلب مغاضبا ، ونزل في المدرسة الصابونية ، وصـار مؤقتا · / وحصلت له بعض جهات استمر يلازم على العبادة والطاعـة والعلم ، الى أن قضى الله عليه بالموت هناك ، رحمه الله· كان عبداً صالحا يتعمم بالمئزر العسلي · وكان له معرفة بعلم الميقات ·

توفي سنة خمس وثلاثين وألف ·

٤٩

---

(١) الإسنوي (وبفتح الهمزة) : ابراهيم بن هبة الله الحميري الاسنوي من اهل « إسنا » بصعيد مصر · تنقل في القضاء ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٢١ ، له « شرح المنتخب » في أصول الفقه ·

(٢) هو « تصحيح المنهاج » مخطوط · والبلقيني : هو عمر بن رسلان بن نصير الكناني العسقلاني ثم البلقيني المصري · له كتب أكثرها مخطوط · توفي سنة ٨٠٥ ·

(٣) العراقي : هو الفاضل أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ، توفي سنة ٨٢٦ · شرح كتاب « الحاوي الصغير » في الفروع لنجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني توفي سنة ٦٦٥ (كشف الظنون : ١/٦٢٧) ·

(٤) في الأصل : قام صار ، ولا لزوم للفعل الأول ·

(٥) لعل الكلمة اضافة ، أو لعل الأولى للقاصر والثانية للمشرف ·

٣٥ ـ إبراهيم بن أحمد الكواكبي[*]

قاضي مكة المتقدمة ترجمة والده · من بذ حبل الاقتراب ، ونأى جانبا عن الأصحاب · وجافى جنبه عن مضاجع الوطن ، واستسهل صعاب المحن ، شغفا بالمراتب ، وتعشقا في مراقي المناصب ، تعشق الهائم بالوصال ، والصادي للعذب الزلال · والصقال في الخرّيت لا بتلاج الصباح ، والمدنف[1] لابتسام ثغور الصباح ·

فاتخذ قسطنطينية كعبة أربه ، ومنبع طلبه ، وأصول نسبه · فنسخ حكم وجوب صلات الأرحام، ونسخ على صحائف فؤاده فراق الأهل وقال: يدم سلام · تقمص حلل فضل وشيت برودها ، وطلع في شرف منزلة لم يكمل سعودها · فكدح بالشمال واليمين ، وصادف عرق الغربة والجبين، حتى وصل بعد العصور المتطاولة ، وحمل أعباء الشدائد المتثاقلة · فلما صفت موارده ، وأشرقت مشاهده نازله القدر، وعند صفو الليالي يحدث الكدر · فغالته أغوال المنية ، ويممته للشهادة اليمّية ، بعدما محت حنادس[2] الشباب آيات نهار المشيب ، ونادت هواتف الآجال : الصلاة ، ولا صلاة على الغريب ·

★ ابراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن محمد الكواكبي الحلبي ، قاضي مكة ، من أجلاء العلماء · كان تلميذ عمر العرضي · تزوج ابنته عبد القادر بن طورسون واستصحبه معه · أخذ مدرسة أياصوفيا · وقد غرق في البحر في طريقه بحرا من مصر سنة ١٠٣٩ · نقل المحبي ترجمته من العرضي ·

(١) الخريت : الدليل الحاذق في المفاوز · المدنف : المريض ·

(٢) الحنادس · تطلق على ثلاث ليال مظلمة من آخر كل شهر ·

قرأ في مبادىء عمره على والدي وعلى والده في مقدمات العلوم حتى حصل الملكة القريبة ٠ ثم توجه الى قسطنطينية ، وسلك الطريق المشهور ٠ وقرأ على أفاضل الروم حتى صارت له الملكة التامة ٠ ثم من الله عليه فتزوج بابنة عبد الباقي أفندي طورسن زاده ٠ فأشرقت مناه في طورسيناء، فعرج به ٠ وتدرج في أفلاك الارتفاع حتى اتخذه في قضاء مصر أكبر نوابه وكتخدا ، فحصل مالا جزيلا ٠ ثم رجع الى قسطنطينية ٠ فمات عبد الباقي والبقاء لله ٠ ثم ماتت الزوجة ، وتصرم المال، وقصر في النهوض ٠ فأخذ بعد اللتيا والتي مدرسة أيا صوفيا[1] ٠ ثم لم يزل يطلب عزل نفسه من المدرسة فلا يوافقونه حتى تركها شاغرة من غير آخذ معلوم ، ولا اتفاق بيّن أصلا ٠ وكان أيام الانفصال الكبير ورد حلب ووالداها[2] حيان ٠ فنزل عند والده ٠ فشكت أمه إليه على زوجها ما يصنع بها ، حتى آل الأمر الى أن تشاجرا وتغاضبا ٠ ورحل من دار والده الى دار زوج أخته ابن حجي ٠ وصار كل يسب الآخر ٠ فذهب والدنا مع جماعة من العلماء ، واسترضوا الابن ووعدوه أنه من هنا والده يتلافى خاطر أمه ٠ ثم أخذه الوالد الى والده ، فقبل يد والده ، وتباريا من الطرفين ٠ وآخر الأمر أعطي قضاء مكة المشرفة ٠ ثم أراد أن ينقل ابنه من سفينة

---

(١) اياصوفيا : كلمة يونانية أصلها « ماجيا صوفيا ، أي الحكمة المقدسة ٠ كانت أصلا كنيسة القسطنطينية ، وهي الآن متحف للفن البيزنطي ٠ أصبحت في العهد العثماني مسجداً عام ١٤٥٣م ، وأضيفت لها مآذن أربع ٠

(٢) إما « والداهما » وإما « ووالداها لأمه » ٠

صغيرة الى مركب، فخاف على ابنه وحمله الى المركب، ونجا الابن وهوى[1] في البحر في جدة ، وذلك حين توجه الى مكة من جانب البحر ·

وبالجملة ، فلقد كان فاضلا كاملا صالحا من سلالة مباركة وأجداد طيبي[2] الأصول والفروع ·

وعمره نحو سبعين مات سنة تسع وثلاثين وألف ·



(١) في الأصل : وهو · لا معنى لها ، فرأينا أن تصير « وهوى » أي سقط ، كما جاء في رواية المحبي ·

(٢) في الأصل : طيبين ·

٣٦ ـ إبراهيم بن عمر بن محمد المرعشي

الآتية ترجمة والده إن شاء الله تعالى • المستضيء بمصابيح الأصالة، المستنيرة به شمس العراقة والجلالة • والفرع النامي من المجد السامي، الممتدة ظلاله ، الوثيقة في الرفعة حباله ، المستشرفة الى العيوق آماله • المتسعة أرجاء رجائه ، الممتدة أعناق ابتغائه • قبل يد الدهر ، فلطم محيا أمله، وطوى كشحه عن قبول عمله • كلما ظفر بكنز صده رصده ، ومتى أوى الى مطالب الصبر خانه جلده • فارقت نفسه الدنيا ولم تبلغ مشتهاها ، وبقيت حاجة في نفس يعقوب لكن ما قضاها • مع صباحة وجه كسا الشمس إشراقها، وسماحة كف/ علم المدرار اندفاقها ، وحسن معال اتضحت حجتها ، وكشفت في سوق عكاظ أغطيتها • ٥٠

فلله هذا الشبل من ذاك الأسد ، ولا در دهر قذفه في وادي الحرمان وهوة النكد •

لازم القراءة على والدنا المرحوم مدة مديدة ، مع سلوكه زمن التحصيل سنن الشهامة • فكان لا يأتي الدروس إلا راكبا صحبة الغلمان المتعددة بالثياب الفاخرة ، يتقدم على إخوانه من غير نوبة • يجلس مع صغر سنه فوق صناديد الفضلاء لعظمة والده • فان والده كان من أعيان العلماء ، أرباب الأصالة وأعيان القضاة • صاحب مداخل متعددة • يتولى القضاء بحلب فيما بين • ثم سعى في المناصب ، فتولى قضاء إنطاكية • وكان يجلس في المحكمة على فرش متعددة مرتفعة ، ولا يقوم إلا لأفراد الناس • وكان وقع بينه وبين الشيخ أحمد حفيد الشيخ القطب الشيخ

أحمد بن عبدو الخلوتي القصيري٠ وكان الشيخ أحمد رابطة العقد والحل في البلاد القصيرية ، فبعث جماعات ، فاشتكوا عليه للسلطان ، عز نصره، حتى عزل عن منصبه ٠ ثم ترك طريق القضاء ، وأقبل يسعى في طريق السيف ، قائلا بلسان الحال أو لسان المقال :

السيف أصدق أنباء من الكتب

فقصد حسن باشا الوزير الثالث بن محمد باشا الوزير الأعظم المنصوب سرداراً[1] على قتال حسن بيك شقيق عبد الحليم اليازجي[2] الذي رتب قواعد السكمانية ـ كما سيأتي في حرف العين ـ فأعطاه دفتر دارية حلب ٠ ثم قتل حسن باشا بمكحلة جاءته من تحت القلعة ، وهو ينظر من وراء دفوف الى عساكر حسن بيك ، ثم جاءته صنجقية صار على بعض القصبات أميراً ٠ فجاء الى حلب ، وكتب سكمانية ٠ فخاف خدا وردي[3] سردار الينكجرية الدمشقية أن يوقع في الينجكرية آمراً هائلا ٠

(١) سردار : قائد المعسكر ٠ الرئيس ٠ رئيس العشيرة ٠ المالك ، ومعناها هنا هو المعنى الأول (فارسية) ٠

(٢) عبد الحليم الباغي المعروف باليازجي (اليازجي بالتركية الكاتب) أحد الطغاة الذين خرجوا عن السلطنة في زمن السلطان محمد الثالث ٠ كان في أول أمره من الطائفة السكمانية ، فقربه الأمير درويش الرومي حاكم صفد ، وصيّره رأس جماعته ٠ وهرب مع سيده لما عين أمير آخر على صفد ٠ مات في ساميسون (احدى بلاد الترك الساحلية قرب طرابزون) سنة ١٠١٠ ٠
ـ خلاصة الأثر : ٢/٣٢٢ ٠

(٣) خداوردي بن عبد الله الطاغية أحد كبراء الشام ٠ نال حظا عظيماً، واشتهرت صولته واستتبع رعاعاً وجهالا استخفهم فأطاعوه٠ ولي سردارية حلب ففتك فيها ونهب فضجر منه أهلها ٠ وكانت وفاته في بضع عشرة وألف ٠
ـ خلاصة الأثر : ٢/١٢٩ ٠

فبعث أليه أن : قم ، وإلا قتلناك • فجاء الى والد زوجة خدا وردي أبي الجود أفندي ، واستغاث به ، فلم يفده شيئا ، ثم خرج •

أخبرنا محمد أفندي الكمالي ، وكان صديقا له ولوالده ، أن زوجته قالت له : انصح الأفندي ، هذه الأمور عاقبتها الفقر والقتل • فنصحه فسكت طويلا ، ثم قال له : يا شيخ محمد ، إذا أردت أن تنظر رجلا مكر الله به ، فأنا ذلك الرجل • رحمه الله • انظر ما أحسن صدق قوله !

وكان أبو الجود أفندي يبغض صاحب الترجمة ويبغض والده من قبل • ثم خرج ، فلم يقدر على ضبط المنصب • ثم توجه الى قسطنطينية فقيراً ضعيفا عاجزاً ملوما • فوبخه يحيى أفندي • وكان إذ ذاك معزولا عن قضاء العسكر ، ثم شفع له بمنصب في مصر المحروسة • ثم مرض أياما قليلة ، وانتقل بالوفاة الى رحمة الله عز وجل •

وبالجملة كان ماجداً كاملا ، ذا هيئة وهيبة ومجد وترحاب •

مات وعمره نحو أربعين سنة في سنة سبع عشرة[1] وألف •

(١) في الأصل : عشر •

٣٧ ـ إبراهيم بن أبي اليمن البتروني الغرامي(*)

مفتي الحنفية . والده بحلب . ذو الفضائل المشرقة الفوائد ، المشدودة المعاقد ، المشيدة القواعد ، العامرة الأندية والمعاهد ، والفطنة الألمعية ، والراحة الجاثمية . متخذ الجميل مذهبا ، وبذل العطاء مشربا . مع محاسن دانية ، حاكت الطلعة اليوسفية . وأدب زاه زاهر ، وكمال باه باهر . رابط أعتاب المشايخ ، وصابر الغزاة مصابرة الرواسخ . وكان صلب العصا شديد العارضة ، مجداً في استيضاح الأمور الغامضة .

فمنذ تسعرت نيران شبابه ، وهاجت بلابل طلابه ، صادف كسية أنقى من الراحة ، وكفة أسرع من سيل العرم في السماحة . فحمل على عاتقه عصا التسيار ، وعانق غادة الأسفار ، واقتعد كاهل الاغتراب ، واستسهل قطعة العذاب ، فحج الى دار السلطنة ، واتخذها كعبة مزاره ، وواصل في قطع عقبات المنام / ليله ونهاره ، حتى تولى أقضيته على ٥١ التناسق والترتيب ، والمجتهد في يخطيء ويصيب ، ولكل امرىء من سعيه نصيب .

★ ابراهيم بن أبي اليمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد السلام بن أحمد البتروني الأصل الحلبي المولد الحنفي الفاضل الأديب . سلك طريق القضاء وتولى مناصب عديدة منها حماة . كان حسن المحاضرة شاعراً . توفي سنة ١٠٥٣ وعمره ٧٤ سنة ودفن في الصالحية (الصالحين) . وأول من دخل حلب من البترونيين جده عبد الرحمن سنة ٩٦٤ .

ـ خلاصة الأثر : ١/١٠ .

قرأ برهة من الزمان على شيخ الاسلام محمود البيلوني في الحديث والنحو ، وعلى الوالد مدة طويلة تفوق على عشر سنوات . قرأ عليه في « المطول » ، و « شرح الطوالع »[1] . وكان سمع لنا « حاشية الخيالي »[2] مع « شرح العقائد » . وسمع لأخي الشيخ عبد الله . وكان يلازم الوالد من الصباح الى قرب الظهر . ثم ضاقت يده ، فذهب الى طرابلس، وقصد بني سيفا . و ناله منهم بعض إحسان .

ثم سعى في أخذ مناصب الأقضية ، فتولى قضاء دركوش[3] أيام قتل السكمانية . فحصل مالا جزيلا . وتزوج فصرف كل المال في الزواج ، ثم وقع بينه وبين زوجته ، حتى آل الأمر الى أن طلق الزوجة بنت محرم أفندي المقاطعجي . ثم تولى قضاء حارم[4] ، ثم إنطاكية ، ثم رها[5] . ثم ترك المناصب . وفرغ له والده عن فتوى الحنفية ، فأفتى مدة بتمسك حجة الفراغ . ولما أرسل عرضه الى دار السلطنة ، وكان في دار السلطنة مصطفى أفندي بن العلبي يطلب من يحيى أفندي مفتي دار السلطنة اموراً يستصعبها يحيى أفندي . وكان جاءه بهدايا عظيمة و تحف جزيلة .

---

(١) طوالع الأنوار مختصر في الكلام للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥ . شرحه كثير من العلماء ، أهمهم شمس الدين الاصفهاني ت ٧٤٩ .

(٢) أحمد بن موسى الخيالي . كان مدرساً بالمدرسة السلطانية في بروسة . توفي في أزنيق سنة ٨٦٢ . له « حاشية على شرح السعد على العقائد النسفية » و « حواش على أوائل شرح التجريد للطوسي » .

(٣) دركوش : من قرى جبال اللاذقية ، كانت من حصون العواصم (ياقوت) .

(٤) حارم : من قرى حلب على الطريق الى انطاكية . كانت منيعة على العدو (ياقوت) .

(٥) الرهاء : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام . كانت أيام الروم تدعى أوذيسة . واليوم تدعى أورفه ، وغدت تابعة الى تركية .

فوجد الفتوى أسهل ليحيى أفندي ، وأنفع لمصطفى أفندي . فوجه إليه فتوى حلب مع مدرسة الخسروية[1] ، ولم يعتبر عرض القاضي .

ثم لما جاء السلطان الى حلب، وفي صحبته يحيى أفندي أراد ابراهيم أفندي الشكاية الى السلطان باعتباره أنه أعلم من مصطفى أفندي . فوجد ليحيى أفندي اليد الطولى عند السلطان . فعرض الأمر على يحيى أفندي ، فزجره زجراً عنيفاً حتى انكسر خاطره . ثم قال له : مهما أردت من المناصب أسعى لك إلا في الفتوى ، لا يمكن أن أمكنك . فلم يقبل شيئا غضبا .

ثم لما خدم مصطفى أفندي يحيى أفندي ضم الى الفتوى قضاء ادلب الصغرى[2] . ولم ينل هذه المرتبة أبو الجود أفندي ولا أبو اليمن أفندي ولا محمد أفندي مع اتساع علومهم ورفعة مقامهم . ثم بعد مدة مديدة بعث يحيى أفندي لابراهيم أفندي مدرسة عظيمة ببلاد الروم . وركب بالسنجق[3] . ثم أعطاه قضاء ادلب تقاعداً ، وعزل مصطفى أفندي عن ادلب باعتبار أنه فقير . ومصطفى أفندي مات أخوه فورثه ، وصار غنيا . وكان يتولى القِسم العسكرية .

---

(١) الخسرفية (الخسروية) : تقع في منتهى المحلة المعروفة بالسفاحية ، وفي شرقيها المدرسة السلطانية الواقعة تجاه باب القلعة . وقف عليها خسرو باشا ومصطفى باشا ابن سنان باشا ، تولى الخطابة بها عدد من علماء حلب . وتعد أول عمارة أنشئت بحلب منذ الفتح العثماني . وتدعى اليوم الثانوية الشرعية .
ـ إعلام النبلاء : ٣/١٩١ و ٤/٢٦٢ .

(٢) إدلب موضعان : الكبرى وتدعى ادلب الشمالية ، وهي اليوم خراب، بقي منها بقايا . والصغرى وتمتد من خان الرز حتى خان الشحاذين ، وتبعد عن الأولى مسافة ميلين وهي العامرة الآن .
ـ نهر الذهب : ١/٥١٩ ، وسؤال بعض أهل البلدة .

(٣) السنجق : الراية (تركية) .

وعنده رحمه الله مزيد طمع • وكان يداخل أموراً كثيرة • ومن نظمه سألني رحمه الله تعالى :

مولاي يا رب الفضائل والعلا ... يا من أنار الفضل منه وانجلى
بينا أطالع في « المطول » ليلة ... في مبحث التغليب بحثا مشكلا
فيما المخاطب فيه غلّب غالبا ... من غائب وأتى لذاك ممثلا
بكلام رب العرش أعني قوله : ... يأيها الناس اعبدوا رب الملا
أي ربكم حتى يقول : لعلكم ... إن الخطاب الى المخاطب أولا
أعني للفظ الناس ثم الى الذي ... من قبلكم وبلفظ غيب أقتلا
ولعلكم متعلق بالخالق لا ... في النظم علق بالعبادة والولا
حتى يخص به المخاطب وحده ... ويكون بالتغليب ذاك مكملا
إذ لا يسام لأعبدوه لعلكم ... معنى ليحسن في الكلام ويجملا
فعجبت من نفي التعلق أولا ... وعجبت مما قال بعد معللا
وبقيت في بحر التفكر غاديا ... لا ألتقي للنفي وجها مقبلا
فعمدت أنظم ما أقول وأنت لا ... يرجى سواك لخلة ، والله لا
فاسمح، فديتك، بالجواب وإنني ... أرجو بأن يأتي الجواب مفصلا

فأجبته بقولي :

يا بحر علم بالكمال على علا ... أعلى الذرى حتى ارتقيت الى العلا/
حركت ساكن فطنتي بعويصة ... لما أتيت بها غدوت محوقلا
ونظمت من نثر الكلام لآلئا ... والبحر يأتي بالجواهر كيف لا ؟
فكأنه عقد يزين طلا الطلى ... وكأن معناه ، أدار لنا الطلا
مولاي تعلّق الترجّي واجب[1] ... بالخلق ، والمعطوف حتى يشملا

٥٢

(١) الصدر مكسور مالم يخفف التضعيف •

ويصح معناه وتظهر نكتة وهي العموم ، فقد تبين وانجلا
فالخلق ما خُلقوا سوى لعبادة ويكون تغليب المخاطب أشملا
وإذا تعلق بالعبادة لم يُفد معنى كبحث[1] في الكلام ويجملا
إذ كيف يأمر بالعبادة راجيا نفس الذي قد رام منهم أولا
بعبادة المولى هي التقوى فخذ هذا الجواب عسى يكون مفصلا
لكن إذا ما فسرت بمقالة قد قالها القاضي ورام تبعلا
صح التعلق بالعبادة فانظروا وأبو السعود عليه ليس معولا
فاستر أخا حلم عيوب قصيدتي وانظر إليها بالقبول تقبلا

وقال في مليح اسمه « رجب » :

لقد لاموا عليك وما ألموا بحبك والهوى صعب مُغم
وإني كلما عزلوا ولاموا أهيم ، وعزلهم والله لؤم
ولي أذن الى النصاح تصغي وأما عن هوى رجب أصم

وقلنا :

أقاربي والوشاة عليَّ نمُّوا ودمع وانتحال ثم سقم
وبعد اليعد من رجب تراني كئيبا أذهب الأفراح غم
فكم أشكو ، فلا يصغي لقولي صحيح ، إنما رجب أصم

وله قصيدة يمتدح بها الأمير محمد بن سيفا[2] :

أربي على شجو الحمام الغرَّد وشجا فيبرح بالحسان الغُرَّد

(١) في الأصل : كبحس ، ولعلها كما ذكرنا .
(٢) محمد بن علي السيفي الطرابلسي أحد أمراء بني سيفا وولاة طرابلس المشهورين بالكرم والأدب . ولي حكومة طرابلس بعد الأمير يوسف السيفي . جرت له حروب مع فخر الدين المعني . سافر الى حلب سنة ١٠٢٤ . وتوفي بمدينة قونية مسموماً سنة ١٠٣٢ ، وانهار البيت السيفي بعده .

شاد يشاد بـه السرور لمعشر عمروا مجالس أنسهم[1] بالصرخد
في مجلس قـام الصفاء بـه على سـاق ، وشمر للمسرة عـن يـد

الى أن شكا الدهر ، ودخل الى المديح فقال :

وأبى سوى رقي فقلت له : اتئد إنـي رقيـق للأمـير محمـد
ذاك الذي[2] اقتعد السماك مكانة وعـلا على متن السهـا والفرقد

وهي قصيدة حسنة • وكان لما مات والده وأخذت منه الفتوى توجه الى آمد ، وسعى في قرية « أبزموا »[3] كانت بيد والده ، فأعطاه إياها • واستمر ضعيف البدن مدة طويلة • ومع ذلك تفضلاته وصدقاته متصلة • وكانت عليه ديون كثيرة عجز عن وفائها ، فوفاها عنه زوج ابنته وابن ابن عمه أسعد جلبي حفيد أبي الجود أفندي ، فارضاً الغرمى بالبعض •

وكان يلازم صلاة الجماعة مع الشافعية دائما ، حتى كـان يصلي الفجر بغلس لا عند الاسفار • ودفن بجانب والده بالصالحين سنة سبع وخمسين وألف ، وعمره نحو أربع وسبعين سنة •

---

(١) صرخد : هل يعني الشاعر بها البلدة المعروفة في حوران ؟ وهي ذات قلعة حصينة وولاية حسنة •

(٢) في الأصل : التي •

(٣) أبزموا : قرية تركية •

٣٨ ـ أبو الوفاء بن معروف الحموي(*)

الشافعي الخلوتي . روض نافح هداه، وحوض طافح تقاه . سبكته يد التهذيب، وسكبته في بوادق التجريب . سابح في لجتي الشريعة والحقيقة . مرج البحرين يلتقيان . قاطف من الحديقتين ثمرات العلم والعمل ، المستخرجة من أغصانهما الوريفة . وجنا الجنتين دان ، ولج[1] في جادة الطريق ، وسار على بريد الهداية ومطايا التوفيق . واعتكف في مساجد الشهود ، ولازم عتبات مشاهد الكرم ومَوارد الجود . طفحت عليه كؤوس الاقتراب في محاضرات مسامرات الأحباب . فكابد الرياضة ، وراقب الافاضة في خلوات الجلوات، وجلوات الخلوات، وملازمة الأسماء والأوراد ومرابطة الاجتهاد . الى أن أحاط بقطري / أصول الأصول . فأضحى من فحول السراة وسراة الفحول . ٥٣

قرأ في مبادىء الطلب علـى علماء مصره في عصره . ثم سافر الى القصير من أعمال إنطاكية . فأخذ الطريق عن القطب العارف دوحة المعارف الشيخ أحمد القصيري قدس سره العزيز . فلازم الأوراد ودخل

★ أبو الوفاء بن معروف الحموي الشافعي الخلوتي الطريقة . هاجر الى مصر ، فقرأ على فضلائها ثم قدم حماة فلبس الخرقة الخلوتية . ومن حماة وفد على حلب عدة مرات . رسمه الناسخ « الوفي » ، وذكره المؤلف بعد صفحات « الشيخ وفاء » ، وكذا يسقط « أبا » دائما .
ـ خلاصة الأثر : ١/١٥٤ .

(١) الكلمة « ولج » مكررة في الأصل ، أسقطنا واحدة .

الى أودية الرياضة • ثم خطر له المسير الى مصر القاهرة ، ليزداد فضلا وعلما وكمالا وفهما • واستأذن شيخه في المسير فأذن له •

وقد كنت أسمع من أفواه الناس عنه حكاية كنت أظن أنها في المنام، والناس يقولون في اليقظة ، الى أن قدم حلب في سنة اثنتي عشرة[1] وألف في صحبة الشيخ أحمد الصغير حفيد الشيخ أحمد القطب الكبير، فذهبت إليه وقبلت يده • ثم في خلال ذلك سألته فقال : بل يقظة • وحكى أنه نزل في مصر عند الشيخ أبي الحسن البكري[2] والد الشيخ محمد البكري[3] ، قدس الله سرائرهما ونور مراقدهما • قال : فقرأت عليه بعض كتب من بعض علوم ، فحينما وجدني على أسلوب الصالحين من ملازمة الأوراد، والقيام على قدم التهجد طلب مني أن يتخذني مريداً له، ويعطيني العهد بطريق القوم• فكنت أتغافل وأقول له: سنين[4] أخرى ، فاني لمزيد اعتقادي في الشيخ[5] ما أردت أن أعتاض عنه بغيره• وراوده على ذلك مرات • [قال :][6] فبينا أنا في الحجرة ليلا وإذا بالشيخ أبي الحسن

---

(١) في الأصل : اثني عشر •

(٢) أبو الحسن محمد بن محمد جلال الدين بن عبد الرحمن البكري الصديقي الشافعي المصري • ولد في مصر سنة ٨٩٩ ، وتبحر في العلوم الشرعية والصوفية ودرس في الأزهر • توفي في مصر سنة ٩٥٢ ، وله عدد من المؤلفات •
– ريحانة الألبا : ٢/٢١٩ •

(٣) محمد بن أبي الحسن (الآنف الذكر) البكري الشافعي • حفظ القرآن وتلقى المتون • جلس مكان والده في الأزهر بعد وفاته ، وكان عمره آنئذ ٢١ سنة • وتوفي سنة ٩٩٣ أو ٩٩٤ • وله مؤلفات •

(٤) في الأصل : سنيأ آخر ، ولعلها كما ذكرنا •

(٥) يعني الشيخ أحمد •

(٦) إضافة المحقق •

أقبل [علي و][1] عليه قنباز من جوخ أحمر وعلى رأسه عمامة صغيرة منامية • فجلس وبسط يديه وقال : هات يدك حتى أبايعك على طريقتنا الشاذلي[2] ، فسكت • وإذا بالجدار انشق وخرج منه شيخنا الشيخ أحمد الكبير قدس سره الجليل • فقال للشيخ أبي الحسن : لا تتعرض لمريدي • قال : هذا مريدي • فوقعت المشاجرة بينهما ، وإذا به نظر الى البكري نظرة هائلة خرج من عينه خيط نار ، وصلت الى البكري • فتباعد عني، وإذا برجل آخر أصلح بينهما ، وقرأ الفاتحة لهما • فسألت هناك واحداً قلت : من هذا الذي أصلح بينهما ؟ فقيل لي إنه الخضر عليه الصلاة والسلام •

وفي صبيحة ذلك اليوم أخذت خرجي وتوجهت من مصر قاصداً بلاد القصير[3] ، خوفا من الشيخ أبي الحسن ، وخوفا من الرجال • فلم أزل على قدم السفر حتى وصلت الى الشيخ أحمد وهو حي • فقبلت يديه ، فضحك وقال : سلسلتنا إن شاء الله لا تنقطع • وعلى ما قيل : كان الشيخ وفاء المسطور ينفق من الغيب • كان خادمه يستوفي له أجور دكاكينه[4] نحو الأربعة عشرة[5] قطعة ، يضعها تحت الجلد • ولا يزال ينفق منها وهي باقية بعينها • ربما خرج في اليوم نحو الغرش •

وقد لقنني اسما جليلا وهي[6] اسم : قفل قلبي ، ألا زال بنورك الأزلي ، يا أزل • ودعا لي بخير • وكان له ابن يقال له الشيخ محمد ،

---

(١) إضافة المحقق •

(٢) يفضل « الشاذلية » • والشاذلية : طريقة تصوف منتسبة الى نور الدين أبي الحسن الشاذلي • ليس لها زوايا • من أصول تعليمها خوف الله والتمسك بالسنة واحتقار العالم والتسليم الى ارادة الله والالتجاء إليه • وقد زرنا قاعتهم الأثرية بدمشق ، وهي في حي شعبي قرب باب البريد •

(٣) قرب حلب •

(٤) في الأصل : دكاكنه •

(٥) في الأصل : الأربعة عشر •

(٦) لعلها : وهو •

شكا لي الفقر مرة ، وقال لي : والذي تركنا فقراء، فانه كان يصوننا[1] عن مناصب القضاء وعن أكل الحرام • فنحن تجنبنا ذلك مبادىء العمر • ورضينا ببعض جهات ، والآن كبرت علينا الدائرة ، وكثرت العيال وقلت الجهات ، فحرنا كيف نفعل ؟

وكان له نظم مقبول في الجملة ، كقوله :

كل من في الحمى ينادم سلمى ... غـير أني لهجرهـا لا تسل ما
فاعذروا سلمى عليلا عليلا[2] ... وارحموا العاشق الذي مات غما
لامني عاذلي بصبري عليهـم ... ما أنـا سامـع العواذل مهما
مذ تجلى الحبيب زاد سقامي ... ودعاني لحانة الأنس[3] لما/
قال: ما اسمي؟ فقلت[4]: الله ربي ... طاب شربي عند اللقا بالمسمى

٥٤

عجبا يتجلى المحبوب فتنكشف[5] الكروب ، وكيف يزداد السقام ، وتتضاعف الآلام ؟ اللهم إلا أن يكون فيه الاشارة الى قوله [تعالى][6] : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا »[7] كما قال :

صـارت جبالـي دكـا ... مـن هيبـة المتجلـي
فصرت موسى زمـاني ... مـذ صار بعضي كلي

أو لعل النسخة[8] باللام •

توفي المذكور في سنة عشرين وألف تقريبا ، ودفن بحماة •

---

(١) في الأصل : يصونا •
(٢) الصدر مضطرب • وقد ورد في خلاصة الأثر : ١/١٥٥ سليما :
فاعـذروا هائمـا عليـلا مقيما
(٣) في الأصل : لما ما ، ولعلها كما ذكرنا •
(٤) أضفنا الفاء العاطفة للوزن •
(٥) في الأصل : تنكشف •
(٦) إضافة المحقق للتعظيم •
(٧) الآية : ١٤٣ من سورة الأعراف : ٧ •
(٨) الكلمة في الأصل غامضة ، وطريقـة رسمها أن السن الاضافية جاءت بعـد أسنان السين « السخة » •

٣٩ ـ أبو الوفاء بن محمد بن عمر السعدي(*)

الشافعي ، المشهور بابن خليفة الزكي • ولا ندري « الزكي » هل هو نعت أم مضاف إليه ؟ ولا عبرة بقشط بعض أعدائه « الزكي » وتبديلها بالأسلمي • فان نسخة المصنف التي هي بخطه عندي مكتوب فيها « الزكي »، فبدلها من لايخاف الله تعالى بالأسلمي، وآثار الكشط ظاهرة• قصد بذلك القدح في نسبه النبوي •

فرع دوحة أصلها ثابت ظاهر ، وثمرة سرحة جنى صلاحها باهر • شذرة من معدن الولاية • ونهلة من ينبوع الهداية • سليل الأماجد دعامة ريع الصلاح ، وصفوة البان النجاة والنجاح • تتعطر أردان التقوى من ذكرهم ، وترتاح السراير بنفحات سرهم ، ورثوا المشيخة نبيلا عن نبيل، ورفعوا أعلام التوحيد جيلا بعد جيل • صرفوا الأوقات في الأذكار والعبادات ، وشببوا بذكر سليمى وليلى وبثينة برموز الاشارات •

★ أبو الوفاء بن محمد ، الحلبي المشهور ، وهو أخو أحمد بن محمد السعدي (انظر الرقم ٢٢) ، المنسوبان الى سعد الدين الجباوي ، ابن خليفة الزكي • تولى مدرسة الفردوس ونقابة طرابلس • وكان خطيباً بجامع الزكي (ترجم له) وإماما له ، فلا حاجة الى تساؤل المؤلف عن « الزكي » • ولي مدرسة البيرامية • توفي سنة ١٠١٠ ودفن في زاويتهم وقد قارب الخمسين •
ـ خلاصة الأثر : ١٥٢/١ •
ـ إعلام النبلاء : ١٧٤/٦ •
وجامع الزكي خارج باب النصر • كان مسجداً عمريا ثم جدده أحد أجناد الحلقة • وفي ٨٢٩ زاد الأمير ناصر الدين الحجيج من أوقافه • والاسم جاء من « محمد الزكي » المسؤول عن المسجد • واستمرت الولاية عليه في عقبه • وما زال مسجداً معروفاً •
ـ إعلام النبلاء : ١٧٩/٦ •

المذكور من أعيان المشايخ السعدية ، المنسوبين في الخلافة الى الشيخ سعد الدين الجباوي[1] قدس الله سره العزيز . خلفه والده الشيخ محمد . وخلف الشيخَ محمد والده الشيخ عمر المدفونين في زاويتهم خارج باب النصر . أما والده الشيخ محمد فلقد كان فاضلا كاملا صالحا ، صاحب كرامات . كان رجل يقال له الحاج عبد الرحمن بن الصلاح ذا ثروة ومال، وعليه هيبة ووقار . وكان يدخل الى حلقة ذكر الشيخ وفاء[2] المسطور بين أقوام عوام ، غالبهم بساتنة وفلاحون ، وبعض جماعات من ذوي الهيئات . فقلت له : ما السبب أنكم تدخلون الى حلقة الذكر مع هؤلاء القوم ؟ فقال : كنت شابا واقفا أنظر فقراء والد الشيخ وفاء وهو الشيخ محمد . وأنا في ضميري أستهزيء بالذكر حيث يقولون ما لا يفهم معناه. فقلت في ضميري : ما مرادهم بقولهم : هام هام هام هام ؟ فخرج من الحلقة الشيخ محمد ، وفرق الازدحام وجذبني من ثيابي وقال : نقول : الله الله .. فوقع[3] مغشيا علي . ثم لم أزل على اعتقادهم .

وكان في « بني درهم ونصف » رجل من الفضلاء يقال له المنلا ، يستهزيء بهم ويحقرهم . فأشار الشيخ محمد الى المنلا : تأدب تأدب . فوقع المنلا مصروعا . فوقعوا على الشيخ . واستمروا مدة طويلة يترددون الى الشيخ حتى صفح وعفا ، وتواتر على المذكور الشفاء . كل ذلك ببركات الشيخ محمد والد الشيخ وفاء .

---

(١) هو سعد الدين بن مزيد الجباوي الشيباني ، متصوف مشهور من أهل « جبا » . كان في بدء أمره من قطاع السبيل ثم تاب وتنسك . وأقام مع أبيه في زاويته بدمشق واشتهر . توفي سنة ٦٢١ ودفن في تربته في قرية جبا (وجبا قرية في دمشق) . ـ الأعلام : ١٣٣/٣ .

(٢) يعني : الشيخ أبي الوفاء .

(٣) يقصد : فوقعتُ .

وكان له خط حسن،حتى ألف الشيخ محمد كتابا اسمه «المحمدية»[1] ذكر فيه مواعظ وكرامات للأولياء . واستطرد الى ذكر الشيخ سعدالدين الجباوي، وهو أستاذه. وكذلك صنف « مجالس وعظ » تشتمل على آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، ومعان مهذبة ، ومسائل مرتبة غاية ما في الباب . قد تقع منه على سبيل النسيان . وكذلك والد الشيخ محمد اسمه الحاج عمر ، ألف كتابا سماه « العمرية » ، ذكر فيه مناقب الشيخ سعد الدين الجباوي . له حلقة ذكر في الجامع الكبير يوم الجمعة ، يجتمع فيها المئة رجل .

٥٥ وكان / صاحب الترجمة يلبس العمامة الكبيرة الخضراء والثياب المتسعة الأكمام ، الطويلة الأذيال . وقد لبسوا الأخضر قبيل الألف بمدة قليلة . أثبتوا أنسابهم الى النبي ﷺ ، بواسطة الحسين سيد شباب أهل الجنة . وكان من عادة الأشراف يربون لهم الشعور في رأسهم . وكتب له نسبا ومحضراً ، شهد لهم بالنسب غالب الأعيان بحلب مثل والدنا وأبي الجود أفندي وأبي اليمن ومحمد أفندي والشيخ فتح الله البيلوني وغيرهم من الأعيان .

ولما مات والده كان شابا له حدة مزاج . فكان بعض الأعيان بباب النصر تشاجر معه ، فذهب الى دمشق ، وأخبر الشيخ سعد الدين والد الشيخ محمد الذي هو من سلالة الشيخ الولي الكبير الشيخ سعد الدين . وكان المذكور مجذوبا ، لا يتمهل في الأمور . فذكر له أن الشيخ كان مع بعض نساء أجانب . فقبض عليه الشوباصي ، وأخذ منه مالا ليلا ، وإنه لا يليق بالخلافة . وعندنا رجل صالح عالم يقال له الشيخ عبد الرحيم،

---

(١) المحمدية : منظومة تركية للشيخ محمد بن كاتب . نظمه من كتابه المسمى بمغارب الزمان.ذكر حاجي خليفة في تعريفه بمغارب الزمان أنه جمع فيه الأحاديث القدسية. وترجمه اخوه أحمد بالتركية ، وترجمه المؤلف نظماً وهو المسمى بالمحمدية . توفي المؤلف سنة ٨٥٥ .

اجعله خليفة ، واعزل الشيخ وفاء . واكتب للأعيان مكاتيب[1] بعزله . فكتب للشيخ عبد الرحيم : إني جعلتك خليفة ، وعزلت وفاء . وكتب للقاضي بأني عزلت وفاء ، ونصبت مكانه الشيخ عبد الرحيم . فامنعوا وفاء عن الذكر مع الفقراء . فأحضره القاضي وأظهر المكتوب . فقال الشيخ وفاء : أنا لست بخليفة له ، وإنما أخذت الخلافة عن والدي ، ووالدي عن والده . وهكذا أجاب كل من جاءه منه بمكتوب . ثم بعد ذلك أرسل مكاتيب الى المريدين والنقباء أن من تبع وفاء فهو مطرود عن طريقتي ، ومن تبع الشيخ عبد الرحيم فهو مقبول عندي وعند الله .

ومع ذلك استمرت الفقراء غالبا عنده ، يقولون : الشيخ وفاء أقدم، وأجداده علماؤهم الذين أيدوا طريقة الشيخ الولي الكبير في حلب ، وألفوا في فضائلهم . ثم بعد مدة توجه الشيخ وفاء بالهدايا والأرمغان الى الشيخ سعد الدين ، ومعه الفقراء المريدون له . فسبقه الشيخ مسعود شقيق الشيخ عبد الرحيم . وقال للشيخ سعد الدين : إن خلفت الشيخ وفاء تتعطل مصالحنا ، ويختل أمرنا . فقال : لا أخلفه . فجاء الشيخ وفاء فأكرمه الشيخ سعد الدين . ثم قال : جئت تطلب الخلافة ؟ قال : يا مولانا أنا خليفة والدي عن والده عن جده عن أجدادكم . ونحن الذين أحيينا في حلب طريقتكم . ووالدي كتب مؤلفا[2] في مناقبكم ، وجدي كذلك . والشيخ عبد الرحيم كان من بعض فقرائنا ، وجئنا نؤدي حقوقكم . فان أذنتم لنا كان خيراً على خير ، وإلا فقد فعلنا ما لكم من الاحترام . قال له : سبق السهم ونفذ .

ثم ذهب الى الشيخ الصمادي ، ونزل عنده . فقال له بعض الأعيان: نحن نأمر القاضي وأعيان البلدة يلزمونه بالخلافة . قال : لا أريد هذا

(1) في الأصل : مكاتيبة .
(2) في الأصل : تاليفا ، رأينا تبديلها .

الأمر • ثم رجع الى حلب، واستمرت حلقة ذكره قائمة،والفقراء يزيدون ولا ينقصون • لكن حلقة الشيخ عبد الرحيم كثرت جداً بسبب السخاء وبذل القرى • وكانت حلقة الشيخ عبد الرحيم بباب المقصورة ، ملاصق حلقة الشيخ وفاء ، بحيث يلتحمون ، ولا يبقى حاجز بينهم سوي •

وكان يقع بينهم من الفتن والشتم والاشارات الرديئة والعبارات المهملة ، الى أن مقت الناس الفريقين • ولما قدم الشيخ محمد بن الشيخ سعد الدين ألزم الشيخ عبد الرحيم بالتحول الى المحراب[1] الأصغر،حتى انطفأت تلك النيران • وقال الشيخ محمد : أخطأ والدي في تفريق الكلمة بينهم •

وكان[2] تولى مدرسة الفردوس[3] ، وتولى نقابة طرابلس • وكان خطيبا بالجامع الزكي ، وإماما له • وتولى مدرسة البيرمية •

توفي في سنة عشر[4] وألف رحمه الله تعالى ، ودفن في نفس الزاوية• وكنت الفقير صغيراً أحبه وأعتقده • وكان قارب الخمسين سنة ، رحمه الله تعالى •

---

(١) في الأصل : محراب •

(٢) يعني أبا الوفاء •

(٣) تقع في حارة الفردوس في جنوبي المعادي • فقد بنت ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين زوجة الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين فيها عمارة فيها جامع ومدرسة وتربة ورباط سنة ٦٣٣ ، ووقفت عليها أوقافا كبيرة • والمدرسة ضخمة ذات أعمدة رخامية •

ــ نهر الذهب : ٢٨٩/٢ •

(٤) في الأصل : عشرة •

٤٠ ـ ابراهيم بن أحمد الترجمان

رقمته اعتباراً ، ورسمته نصحا وإذكاراً ، ليتجافى أمثاله عن طبعه ، ويتجنب الارتقاء في غير مطلعه ، ويقتنع بزاد الضيقة والخمول،/ ولا يقتحم إلا سُراه فيما يورده والأفول ، ولا يعوم في لجة ٥٦ لا يستطيع الدخول الىساحلها ، ولا ينازل مفاوز منيل فيمسيرة مراحلها، ولا يتبلع لقمة تخرج بها نفسه ، وينقطع نفسه سريعا ، ولا يتورط في مهاول[١] لا يستطيع منها رجوعا ، ولا فيها هجوعا . ولا يسعى على حتفه بظلفه ، ولا يجدع بيده مارِن أنفه . ولا يصطلي بغير ناره ، ولا يناضل في غير مضماره . ولا يحاكي ذبابه تغريد الهزار[٢] ، ولا يستطيل يراعه على الطبل والمزمار . ولا يقاوم الريم الليث الهصور ، ولا تناطح القرناء جلمود الصخور :

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها،وأوهى قرنه[٣] الوعل

كان ترجمانا للقضاة بحلب كوالده ، فاستطال بطول المدد ، وكثرة العدد والعُدد على الأعيان ، وازدرى بالأماثل . وصار واسطة الحل والعقد للقضاة ، لا سيما قضاة الرشا . وكثيراً ما قدّم المؤخر وأخر المقدم،حتىماتت له بنتفخرج لدفنها أكثر الناس . فخرج أبو الجود أفندي يوم الدفن واليوم الثالث . فمشى لأبي الجود أفندي خطوات قليلة . وكان يمنع الناس عن الاجتماع بالقاضي إلا بعسر . وكان يرتكب

(١) في الأصل : مهاولا .

(٢) الهزار : (فارسية) البلبل الأخضر .

(٣) البيت للأعشى في يزيد بن مُسهر ، رقم البيت ٤٩ ، ومطلع القصيدة :

ودّع هريرة إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ ؟

أموراً تغرُّه ، ولا تنفعه • يتجبر على خلق الله عز وجل • وكان قاضي حلب حيدر أفندي في غاية الصلاح والعفة • وكان باشا حلب الوزير المكرم والصدر المفخم أحمد باشا[1] ، وقع بينهما بسبب أن الوزير يريد الظلم والقاضي لا يريد ذلك • فكان يراجعه ويضاده • وكان يسأل ويقول : ما سبب الفتنة ؟ قالوا : الترجمان • فأسرَّها حتى عزل القاضي • فأحضر الباشا الترجمان ، ودمغه بالنعال المحمية بالنار • ونادى عليه : هذا جزاء المزور الملبِّس[2] الذي ينشيء التزاوير في المحاكم • وأمامه نحو مئتي سكماني[3] • وهو راكب على الحمار بالمقلوب ، مكشوف الرأس • والعالم ينظرون[4] إليه ، وهو يبكي • حتى صار تاريخه « كتب الكي على جبهته » وذلك سنة تسع وألف • وأغلب الناس فرحوا بذلك • وبعضهم حزن ، تعظيما للشرع المحمدي المطهر •

ثم عزل من الترجمة ، وتوجه إلى قسطنطينية، فأسعفه كمال أفندي باخراج أوامر شريفة وأعاده•وكتب لوالدنا مكتوبا يوصي فيه خيراً• ثم رجع وتولى الترجمة • وكان يكب العمامة على جبهته • ثم عزله الحاج

---

(١) ولي أحمد باشا الصدر الجديد سنة ١٠٦٦ ، وكان من المشهورين بالجور والظلم • فلم يقبله الحلبيون ، وزادهم به بغضا مصطفى باشا والي حلب الذي لم يبرح منها ، وحذر أعيان حلب من أحمد باشا • فطرده الحلبيون وشحنوا القلعة ، فحاصرها وقطع عنها المؤن وضايقها وأحرق البساتين • فشكوه الى السلطنة ، فأرسلت تردعه • ثم ولته سيواس ، وولت حلب مرتضى باشا •
— نهر الذهب : ٣/٢٨٥ •

(٢) لبَّس عليه الأمر : خلطه وجعله مشتبهاً بغيره •

(٣) أي رامٍ •

(٤) في الأصل : ينتظرون •

أحمد الطباخ، فغرم مالا، حتى تقرر . ولم يزل هذا يعزل هذا وهذا يعزل هذا حتى غلبت الديون على ابراهيم . وكان تزوج زوجة شابة، أحبها . فذكر لي القاضي صلاح الدين الكوراني[1] أنه سأله عن ماء الفضة ، هل يقتُل ؟ قلت له : نعم يقتل قتلا ذريعا سريعا . فمضت أيام ، فوجدته في كوة في المحكمة ، فيها حنجور[2] . قلت للجماعة : ما هذا ؟ قالوا : لا نعرف . فقال واحد : هذا ماء الفضة . فقلت : لمن ؟ قال الحاج ابراهيم : هذا لي، ونسيت ما قال لي أولا، وما سألني عنه . ففي صبيحة ذلك اليوم الثاني جاءنا خبر أن الحاج ابراهيم مات بالفجاءة فعلمت أنه شرب ماء الفضة ، وقتل نفسه رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وعفا عنه .

وبالجملة لم يكن مزورا ولا ملبسا . وإنما كان له تعصب أحيانا ، واستطالة على البعض بغير الحق .

---

(١) صلاح الدين الكوراني : أديب لامع وذو شعر حسن . كان رئيس الكتاب بمحكمة قاضي القضاة بحلب . توفي سنة ١٠٤٩ . و « كوران » من قرى أسفراين .
 – خلاصة الأثر : ٢/٢٥٢ .
 – ريحانة الألبا : ١/٢٨١ .

(٢) حنجور : إناء صغير من زجاج ، يوضع فيه المرهم أو الحبر .. (عامية) .

٤١ ـ ابراهيم بن محمد

حفيد شيخ الاسلام البرهان العمادي . جوهر مجد في صدف ، صينت عن الدنس والصلف . غرة المجد الباذخ آباء وجدودا ، وعزة الشرف الشامخ الذي لا يكتنه رسوما ولا حدودا . لم يترك للحاتمي في السماح حاليا ولا عاطلا ، ولم يدع في بكور / سفينة التجارب لجة ولمتها شاهلا[1] . ٥٧
سطعت شموس أصالته من المنطقين ، واقتبست أهلة نباهته من نور العين ، اقتفاء آثار أيوب ، وتحمل أثقال الادواء الحاشمة للذنوب . الى أن وجد الضجر من علته ، والشفاء بالحمام من شقاء مرضته .

والدته الحاجة زهرة بنت القطب العارف ، الغارف من تيار المعارف الشيخ أحمد بن عبدو القصيري . اشتغل بالعلوم على المرحوم والدنا وعلى الامام الحبر الشيخ محمود البيلوني . ثم سلك طريق القضاء ، فلم يزل يتدرج في المدارس على قانون الروم ، الى أن تولى قضاء جبلة واللاذقية . ثم صار يداخل الحكام في المصالح ، حتى كان يذهب الى بلاد الروم الى قسطنطينية كثيرا . وكانت[2] تأتيه الهدايا والتحف من الناس بقضاء المصالح ، ثم ابتلاه الله تعالى بأمراض متعددة ، واستمر فيها نحو عشر سنوات ؛ ثقب له ثقب بين الذكر والدبر ، فجلس في بيته لا يخرج منه ليلا ولا نهارا ، وجماعة من أصحابه جالسون عنده يسلونه شدائد الدهر . وفي يده جهات يقتنع بها ، حتى توفاه الله في

---

(١) كلمتان غامضتان في الأصل رسمهما كما ذكرنا فوق .
(٢) في الأصل : كان .

حياة والدته . فصبرت على فقده الصبر الجميل . حتى يوم موته ، ذهبت جنازته الى الجامع الكبير . فخشيت من الله تعالى ، فصليت صلاة الظهر في البيت ، ثم توجهت الى الجامع .

مات سنة أربع عشرة[1] وألف . وكان جده والد والده شيخ الاسلام الشيخ ابراهيم العمادي ، وجده والد والدته القطب الشيخ أحمد بن عبدو القصيري الخلواتي .



(١) في الأصل : عشر .

٤٢ ـ أصلان بن عثمان الترجمان

المشهور بأصلان جاويش ، أحد جاويشية السلطان ، المنتحل غير مذهبه ، الكارع من غير مشربه ، ما شحذ آنظاره من التجارب ، ولم تفقه أفكاره في حومة الجدال أساليب التجاذب ، ولم ترضه الحوادث ، ولا حنكته النواكب والنواكث ، حتى ولجت في ثيابه عقارب المصايب ، ودبت وقذفت به رياح السموم ، حتى فاجأه الهلاك منذ هبت فما سرئت على نكباته النكباء ، وما استقام له السعد فحملته الأقدار على الحدباء، ولا قرعت له المصائب بالحصباء ، ولا اندره[1] الحمام ، ولا حذرته الأيام ، فالتقمته النقم ، وفرت منه أوابد النعم ، وحسم الحسام ما فيه عيناه عن جسمه ، وصار نكرة بعد المعرفة بانطماس رسمه ، وحل المكروه بواديه ، وقامت النوائح بناديه ،

كان والده عثمان آغا ترجمانا لباشاوات حلب مدة مديدة ، وبلغ من الآمال والأموال الأمور العديدة ، ثم ورد الأمر السلطاني ، بتقدير الأمر الرباني ، أن يقتل فقتل ، ثم انتشأ المذكور ، وتقرب الى السلطنة، فصار جاويشا[2] ، وصار يداخل حكام السياسة وحكام الشريعة، وصار

---

(١) دره : طلع وهجم ،

(٢) جاويش : رتبة عسكرية تعادل الرقيب ،

بابا للرشا ، وتقرب الى أحمد أفندي الأياشلي[1] في قضاء دمشق • وصار صاحب حل وعقد عنده •

ثم لما تولى قضاء حلب أيضا ، ولما وقعت الفتنة بين عساكر دمشق وعساكر حلب، دخل في الظاهر مصلحا، وفي الباطن ماكرا بعساكر حلب، حتى صار ما صار على عساكر حلب من القتل والنهب كما سيأتي في ترجمة خدا وردي • ومضى بعد ذلك أعوام ثلاثة[2] ، تولى نصوح باشا حلب ، فاضطرب منه عساكر دمشق ، فأظهر لهم المحبة ومكر فيهم ، حتى قدر الله أن شقيق أصلان وهو علي جلبي خطف امرأة خرجت من حمام الجوهري[3] ، وأخذها الى بيته • فاشتكى أهلها للباشا، فسجنه في القلعة• ثم جاء في اليوم الثاني أصلان ومعه كنعان المتكلم على عساكر دمشق القاطنين بحلب وجماعة أخر منهم • فشفعوا عند الباشا في علي جلبي • وقالوا : هذه / امرأة فاحشة ، بينها وبين أخي صحبة قديمة، لكونها **٥٨**

(١) أحمد بن سليمان القاضي الأياشي الرومي • قاضي القضاة بحلب ثم بالشام • ولي الشام ١٠٠٧ وكان منصفا في حكمه ومدحه الشعراء • ثم تغيرت أحواله واشتهر بالرشوة وأبطل الحقوق ، فضجر منه أهل دمشق ورجموه • هجاه درويش الطالوي بقصيدة سماها « رفع الغواشي عن ظلم الأياشي » • توفي سنة ١٠١٠ ، ويرى البوريني أن وفاته سنة ١٠٠٧ •

والأياشي : نسبة الى « أياش » بليدة يصنع بها الصوف من نواحي أنقرة ببلاد قرمان• والنسبة إليها بالتركية « أياشلي » • وانظر ترجمته رقم (١٦) • وعذرا للتكرار ولكن فيه اضافة •

ـ خلاصة الأثر : ٢٠٨/١ •

ـ تراجم الأعيان : ٨٥/١ •

(٢) في الأصل : ثلاث •

(٣) ذكرها الغزي من حمامات ظاهر حلب ، أنشأها سعد الدين بن الدرويش •

ـ نهر الذهب : ٣٢٧/١ •

امتنعت عنه أخذها قهراً • فقال : اصبروا علي يومين ، حتى لا يطمع الناس بعضهم في بعض ، وتعالوا بعد صلاة الجمعة حتى أطلقه من السجن لأجل خاطركم • فصلوا الجمعة وطلبوا الاطلاق • فأمر بانزاله من القلعة • وإذا بجماعة الباشا أحاطوا بأصلان وبأخيه ، وضربت أعناقهم • فضجت أهالي حلب فرحا بهذه الحالة ، وكون هذا من مبادي كسر عساكر دمشق • ووقع الرعب في قلوب الناس • فأخذ الباشا أمواله ، وهدم داره ودار أخيه ، ودارت عليهما دوائر السوء •

وذلك في سنة ثلاث عشرة[1] بعد الألف •



(١) في الأصل : عشر •

٤٣ ـ أصلان بن علي باشا بن الـرند العجمي

أمير لواء المعـرة أولا والحلة ثانيـا . الخائض غمرات الكفاح ، والواطىء بأقدام همته رؤوس الأسنة ومتن السلاح . المستسهل للحمام، والمستنهل الى موارد السهام ، والطافح منهله من دماء الحسام . والطامح طرفه الى معترك المنايا ، والجانح الى محاسن السجايا . خندريسه[1] ماء النصب ، وكأسه حنظل المشقة والتعب . الناطق لسان حاله ، الصادق في أقوالـه :

السيف والخنجر ريحاننـا   أفٍّ على النرجس والآسِ
وشربنـا من دم أعدائنـا   وكأسنـا جمجمـة الراس

حامل لواء الحرب ، ومجدد ملة الطعن والضرب . قطع القفار يعادل عنده لشرب العقار وملك العقار . وقتل النفوس من قبيل قبل العروس . عقل عقله ، وطاش فكره . وصل أمره فلا هدايـة تردعه ، ولا عنايـة تمنعه ، غرته حوادث الدهور ، وخدعته ثعالب الأمور ، فقذفته في زمن المنية ، وحالت بينه وبين الأمنية .

كان والده باشا حلب . وتولى أيضا بغداد والبصرة والموصل . ثم استوطن والده حلب ، كما سيأتي في ترجمته . ثم إن صاحب الترجمة جمع الجموع،وكان يصادر أعيان الفلاحين . ثم تولى إمارة معرة النعمان . ثم لما خرج محمد باشا أبازه[2] عن طاعة السلطان لطلب الثأر من قتـل

(١) الخندريس : الخمرة القديمة .
(٢) أبازه : اسم قبيلة جركسية .

السلطان عثمان[1] ، رحمه الله تعالى ، وكان المتهوم طائفة الينكجرية • فكان صاحب الترجمة من أنصاره • ولما نصر الله تعالى الوزير الأعظم محمد باشا جركس[2] على أبازه ، حتى فرق جموعه بالسيف ، ورجع أبازه الى أرض روم[3] ، توجه أصلان[4] الى بلاد العراق •

ثم لما حاصر الوزير الأعظم حافظ أحمد باشا بغداد ولاه إمارة الحلة • فكان هناك بين الطائع والعاصي • ثم لما ظهرت إمارات الخذلان على الحافظ كاتب سلطان العجم شاه عباس لأصلان أن يأخذ هذا المقدار من المال ، ولا يشوش على أهل الحلة ، فانهم كانوا شيعة • فأخذ المال ، وأظهر أنه عاجز عن ضبط الحلة ، حتى تسلم الحلة أتباع • فاجتمع أصلان مع الأمير سليمان بن سيفا[5] بالقرب من نزل الأمير مدلج • وقال أصلان لسليمان : حتى نجتمع معا ونخرج عن طاعة السلطان • قال له سليمان : حتى ننظر العواقب لماذا تؤول • فبعث الحافظ أمرا بالخفية الى الأمير مدلج : إما رأسك أو رأس أصلان •

ففي الحال قطع رأس أصلان • وكذلك قال له عن سليمان ، فبعث الرأسين الى الحافظ • وذلك سنة خمس وثلاثين وألف • وعمر أصلان نحو ثلاثين سنة •

---

(1) هو عثمان بن أرطغرل بك • ولد عام ١٢٥٨ م في بلدة « أسكي شهر » • نشأ مولعا بالحروب ، واستطاع أن ينتزع مدينة قره حصار من البيزنطيين فمنحه السلطان السلجوقي رتبة بك ورقاه الى رتبة الأمراء • توفي عام ١٣٢٦ ، وعد مؤسس الدولة العثمانية •

(2) محمد باشا جركس : والي الشام والصدر الأعظم في السلطنة العثمانية ، في عهد مراد الرابع • توفي في توقات سنة ١٠٣٤ •

(3) أرض الروم : مدينة في تركية، كانت تسمى «قاليقلة »• ثم استولى عليها السلجوقيون وأسموها أرضروم •

(4) أصلان : كلمة تركية أصلها « أرسلان » ومعناها الأسد •

(5) أمير طرابلس •

٤٤ ـ أصلان دده(*)

المجذوب المرأى . طار يحتاج الارتياح وهوادج الصدق على مطايا الأرواح . وقطع مفاوز الهوى ، واقتطع علائق السوى[١] . ولمع بـه الغرام ، حتى صار لا يعرف القرب من النوى . بل أخرج الله لـه حب الحب وثمار النوى . / وارتحل عـن أكوان جثمانه ، وغاب عن عـين عيانه ، راتعا في جنان حنانه . تحلى[٢] بالحرم المحروس ، وقال : لاعطر بعد عروس ، وجنى من الروض المقدس المأنوس ثمار الأسرار ، وفاكهة الأبرار . فصار نديم الحضرة ، وساقي الخمرة في الروضة النضرة لدى الأحبة البررة . فحين دكت جبال وجوده ، وقامت أدلـة شهوده فأخذ[٣] يشبب في رند مجاز الشهود ونجده ، ويموه بالأسماء في آسمائه ؛ وليلاه ودعده . فهو عامري الغرام[٤] ومجنون ليلى حجة أهل الهيام :

٥٩

ومـن عجب أنـي أحـن إليهـم … وأسأل عنهم من لقيت وهـم معي
وتشتاقهم عيني وهم في سوادهـا … ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

★ أصلان دده : نزيل حلب . نقل المحبي كلام العرضي عدا قوله : « كانت وفاته بعد فتح بغداد بقليل ، والفتح كان في سنة ١٠٤٨ » . وفي الآثار الاسلامية كان هناك قهوة خانه تدعى « قهوة أصلان دده » قرب خـان الوزير ، وهي جـزء من المدرسة الجردكية الباقية آثارها .
ـ خلاصة الأثر ٤١٩/١ .

(١) السوى : القصد .
(٢) في الأصل : تحل .
(٣) يفضل حذف الفاء لتناسب المعنى .
(٤) أي يشبه قيس ، الذي عشق ليلى العامرية .

اخترط في مبادىء العمر شوك القتاد[1]، واحتمل المشقات والأنكاد، من الجوع والعطش والسهر والعري والقمل وسب الناس له وطردهم إياه عن مواطن نومه وهجوعه . وكان ينام في المساجد من غير غطاء ولا وطاء ، أذل من وتد ، وأحقر من نقد . مشغولا بخويصة وجوده في منادماته وشهوده . كان نائبا لبعض قضاة حلب ، فحصلت له الجذبة الالهية فيها . يقال إنه قطع خصيتيه . وسمعته يقرأ أحيانا بعض عبارات « كافية » ابن حاجب . وكان يسرد أحيانا آيات قرآنية .

ولازم « بيت القهوة »[2] . فكان لا يخرج منها ليلا ولا نهارا إلا أحيانا قليلة . لا يتكلم مع الناس إلا القليل من الكلمات ؛ تارة لها انتظام وأخرى بدون انتظام[3] . ثم خدمه رجل يقال له الشيخ محمد العجمي[4]، [و][5] كان شيخا معلما لبعض الأكابر من أرباب الدول . وكان له صوت حسن وخط حسن . فأجل مقامه ، وأظهر احترامه . فعكف الأكابر عليه وقدمت الأموال إليه .

وشاهد كثير من الناس تصرفه التام باذن العليم العلام . من كراماته ما أخبرنا به صهرنا أحمد جلبي الشيباني ؛ كان عبداً صالحا ، معتقداً

---

(١) القتاد : شجر شاك صلب لا تأكله الإبل إلا في عام جدب .

(٢) المقهى .

(٣) في الأصل : العظام .

(٤) هو محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم ، أقضى القضاة ، أبو عبد الله العجمي الأصل الحلبي المولد ، الأردبيلي الخرقة ، الحسيني الحنبلي . توفي سنة ٩٢٦ .
— الكواكب السائرة : ٣٢/١ .

(٥) إضافة المحقق .

في الأولياء ، من ذرية قوم كرام من ذرية بني الشيباني ، ومن ذرية بيت الشحنة[1] : إنه كان لوالده مصطفى جاويش معتوق[2] يقال له : سليمان آغا ، ترقى في الرفعة حتى صار كتْخُدا جعفر باشا باشا البلاد اليمنية ، إنه لما رجع من اليمن على انطاكية فاستقبله أحمد جلبي · فأخرج له ورقة تتضمن أن الشيخ محمد الزجاج من أهل اليمن يسلم على دده أصلان ويقبل أياديه · وقال لي : قبل أياديه عني ، وأنا الآن مشغول بخدمة الباشا ، لا أستطيع الذهاب الى المذكور · فأنت كن نائبا · فأول مجيء أحمد جلبي قام له دده أصلان قائما قائلا : مرحبا بالذين جاؤوا لنا بسلام أهل اليمن ، كررها أربع مرات[3] ، ثم قال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وكررها أربع مرات · ثم قال له : رأيت الجمل ولا الجمال ، كررها أيضا · كل هذا وأحمد جلبي ما كلمه بذلك ولا شطر كلمة · وإنما عرض عليه الأمر في الباطن · وهذه الكلمات قالها بالتركي ، فان أصلان دده كان لا يعرف العربية ؛ لسانه تركي · فقال له درويش علي خليفته الجالس في خدمته : أحمد جلبي حضرة الدده يقول لكم السلامة ولكم اليمن ولكم البركة ولكم الجمال لمكة · فقال له أحمد جلبي : صدقتم يا مولانا ، هذا تأويل كلام الشيخ :

سارت مشرّقة وصرت مغرّبا[4] شتان بين مشرق ومغرب

ومن كراماته أن ينكجريا[5] اشترى من باياس أرزاً وبنا وسكراً ·

---

(1) الأسرة الحلبية المشتهرة بالعلم في القرن التاسع الهجري ·
(2) في الأصل : معتوقاً ·
(3) في الأصل : مراراً ·
(4) حفظي للبيت : وسرت مغربا ·
(5) أي : عسكريا انكشاريا ·

وقال في ضميره : أُعطي للمذكور منه ستة عشر أبلوجا[1] من السكر • وحملها الى حلب • فقال له أخوه : الشيخ يشرب أبلوجا واحداً ، والباقي يبيعه علي جلبي خليفته ، ويحط الثمن على دراهمه الكثيرة • لا تأخذ سوى واحد • فجاء له بأبلوجين ، ثم حمل السكر من باياس[2] ، فسقط عن الدابة ووقع في الماء ، حتى وصل الى التلف • فتشاجر مع أخيه • وقدر الله أن البن والأرز كانا / يباعان بأحسن ثمن ، انحط ثمنهما فتشاجر مع أخيه • وفي الحال ذهب وأعطى بقية ما نذره في ضميره • فما مضى ثلاثة أيام حتى باع الجميع بأرفع الأثمان •

٦٠

ومن كراماته أن ، الفقير ، أردت أن آخذ مكانا خرابا ، كان أصله يباع فيه غزل الصوف من مستحق وقفه • فطلبته منه فامتنع • ووقع خاطري فيه • وكان المذكور كثيراً ما يزورنا في زاويتنا العشائرية المطلة على الجامع ، ويدخل الى بيتنا • ولبيتنا باب آخر الى الجراكسية[3]، والى الموضع الذي طلبته • وما خرج أصلان دده قط من ذلك الباب • فزارنا ودخل الى بيتنا ، وفتح ذلك الباب ، وتوجه الى ذلك المكان ، وأسند ظهره اليه زمانا طويلا • ثم عاد الى بيتنا ، وخرج الى زاويتنا • ففي اليوم الثاني جاءني مستحق الوقف يطلب مني ما كنت ذكرته له • وقضى الله المصلحة •

ومن كراماته أنه يوما من الأيام طلب ديوان حافظ[4] • واستمر عنده نحو شهر ، وهو ينظر إليه ويقبله • فبعد ذلك تواترت الأخبار أن الحافظ صار وزيراً أعظم ، وكان في آمد حينئذ • وكان رحمه الله يحبنا محبة جليلة جزيلة • ويأتينا الى زاويتنا وبيتنا ويقول عنا : فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين • أنتم يا بني العرضي مشايخ أهل السنة في

(١) كلمة تركية تستخدم للحجم والكمية • ومعناها في الأصل القبة والهرم •
(٢) باياس : تقع في محافظة الاسكندرونة على شاطىء البحر •
(٣) الجراكسية : أحد أحياء حلب الصغيرة ، ولا يمكننا تحديد موقعه • ويبدو من النص انه كان قريباً من الجامع الكبير •
(٤) يقصد ديوان حافظ الشيرازي ، الشاعر الفارسي المتصوف • توفي ٧٩٢ •

حلب . وكانت الهدايا والنذورات تأتيه على التوالي ، وتعطيه أرباب الدول المئات من الغروش . بحيث إذا شفع في أعظم شفاعة تقبل ، مع أنه لا يدرك شيئا بالكلية لغلبة الجذب عليه . حتى بنى له خليفته علي جلبي دكاكين وبيوتا ، وأخذ له خان الكتان[1] ، واتخذ له قهوة بعض الدكاكين وقف ناصر الدين بيك بن برهان ، وبعضها وقف زاوية بيت الشيخ دامان[2] الشيخ ابراهيم الحبال ، وكتبها علي جلبي لنفسه . فالخلوات ملك له ، ثم أوقفها . وأما الأرضية فانها للغير ؛ بعضها لجامع ناصر الدين بيك البرهاني[3]، وبعضها لزاوية بيت الشيخ دامان في سويقة الحجارين [4] . واتخذ هذا البناء في زمن يسير . وزاره الحافظ وهو الوزير الأعظم ، فأعطاه ألف دينار ذهبي .

ومن عجيب أمره أنه قبيل موته حضر لديه انسان يشابهه من كل وجه ، بحيث لو رآه الصغير الذي لا يدرك شيئا ، وقال له : من هذا ؟ كان يقول : أخو أصلان دده . فادعى أنه أخوه ، وجلس هناك ، وعلي جلبي ينكر ذلك . فأحضر علي جلبي نائب المحكمة الصلاحية ، وأحضر هذا الرجل ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا ابن فلان ، وأمي فلانة .

(١) كان هذا الخان في سوق الخانات ، قريباً من مسجد يدعى باسمه مسجد خان الكتان في شرقيه (نهر الذهب : ١٩٥/٣) .

(٢) لعلها : والشيخ .

(٣) ذكر الغزي (٣٦٩/٢) حي المنازلة الواقع داخل أسوار المدينة القديمة ثم قال : « في هذه المحلة غربي جنينة الفريق (بالقرب من قلعة حلب) مسجد ينسب الى ناصر الدين محمد بك بن برهان ، وتربته مطلة على المسجد. وذكر الطباخ (١١/٣) أن الجامع الناصري مبني داخل دار العدل » .

(٤) هي في محلة المصابن (قرب بلدية حلب حاليا) قريبة من قسطل الحجارين . وعرفت السويقة بهذا الاسم قديماً ، إذ ورد في (در الحبب : ٥٤٦/٢) أن يحيى بن علي المعروف بابن الشاطر (ت ٩٣٣) كان السبب في إيصال الماء الى سويقة الحجارين .

وسئل أصلان دده ، وهو لا يدرك شيئا من الأمور ، فقال : آنا فلان وأمي فلانة . فسمى أباه وأمه بغير ما سماه . وأثبت النائب أنه ليس أخاه . ثم لم يفدهم ذلك شيئا .

واستمر يأخذ من وقف التكية حتى مات . والى الآن يأخذ في كل يوم ثلاثة غروش[1] . وشاهد الناس منه آنه لما كان السلطان يطلب بغداد كان صاحب الترجمة في تعب باطني عظيم .

عاش نحو مئة سنة .

٤٥ ـ إخلاص*

مُشيِّد[2] أحكام التقوى على برهان التأسيس ، وباني قواعد السلوك في حرم التقديس ، قاطع الخسيس ونازع في النفيس ، فأزاح[3] تلبس إبليس ، بتطهير جوانحه من كوثر الرياضة عن التدنيس . الفايز في غرة الأعمار بباكورة الأسرار ، الحائز حلية التحلي بعد ما رفل في حلل التجلي بالقدم الراسخ في الوقوف بعتبات المشايخ . حتى استوى على عرش الاختصاص بمزايا خبايا جواهر الاخلاص ، وانتظم في قلائد الخواص ، فشاكل الغواص والخواص . فلم يزل جاهداً ،

★ الشيخ الصوفي إخلاص الخلوتي الشيخ العارف ، نزيل حلب سنة ١٠٤٤ . يقرب مريدوه من مئة ألف أو يزيدون . توفي سنة ١٠٧٤ وله من العمر إحدى وسبعون سنة .

خلاصة الأثر : ١/٣٨٩ .

(١) في الأصل : ثلث غرش .

(٢) في الأصل : شيد ، غيرناها لتوازن الجمل .

(٣) في الأصل : بأزاح .

والغافل جاحداً ، يناظر في الطاعات مجاهداً . فاستقر بنصه / الارشاد ، وازدحم على منهله القاصدون من الأزواج والأفراد .

كان في ابتداء أمره خادماً لبعض أرباب الدول ، فلازم أعتاب أستاذه الشيخ قايا خليفة شاه ولي ، الآتية ترجمتهما إن شاء الله . وأقبل على الرياضة وكسر النفس وتهذيب الأخلاق وقمع الشهوات ، والمنع من اللذات والدخول في الخلوات ، أسوة غيره من المريدين . حتى دنت وفاة الشيخ قايا . فامتدت أعناق المريدين الى الخلافة . فاختار إخلاصاً للأنافة ، مع أن له ابناً صالحاً فاضلاً يقال له الشيخ حمزة . لكن من عادات هذه الفرقة من الخلوتية أنهم لا ينصبون خليفة سوى الأجنبي . كما أن الفرقة الأخرى من الخلوتية أتباع جدنا لوالدتنا الشيخ أحمد القصيري ابن عبدو ، قدس الله سره ، لا يختارون إلا ابنهم أو أخاهم أو أحد أقاربهم . دليل الأولى اختيار النبي ﷺ الصديق للخلافة ، مع كونه أجنبياً ، مع وجود العباس عمه وابن عمه علي بن أبي طالب . دليل الثانية طمأنينة قلوب المريدين للأقارب ، وعدم احتقارهم ، ولئلا ينقطع الخير عن ذريته .

وقد اتخذ له الوزير الأعظم محمد باشا الأرنؤط[1] زاوية ، غرم عليها مالاً جزيلاً . وأوقف عليها وقفاً عظيماً[2] . فحصل منه في اليوم

---

(١) يقصد الأرناؤوط ، ورسمه المحبي « الأرنود » . والأرناؤوط أي الألباني أو البلقاني . وكان كثير منهم مسلمين . ومن أسلم من أعيانهم عين باشا أو وزيراً ، وانظر بعده .

(٢) والتكية الاخلاصية : واقعة في محلة البياضة ، وهي قبلة جامع الصئروي شمالاً . بناها له الوزير الأعظم محمد باشا الأرناؤوط . وهي زاوية حسنة البناء متقنة العمارة على النمط التركي . وعلى باب قبليتها أبيات آخرها :

وقال لسان الحال إذ تم : أرخوا بنى مسجداً لله داعٍ بإخلاص
١٠٤٤

وكان فيها مكتبة حافلة إلا أنها تبعثرت ، ونقل ما بقي منها الى خزانة كتب الأوقاف . (الآثار الاسلامية والتاريخية : ٢٤٣)

ثلاثة غروش • طعن فيه بعض الناس أن العِمارة من مال العوارض • ولكن بعضهم قال إنّ الوزير الأعظم أقرض باش دفتر دار مالا لأجل مهمات السفر ، وحصَّل الايفاء من مال العوارض • وما أظن أن الكلامين صحيحان[1] •

حكى لنا الشيخ عبد العزيز بن الأطرش ، وهو ناشد حلقة ذكره ، أنّا كنا مع الشيخ بناحية بيرة الفرا[2] • وكان معي رجل اسمه الحاج حسين ، الله أعلم ، قال : ذهبت معه الى ماء هناك للاغتسال • فنزل المذكور الى النهر ، فصادفه عميقاً لا قدرة له على السباحة فيه • فغط ، فأخرج رأسه وصرخ : إنني هلكت • وغط ثانية وأخرج رأسه لا يستطيع الكلام • وأنا عاجز عن السباحة ، وما عندي أحد • وثيابه بالقرب مني • فهربت خوفاً من الحكام • ثم جئت الى الشيخ ، قال لي : أين الحاج حسين ؟ قلت : يا سيدي ، لا أدري أين راح ؟ فكرر الكلام ثانيا وثالثا • وقال : أين هو؟ قلت : والله يا سيدي لا أعلم • قال : يا مجنون ، الشيخ الذي لا يحمي مريده لا يكون شيخاً • وبعد زمان طويل وإذا بالحاج حسين محمول ، انتفخ من الماء ، وفيه روح ، فعلقوه ، وجعلوا أقدامه فوق ورأسه تحت • حتى نزل الماء من فمه • ثم حصل له الشفاء فسألته قال : كنت قطعت بالموت ، فرأيت يداً تدفعني الى الساحل ، حتى خرجت سالماً • هكذا أخبر، والعهدة عليه •

وقد اجتمعنا بالرجل صاحب الترجمة مراراً ، وزارنا مراراً ، فهو في غاية ما يكون من حسن الخلق والسخاء وكثرة العبادة • وقد ظهر ببلاد عينتاب[3] طالب علم وقعت بينه وبين صاحب الترجمة فتنة سنذكرها في

---

(١) في الأصل : صحيحا •
(٢) في بلاد الشام سبع قرى باسم « بيرة » ، لعله يقصد غيرها جميعا ، وإنما هي موقع داخل حلب أو حولها •
(٣) أو « عين تاب » قلعة حصينة بين حلب وإنطاكية • استولت عليها الحكومة التركية والحقتها بأراضيها •

في ترجمته ؛ فان اسمه مصطفى . وكان مرِض الشيخ إخلاص ، فتحول الى مقام الخليل بالصالحين ، فعدناه فقال : أشهد الله وأشهد ملائكته وأشهدكم أنني إن طبت من هذه العلة لا أذهب الى المكان الذي عمره لنا الوزير . بل أستمر ها هنا حتى يأتينا الموت ، وقرأ الفاتحة . فلما نجاه الله نسي عهوداً بالحِمى ، وعاد الى ما كان .

وله في كل سنة أيام الشتاء خلوة عامة ، يجتمع إليها المريدون ، فيصومون ثلاثة [أيام][1] ، ويأكلون عند المساء مقدار أوقيتين من الحريرة[2]، ورغيفاً من الخبز أكثر من أوقية ، ولا يشربون الماء القراح، بل يشربون القهوة . ويستمرون في الذكر والعبادة آناء الليل وأطراف النهار . وأما باقي الأيام فيقومون[3] سحراً ، ويتهجدون على قدر طاقتهم . ثم يأخذون / في الذكر الى وقت الاسفار . ثم يصلون الصبح، **٦٢** لكون الشيخ حنفياً . ويقرؤون الأوراد الى ارتفاع الشمس ، ويصلون الاشراق . وهكذا أوقات الصلوات المفروضات يفعلون العبادات .

---

(١) إضافة المحقق ، وربما كانت أكثر ، كالأسابيع والشهور .

(٢) طبيخ حلو يصنع بالدقيق والسمن والسكر ، أشبه بالمامونية التي تصنع بالسميد .

(٣) في الأصل : يقومون .

٤٦ ـ أحمد بن محمد الغنيمي، الخزرجي، الأنصاري، المصري،

محامده المنقولة أنه رب الفضائل المقبولة . تواترت كمالاته تقرأ حديثا وقديما . إنه المختص بجمع المكارم عموما ، حوى هذا العالِمُ العالَم علوما ؛ تعلـمًا وتعليماً ، ومنطوقا ومفهوما ، ومنثوراً ومنظوما. أحكم مادة التحقيق ، وصوَّر التحرير وأتقن أشكال التدقيق ، حتى استخرج ما في الضمير . رفع قواعد العقايد ، وأسس بالبراهين الهندسية كعبة التوحيد . فطاف أجـلّاء النبلاء في حرم فضله حول حِماه المنير ومقامه المجيد . فظهر غرة في وجه الزمان ، ودرة يتيمة ازدان بها عقد الجمان .

قدم حلب قاصداً البلاد الرومية القسطنطينية . فاجتمع بوالدنا . وكنت ، الفقير ، في حجر الطفولية . وأظهر فضائل سنية . وكان ذلك في شرخ شبابه . فكيف وقد امتدت حياته مجتهداً في الاقراء والافادة ؟ فلا شبهة أنه رقي في العلوم ذروة المجد ، وازدادت علومه بمزيد الجد .

وجدت له كتابة على قوله تعالى: « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »[1] حيث قال البيضاوي : « وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة . إلا أن يخص العمل بما يكون مقصوراً على كماله . انتهى » . قال صاحب الترجمة : « الضمير في كماله يرجع الى الانسان ، وهو الظاهر المتبادر والمعني إلا أن يخص العمل المفهوم من

---

(١) الآية : ٣ من سورة العصر : ١٠٣ .

قوله : (وعملوا الصالحات) بعمل ، يكون ذلك العمل مقصوراً على كمال الانسان نفسه ، لا يتجاوزه الى غيره • وحينئذ لا يكون : (وتواصوا بالحق) من عطف الخاص • لأن التواصي ليس مقصوراً على كمال الانسان نفسه ، بل يتجاوزه الى الغير • ويمكن رجوع الضمير الى العمل• ويكون ذلك من قصر الخبري على ما للكلي • فالمراد من قوله : (وعملوا الصالحات) الأعمال الكاملة • إما لتبادرها عند الاطلاق أو من العنوان عنها بالصالحات ، مع المقام أو غير ذلك • فقوله : (وتواصوا بالحق) شامل للكاملة وغيرها • ويجوز أن يكون ما في قوله بما يكون واقعه على الدليل المخصص ، أي يخص العمل بدليل يكون مقصوراً على كمال العمل بأن يدل عليه » •



٤٧ ـ أبو السعود بن محمد شاه الكوراني د(*)

كوكب سحر طلع بديعاً ، وغاب سريعا :

يا كوكبا ما كان أقصر عمره ! وكذاك عمر كواكب الأسحار

ألمعي استرق الخفايا، وأصمعي لبته غوامض المزايا • ثمرة أغصان الرئاسة ، وزهرات أفانين الحماسة • سدد في الفضائل باعاً ، ومد في جنى النواضل ذراعا• فأصابته عين الزمان، ورمته حادثات الدهر بسهام النقصان• فأصابه الطاغون من الجن بالطاعون• فكتب في جريدة السعداء ورقمته أرقام أقلام الأقدار في دفاتر الشهداء • عجلت بقبض روحه أيادي المنون ، إنا لله وإنا إليه راجعون •

قرأ علينا منذ كان صغيراً ، ولازمنا أمداً طويلا • فظهرت آثار فطنته ، فكتب الخط الحسن والشعر المقبول والنثر اللطيف • حتى بهر في كتابة التركي • ولما وقع الطاعون سنة ست وخمسين وألف أدركه الخوف الشديد والهم الزائد • فحمل أنواعاً من الهياكل • وكان يقرأ كل يوم « أحزابا » من الدعوات ، وبالغ في اجتناب المضرات واستعمال الرياضات • فلما قارب انقطاع الطاعون اشتد خوفه ، فهرب من حلب

★ أبو السعود بن محمد الحلبي المعروف بالكوراني ، الأديب الشاعر الفائق • في شعره طلاوة وعذوبة • توفي في حلب سنة ١٠٥٦ ، وأبوه شاعر مثله •
ـ خلاصة الأثر : ١/١٢٣ •

حتى وصل الى إدلب / الصغرى[1] • فأصابه الطاعون في طريق رحلته • ودخـل الى إدلب وهو لا يدرك شيئـا • ففي اليوم الثاني وضع في تخت أروان[2] وبعث به الى حلب • **٦٣**

فمات في الطريق • حتى لم يصل الى حلب إلا وقـد انتفخت جثتـه وأنتنت رائحته ، وتبدلت صورته • ودفن في قبور الصالحين •



(١) إدلب الحالية هي ادلب الصغرى •

(٢) أصل الكلمة « تخت روان » ، هو المحمل الذي يجلس فيه الأمير ، ويحمله اثنان أو أربعة . مؤلفة من « تخت : سرير » و « روان : راكض » (فارسية) •

٤٨ ـ إسماعيل الألطونجي (*) الحنفي

قرن العمل بالعمل • وعجبت من أناته حتى أعرض في البحث عن برهان الجدل • سكينته لا تفارقه ، ولو كان في غير التلاوة • ووقار يحن إليه مطمئنة النفوس • ودثار آداب يقال فيه لاعطر بعد عروس • مقتصراً على خويصة نفسه ، حريصا على أن يكون يومه خيراً من أمسه • تجرد بمزيد العزم ، وتوحد بمديد الحزم ، على طرق باب الاستفادة ، وفتح باب الافادة، متميزاً بهذا الحال زمناً طويلا • فما برح الثناء عنه جميلا •

لازم في مبادىء الطلب على أحمد أفندي الكواكبي مفتي حلب • فطول في المطول ولم يختصر على المختصر ، وسمع دروسا متعددة في الفقه والنحو • ولما مات أحمد أفندي الكواكبي شرع في القراءة على أبي اليمن أفندي ، فقرأ عليه « شرح المواقف »[١] • وكان يسمع قراءة التفسير الشريف ، وكتبا متعددة في الفقه • ثم لما مات أبو اليمن أفندي أكب على إفادة الطلبة المبتدئين والمتوسطين • وكان تولى تدريس المدرسة التي بناها أحمد باشا مطاف زاده، وجعل لمدرسها في اليوم عشرين عثمانيا • والعجب من قلة إنصاف القضاة ، أنه كان المذكور عالما صالحا شيخا مُعمراً ،

★ « الطون » أو « التون » بالتركية المغولية : الذهب و « جي » علامة النسبة للحرف • والألتونجي : حرفة صناعة الأسلاك الذهبية وتجهيزاتها للتطريز والتزيين وزركشة العباءات • وقد انفردت هذه الأسرة بالصناعة الذهبية منذ أكثر من خمسة قرون ، آخر أصحابها والد المحقق • وقد توقفت الآن ، بعد أن وضعت آلاتها في متحف المطبخ العجمي (انظر مقالتنا عن هذه الحرفة في مجلة عاديات حلب عام ١٩٧٧) •

ولدى مراجعتنا في شجرة النسب لم نجد لاسماعيل ذكراً • ذلك أن شجرتنا ليست قديمة ولم تحط بكل الأعلام •

(١) كتاب « المواقف » في علم الكلام لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي • توفي سنة ٧٥٦ •

لا وظيفة له أصلا • وكان كاتبا[١] بخان المدرسة بجانب المدرسة، يقرىء الدروس احتسابا لله عز وجل • وكانت[٢] بيد الشيخ علي الرسام • فلما مات طلبها المذكور، فأعطاها القاضي للقاضي عبد الرحمن بن أبي الجود أفندي[٣] ، مع قلة علمه فكان يحضر المدرسة للتدريس •

وكان صاحب الترجمة فقيهاً له ، فيقرر هو الدرس ، والمدرس يقول : نعم • ثم مات عبد الرحمن أفندي ، فتولاها الشيخ حجازي البيلوني • ثم مات فتولاها الشيخ محمد البيلوني[٤] ، ثم مات فتولاها المذكور بالشفاعات والرُشا • فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم •

ولما كان طاعون سنة ست وخمسين وألف كان صاحب الترجمة ملازما على الخروج الى المقابر وتعزية أولي المصائب • حتى طعن[٥] في رأس إصبعه ، كما طعن أبو عبيدة بن الجراح ، كلاهما على هيئة واحدة ،حتى انتقل بالوفاة الى رحمة الله عز وجل • وبه ارتفع الطاعون • وأوصى أن لا تعلنوا في المنارات بموتي ، ولا تأخذوني الى الجامع الكبير • بل صلوا على جنازتي تحت القبو في محلة بانقوسا • وفرغ عن وظائف جزئية لابنه ، ولم يفرغ عن التدريس • وقال : فوضتها الى سادتنا •

مات سنة ست وخمسين وألف ، وعمره جاوز الستين •

---

(١) في الأصل : كاتب •

(٢) يعني المدرسة •

(٣) هو زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد السلام بن أحمد البتروني ثم الطرابلسي ثم الحلبي الشافعي ثم الحنفي الإمام العلامة الصوفي • واعظ حلب ووالد مفتيها الشيخ أبي الجود • قرأ على الشيخ علوان الحموي وعلى غيره • له نظم في بعض العلوم • توفي سنة ٩٧٧ •
ـ شذرات الذهب : ٣٨٣/٨ •

(٤) محمد بن محمد بن حسن شمس الدين أبو البركات ، البابي الأصل الحلبي ، الشهير كأبيه باسم ابن البيلوني • توفي بمنبج سنة ٩٣٥ ، وهو دون الأربعين •
ـ الكواكب السائرة : ٨/٢ •

(٥) أي أصيب بالطاعون •

٤٩ ـ إسماعيـل الكُلْشني(*)

خليفة الطائفة الكلشنية · أوتي مزماراً من مزامير آل داود· وصار سمير العبادة والزهادة ، والركوع والسجود · تستحلي حلاوة تلاوتــه الأسماع ، وتهش الى رؤياه لصباحة محياه الطباع · نشر أعلام طريقته، وشاد معالمها ، وشهر ألحان جماعته ، وأقام مواسمها · حتى غدت جوامع مزية[1] الجوامع مصابيحها ، ومحاسن سيرتهم لمعالم الخيرات مفاتيحها · مجوداً للقراءة ، فلا ترى في كلماته الصادرة منه معجما ، ولا في حروفه مهملا · وهذا من العجب لكون القرآن الى كل منهما منقسما ، مع ارتقائه فيمعارج الكمال ومصابرته على إحياء معاهد النوال·ومثابرته على نشر المسايل الفقهية للرجال والأطفال ·

٦٤ نشأ في العبادة والتقوى منذ كان طفلا · واستمر على / حاله ولدة شابا وشيخا وكهلا · قرأ علينا في « المصابيح » للامـام البغوي[2] مـدة

★ ذكره المحبي موجزاً فقال : « خليفة الطائفة الكلشنية بحلب · كان من الخيار توفي ١٠٧٦ » · ونقل الطباخ كلام العرضي كاملا وأضاف في الخاتمة جملة واحدة « وأقام في حلب الى أن توفي · وكانت وفاته في سنة ست وسبعين وألف » ·

ـ خلاصة الأثر : ٤١٩/١ ·

ـ إعلام النبلاء : ٣٤٣/٦ ·

(١) كذا قرأناها ·

(٢) مصابيح السنة للامام حسين بن مسعود الفراء البغوي ، توفي سنة٥١٦ · ضم في كتابه أكثر من أربعة آلاف حديث · اعتنى به العلماء بالقراءة والتعليق والشرح (كشف الظنون) ·

مديدة . ثم استجازنا فأجزنا له ما يجوز لنا وعنا روايته . وقرأ على النجم الحلفاوي في النحو وفي الفقه مدة طويلة .

وكان أولا من المريدين للكلشنية . وكانت زاويتهم أول من أصلحها، وأنشأ هذه الطريقة في الديار الحلبية درويش رجب . ثم إنه فعل أوضاعا مذمومة . ثم تولى المشيخة رضوان داده . فجلس مدة ، ولم يقبل الناس عليه . ثم أدركته الوفاة . ثم قدم صاحب الترجمة مجازاً من الديار المصرية من صاحب السجادة ؛ أحد أعيان ذرية الكلشني ، قدس الله سره العزيز . فوجده الناس ذا هيئة حسنة وشكل حسن وقراءة حسنة مجودة . فانه قرأ على الشيخ عبد الرحمن اليمني[1] ؛ أحد أئمة القراءة في الديار المصرية .

وكان صاحب الترجمة يقرأ بالألحان وأوزان الأنغام من غير أن يخرج الحروف والكلمات عن حقوقها . فاستحلى جميع الناس قراءته . وكانوا في ليالي شهر رمضان يأتون إليه من نواحي حلب للتلذذ بسماع قراءته مع المحافظة على الدين والشريعة . ويعرف الفقه معرفة لا بأس بها ، وبعض شيء في النحو . ويقرىء المخاديم الصغار القرآن بالتجويد، ويعلمهم مقدمات الفقه ، ويعلمهم اللسان الفارسي ، مع ضبط فقراته ، بحيث إن غالبهم محافظون على الشريعة .

وكان لا يموت أحد من الأعيان وغيرهم إلا أحضروه ، يذكر أمام الجنازة تبركا به ، ويعظمونه ويعطونه أكثر من غيره . وكان يقسم ما يأتيه على من خرج معه على السوية ، حتى إنه يأخذ مساويا لهم ،

---

(١) عبد الرحمن بن شحاذة المعروف باليمني الشافعي شيخ القراء في زمانه . ولد بمصر وبها نشأ وقرأ . ولد سنة ٩٧٥ وتوفي سنة ١٠٥٠ .
ـ خلاصة الأثر : ٢/٣٥٨ .

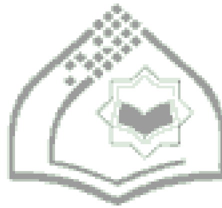
بخلاف غيره من المشايخ ، فانه لا يرضى بأن يستقل بالنصف مما جاءه . ويرسل له الأكابر الاحسانات، فيبذلها للمريدين، ولا يختص بها . وصار لزاويته بعض خيرات وصدقات ، حتى انتظم أمرها .

ويقيم حلق الذكر ليلة الجمعة ، فيقرأ مع الجماعة سورة « تبارك » على أسلوب لطيف تستحليه الناس ؛ أرباب الأذواق السليمة . ثم يذكر مع القوم على أسلوب حسن مع الرضا بالقناعة . ثم إنه لما مات شيخه في مصر توجه الى مصر ليأخذ البيعة على الشيخ الجديد . فقدر الله أن الجديد مات وهو في خلال الطريق ، وتولاها غيره . فحضر صاحب الترجمة فعظموه وأجلوه وأعطوه إجازة أيضا . فرجع عزيزا جليلا .

وابتلي في الطاعون بموت ابن له ، فصبر واحتسب[1] .



(1) أضاف الناسخ ، وبخط ديواني ، قوله : « انتقل الى رحمة الله تعالى بعد المؤرخ في سنة ست وسبعين والف » ، أي بعد موت المؤلف بخمس سنوات ، ولعله آخر من ترجم له .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حرف البـــاء




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

/ ٥٠ ـ بدر الدين بن حسن السعدي الجَباوي

نسبة الى « جَبا » ؛ قرية من أعمال دمشق · الدمشقي السعدي الشافعي من ذراري الشيخ سعد الدين المشهور بالولاية · ثمرة التوحيد والأذكار ، وفرع أصول الأسرار · زهرة حدائق الهداية ، وعَرف فراديس الحقائق والولاية · جمان تيجان الاعتقاد ، يتيمة قلائد الرشاد والارشاد · من دُكت جبال وجوده ، حينما لاحت له أنوار شهوده · حين خرَّ صعِقا · وصار من موارد الغرام قلقا ، وانبجست راحته من العشق عرقا · المشرق صبح صباحته ، والمسفر مع الفاقة فجر سماحته · موطن الصلاح ، ومعدن النجاة والنجاح ·

قدِم حلب مرارا ، مقتفيا أثر الأشياخ ، في ضرب السيادة بالأعلام والمريدين · ونزل في مسجد بمحلة باب قنّسرين · وكان يقيم حلق الذكر بالجامع الكبير ، ويتساقط المريدون الى الأرض من الوجد والغرام ، ويأتيه أرباب العاهات نحو المكسّحين الى مجلس الذكر لحصول الشفاء من حسن الاعتقاد · وفي الحقيقة ما كان يُبرىء المكسَّحين · فان الفقير تقصّدت هذا الأمر ، وتفحّصت عنه فوجدته لا أصل له · وإنما لحسن العقائد يقصدونه بذلك · والفقير ممن يحب هؤلاء الطائفة · إلا أن قول الحق أحق بالاتباع ·

وكان إذا دخل حلب يدخلها بالذكر والصُّراخ والأعلام ، ليشتهر أمره · ولعل نيته تكون خيراً إن شاء الله · ولقد ذهبت للسلام عليه

مراراً ، مراعاة لحق القدوم . فوجدته شيخا صالحا كبيراً ، مُشرق المحيا ، من خيار عباد الله الصالحين . يكتب للأطفال التمائم بخطوط لا تُقرأ . وكان عاريا عن العلم .

توفي ببلاده دمشق سنة ست وثلاثين وألف ، وعمره نحو سبعين سنة . وكان مسكنه بدمشق في محلة الشاغور[1] .



(١) محلة مشهورة عبر التاريخ بدمشق . وتقع قرب الباب الصغير في ظاهر المدينة قديماً (ياقوت) . واليوم دخلت في المدينة ، وما زالت أشهر الأحياء الشعبية في العاصمة .

٥١ ـ بدر الدين بن علي

المعروف بابن الصابوني / الحريري، لأنه كان يبيع الحرير بباب ٦٦ جامع حلب الكبير، في مبادىء عمره . الشافعي، القادري . ذو المحاسن العطرة، والمحامد المنتشرة، والفضائل المشتهرة، والكمال الباهر والذكاء الباهر . جدّ في التحصيل، وكد في إعراب الاجمال والتفصيل. فلم يرقد في مهاد العُطلة، ولم يستقر في بيوت الدعة والعزلة . بل اتخذ حرم الأشياخ مطافا، وجعل مقام الأساتذة اعتكافا . واعتزل الراحة وجاء في حلبة الاستراحة . معانقا للفاقة، متجرعا كأس الصبر يستحلي مذاقه . الى أن جاز الملكات، واستظل بأفياء الأمن من الهلكات . ففاجأه الحمام، وأنشب أظفاره فيه ذلك الضرغام .

قرأ على الشيخ فتح الله المشهور بشحيطة زمانا طويلا . ثم على أحمد أفندي الكواكبي مفتي الحنفية بحلب . ثم لازم الشيخ الوالد، فقرأ عليه « منهاج الأصول »[١] للبيضاوي، و« شرح النخبة الحديثية »[٢] و « شرح الشمسية »[٣] . ثم أعادها عليه مع قراءة حاشية السيد عليه .

---

(١) منهاج الوصول الى علم الأصول، مختصر للقاضي ناصر الدين البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥ .

(٢) لعله « نخبة الفكر في مصطلح اهل الأثر » متن متين في علوم الحديث للحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ .

(٣) الشمسية : متن مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي تلميذ نصير الدين الطوسي، المتوفى سنة ٦٩٣، ولها شروح كثيرة أبرزها للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، وفرغ منها سنة ٧٥٢ ببلدة جام (كشف الظنون) .

والعجب من كرامات والدنا أنه كتب في بعض مجاميعه أن الشيخ بدر الدين قرأ علينا شرح الشمسية ، واعتنى باقرائه له ، مع أنه كان من صغار طلبته · وما كتب عن أحد قبله ذلك · فما مضت مدة قليلة حتى توفي صاحب الترجمة · فعلمنا أنه ما كتب ذلك إلا لأنه كشف له عن قرب موته ·

مات سنة اثنتين وعشرين وألف ، وعمره نحو الأربعين سنة ·



٥٢ ـ باكير باشا

باش دفتردار[1]. حسنة الدولة العثمانية، وشرف الجلالة السلطانية. مستعبد الأحرار بمحاسن الايثار ، مهدي أوانس وده ، ومبدي نفائس رفده . مطلق ألسنة المدح فيه من عقالها ، ومقيد أعناق الطالبين بقلائد محامد ذاته ونوالها . ما أمه محروم إلا رحمه ، ولا ذليل إلا أكرمه ، ولا وضيع إلا احترمه ، ولا كسير إلا جبره ، ولا مذنب إلا أقاله ، ولا طالب إلا أجاب سؤاله . فانعقدت القلوب على حبه ، وانتظمت الأصاغر والأكابر في قلائد صحبه .

ثم اختار الله له الشهادة، وعوضه عن نفيس نفسه بالحسنى وزيادة. فنهشه[2] أفعى الطغيان ، ودبت عليه عقارب العدوان . وافترسه ذئب الجور لا لذنب جناه ولكن لهدم دنياه ، وتعمير آخراه .

قدم حلب مراراً ، وهو باش دفتردار ، آخرها في صحبة الوزير الأعظم خسرف باشا . وهو معه كالعبد في قبضة السيد الجائر . ليس عنده ولا كلمة واحدة نافذة . وكان يقصده الناس فيعتذر : بأني عاجز، وأنا في قبضة الوزير . وكان في مَقدمه السابق منهل الجميل ، مورد الاحسان . يتلقى بالقبول مصالح الخاص والعام . وكان بابه أعذب

---

(١) أي رئيس الديوان الأعلى .

(٢) جعل « الأفعى » مذكرة ، وهي مؤنثة مذكرها « أفعوان » . وكان الصواب أن يقول : نهشته .

الموارد ، الكثير الزحام ، وصار في زمن خسرف باشا أفرغ من حجّام ساباط[1] .

وكان مجتهداً على مصالح العساكر ، خائفاً من الوزير أن يقتله . لا ينام الليل والنهار . فلما وصل الى قريب ديار بكر أحضره الوزير ، ونسب إليه ثلاثة أمور الأول أنه اشترى عقارات ابن سيفا وابن معن[2] بثمن قليل ، وهذا غدر لمال السلطان . فأجابه بأنه حيث سمحت السلطنة ببيعها للعدو الأجنبي ، فكيف لا يسمحون لي إذا اشتريتها من غيرهم ، وقد خرجت عن ملك السلطنة ؟

الثاني أن معه جواري في السفر يجامعهن، مع أن الأمر أهم من ذلك . فأجاب : بأني أخاف من معصية الله عز وجل ، فاني لا أصبر على ترك الجماع ، مع أن ذلك لا يعيقني عن المهمات . الثالث : أنه يذهب أحيانا للصيد ، ونحن في الاهتمام بلقاء العدو . فأجاب: بأني أنزه نفسي أحيانا لشدة ما أقاسي من معالجة الأموال السلطانية .

وبيت القصيد أنه كتب مكتوبا للسلطان خفية أن خسرف باشا يكثر من إراقة الدماء ، ولا يستشير أرباب العقول في مُهمات الأمور ، وهو مخل بالنصر يسد به باب الفتح . فعند ذلك أمر به فسجنه ببعض القلاع / ، ثم بعث من خنقه .

٦٧

ومات مظلوما شهيداً سنة تسع وثلاثين وألف ، وعمره نحو سبعين سنة .

---

(١) هذا مثل مشهور « أفرغ من حجام ساباط » . فقد كان بساباط المدائن حجام يحجم أهل البعوث الى أن يقفلوا ، وكان يفرغ الأسبوع والأسبوعين ، فيخرج أمه فيحجمها ليُرى أنه مشتغل حتى أنزف دمها فماتت . وقيل رأي آخر .
ـ المستقصى : ١/٢٧٠ .

(٢) الأول أمير طرابلس والثاني أمير جبل لبنان .

٥٣ ـ باكير بن ٠٠(*) الرهاوي

المشهور بخوجه باكير ٠ توشح بحلل العفة المذهبة ، وترشح للرفعة بعسجد استقامة سكبتها يد التصاريف المجربة ٠ فنفى الضّعة بالسّعة ، ووطىء بعد الخمول هام الرفعة ٠ وسمقت به مداناة الحكام، الى أن صار رابطة النقض والابرام ٠ لا داعي الى مزيد عفته ، وحسن وجود سيرته ٠ وتجافيه عن النفاق ، وإن كان ضرس الأخلاق ٠ وكلما تشنج جلده شب وجْده وجدّه ٠ وكلما طارت شرارات مَشيبه ، طالت آماله في رغبته في الدنيا وترغيبه ٠ حريصا على اقتناص آوابد الأموال ، مكداً في تشييد العقارات ، وإن هدمت أركان قوى جسمه معاول الآجال ٠

صار كتْخُدا محمود باشا كافل الديار الحلبية ٠ فلما وجد حلب كثيرة الربح والتجارة ، اتخذها وطناً ٠ وحظي بتزوّج بنت الخواجا أحمد بن حطب ، ذات الأوقاف والأموال ٠ فداخل الحكام ، يهاديهم ويخدمهم ، ويجلب لهم النفع ، ولا يحتاج إليهم ٠ ويقول الحق ، ولا يقبل هدية حتى صار مقبولا عند الوزير الأعظم نصوح باشا ٠ فاعتمد عليه في أمور كثيرة ٠ فصارت كلمته نافذة ٠ وقَبِله غالب حكام حلب ٠

وفي أيام خموله كان بيده دكاكين وبساتين من أوقاف بني حطب للناس عليها خلوٌ عرفيٌ ، القائل به بعض أئمة الحنفية ٠ فنزع يد أصحاب الخلوات قهراً ، وبذل لبعض من يحترمه مالا في مقابلة ذلك ، هذا عند ارتفاع كلمته ٠ ولقد بعث إليه الخواجا منصور بن الأريحاوي جِراراً من حليب على سبيل الهدية ، فصبها على رأس من جاء بها ٠

★ بياض في الأصل ٠ والرهاوي نسبة الى بلدة الرها ٠

وسبب ذلك أن ابن الأريحاوي كان له بعض تخبيطات في الدعاوى. وكان صاحب الترجمة يصدع بالحق على ما يظهر له. وربما أصر على الخطأ. فانه كان أمياً . وجرى لوالدنا معه كرامة أنهما حضرا وليمة عرس مع جميع أعيان البلدة . فدخل صبي أمرد في بيوت القهوة يسقي القهوة . فناول الوالد الفنجان . فقال له الوالد : ضعه في الأرض . وكان هذا من عادة الوالد ، يأمر الساقي ، إن كان ذا لحية أم أمرد ، بوضع الفنجان بين يديه، ولا يتناول منه. فظن صاحب الترجمة أن ذلك لكراهة التناول من يد الأمرد . فقال له : يا مولانا ، ما أحسن القهوة السوداء من اليد البيضاء ! فقال له الوالد ، زاجراً له : ما بقي يصلح لي ولك إلا القبر .

فقدر الله أن الوالد مات بعد مدة قليلة ، ثم تلاه في الموت صاحب الترجمة . وكان المذكور لجاهه لا يستطيع أن يواجهه أحد بمثل هذا الكلام .

مات سنة خمس وعشرين وألف ، وعمره نحو تسعين سنة . ودفن بالقرب من داره داخل باب النيرب . رحمه الله كان من محاسن حلب .

٥٤ ـ بهاء الدين بن حسين العامليُّ الشيعيُّ(*)

مفتيُّ شاه عباس سلطان العجم • مَن أودع أفنان الفضل فنوناً • وقرأ وأقرأ شروحا ومتونا ، فأكحل للتحقيقات جفونا ، وأقر للتدقيقات عيونا • بوبته المعالي أفتح رحابها ، وبوأته المعالي أوسع جنابها • قد ارتاح ببدع الشيعة ، واقتحم مناهجهم الشنيعة ، فصار قائد كتائبها ، وسائق جنائبها • غير أن الانابة قلبية ، والتوبة حقيقتها سرِّية ، ومن مذاهبنا النقية ما يسمونه التقية ، المشار إليه في القرآن ، إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالايمان • فلعله حين حنا الدهر صعْدته ، وشعل المشيب ناصيته ، أسف على ما سلف ، وعض الكف على ما أتلف • أو لم يكن به هذا الداء العضال أصلا، ولا تركَّبت ذاته منها فرعا ولا أصلا، ولا جنسا ولا فصلا • حاشاه أن يكون كالشمع يضيء للناس ، ويحرق نفسه بالنبراس •

وبالجملة فهو من أكمل العلماء تحقيقا،وأسبقهم في مضمار الفضائل تدقيقا • والرجاء من الله أن يكون مع الذين أنعم الله / عليهم من النبيين ٦٨

★ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي بهاء الدين • عالم أديب إمامي • له شعر لم يجمع• ولد في بعلبك سنة ٩٥٣ ، ثم انتقل الى إصفهان فولاه شاه عباس رياسة العلماء • ثم انتقل الى مصر وزار القدس ودمشق وحلب ، وعاد الى إصفهان حيث توفي سنة ١٠٣١ • أشهر كتبه « الكشكول » وهو تتمة لكتابه « المخلاة » • وله كتب كثيرة أخرى بعضها مطبوع وبعضها مخطوط •

ـ خلاصة الأثر : ٣/٤٤٠ •

ـ الذريعة : ٣/٢٩ •

والصديقين والشهداء والصالحين ٠ وحَسُن أولئك رفيقـا ، ولا يكون خصمه في عرصات القيامة صديقا وفاروقا ٠

قدم حلب مختفيا في زمن المرحوم السلطان مـراد[1] طالبا للحـاج الشريف ، مُغيراً صورته على صورة رجل درويش ٠ فحضر درس الشيخ الوالد ، وهو لا يظهر أنه طالب علم ، حتى فرغ من الدروس ٠ فسأله عن أدلة تفضيل الصديق على المرتضى[2] فذكر حديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر » ، وأحاديث مثل ذلك كثيرة ٠ فرد على الشيخ الوالد ثم أخذ يذكر أشياء كثيرة تقتضي تفضيل المرتضى ٠ ثم إن الوالد شتمه وقال له : رافضيٌ شيعيٌ ! وسبه فسكت ٠ ثم إن صاحب الترجمة أمر بعض تجار العجم أن يصنع وليمة ، ويجمع فيها بين الوالد وبينه ٠

فاتخذ الخوجه فتحي وليمة ، ودعا الوالد ودعاه فأخبره أن هذا هو المنلا بهاء الدين عالم بلاد العجم ٠ فقال للوالد : شتمتمونا ٠ فقال له : ما علمت أنك المنلا بهـاء الدين ، ولكن إيراد مثل هـذا الكلام بحضور الأعوام لا يليق ٠ ثم قال للوالد : أنا سني أحب الصحابـة ، ولكن كيف أفعل[3] ؟ سلطاننا شيعي ويقتل العالم السني !

وكان كتب قطعة علـى التفسير باسم شاه عباس ٠ فلمـا دخل بلاد السنة قطّع الديباجة[4] وبدلها ٠ وذكر أنه كتب ذلك باسم السلطان مراد

---

(1) السلاطين العثمانيون المسمون « مراد » خمسة حكم أولهم سنة ٧٦١ وآخرهم ١٢٩٣ ٠ والمقصود به في النص هو مراد الثالث بن سليم الثاني الذي حكم من٩٨٢ ـ ١٠٠٣ ٠ ـ تاريخ الدول الاسلامية : ٢/٤٥١ ٠

(2) يعني الإمام علي (رضي) ٠

(3) هذا غير صحيح ، لأنه استمر على مذهبه طوال حياته ٠

(4) الديباجة : المقدمة ٠ كلمة فارسية معناها قطعة الحرير المزخرفة ٠

وقال للوالد : أخاف أن يطلع علي أمراء الدولة ، فجعلت الديباجة باسم السلطان مراد، حتى إذا سألوني أقول : أنا هربت من الشاه الى السلطان. وإذا لم يسألوني أتوجه الى الحج ، ثم أعود الى بلاد العجم .

ولما سمع بقدومه أهل جبل بني عامل[1] تواردوا عليه أفواجا أفواجا . فخاف أن يظهر أمره ، فخرج من حلب . ولما دخل الى مصر المحروسة اجتمع بالشيخ الولي العلامة محمد البكري ، قدس سره . فبالغ البكري في تعظيمه . فقال له : يا مولانا أنا درويش فقير ، كيف تعظمني هذا التعظيم ؟ قال : شممت منك رائحة الفضل .

ولما ذهب خضر أفندي[2] رسولا من جانب السلطان أحمد[3] ذكر للشاه أن أهل السنة يعترضون عليكم في تحريم طعام النصارى واليهود ، مع أن ذلك مخالف للنص، وهو طعام« الذين أوتوا الكتاب حل لكم »[4]. فقال الشاه للمنلا بهاء الدين : أعط الجواب . فكتب رسالة كنت ـ الفقير ـ رأيتها ليلة واحدة . ثم صبيحة يومها سافر مالكها ، وأخذها متضمنة ديباجة حسنة، وتعظيم الشاه فيها. وذكر أنه العباس الحسيني[5] الصفوي الموسوي . ولم نعهد أن الشاه شريف . وذكر في الديباجة أن

---

(١) جبل عامل : تلال في لبنان الجنوبي تمتد من ضفة الليطاني اليسرى الى الحدود الفلسطينية . وقد خرّجت المنطقة عدداً مرموقاً من العلماء .

(٢) هو خضر بن حسين المارديني سبط الهندي شارح الكافية . تضايق منه الوزير في مقام السلطنة فأخرجه من قسطنطينية وبعث في الطريق من خنقه . كان عالما عارفا ذا خط حسن . وله شعر على نمط تائية ابن الفارض . توفي سنة ١٠٢٢ . ـ خلاصة الأثر : ٢/١٢٩ .

(٣) هو السلطان أحمد الأول بن محمد الثالث حكم من ١٠١٢ ـ ١٠٢٦ .

(٤) تمام الآية : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم .. » الآية : ٥ من سورة المائدة : ٥ .

(٥) في الأصل : الحسني ، ولعل الصواب ما ذكرناه لأنه « موسوي » أي منسوب الى الإمام موسى الكاظم . و « الصفوي » أي المنسوب الى صفي الدين الأردبيلي العارف .

لا دلائل تفضّل المرتضى على أبي بكر وعمر ، مما لا شبهة في قوتها • وإنه لا مناسبة بين المرتضى وغيره •

ثم أخذ يتمحل[1] للأجوبة عن الاعتراض بطعام أهل الكتاب • ورأيت له مع بعض الشيعة مؤلفا صغيراً في النحو اختصر فيه « الكافية » • وكان أراد أن يكتب تفسيراً على القرآن العظيم • سمعت أنه سماه « الحبل المتين في مزايا الفرقان المبين »[2] • ولكنه كتب منه قليلا ، وما أتمّه • ودخل عليه رجل ذو صوت حسن • فقال : أسمعنا من كلام زين العابدين بن الفارض[3] ، فأسمعه • فلما فرغ قال[4] : حيف يكون هذا اسمه عمر • وقال الشاه لخضر أفندي : تفتخر بلاد العثمانية بالعرضي[5] ، حيفٌ يكون اسمه عمر ! ودخل إليه بعض فضلاء السنة فأوهمه أنه شيعي مثله • فقال بهاء الدين : « رب اغفر لي ولوالدي ، ولمن دخل بيتي مؤمنا » يلوّح له أن المراد أهل بيت رسول الله ، وبقوله : « مؤمنا » الى الشيعة • فانهم يسمّون أنفسهم بالمؤمنين •

---

(١) يتمحل في الشيء أو الشيء : يحتال في طلبه •

(٢) مخطوط طبع بعضه ، للعاملي ، وورد اسمه « ... القرآن المبين » •

(٣) عمر بن علي بن مرشد ، الحموي الأصل المصري المولد والوفاة • أشعر المتصوفين ، يلقب بسلطان العاشقين • كان أبوه يثبت الفروض للنساء على الرجال بين أيدي الحكام فغلب عليه لقب « الفارض » • اتجه ابن الفارض الى كتب الدين منذ نشأته وتزهد ، وزار الحجاز • نظم شعره في حال العزلة • اختلف الناس بشأنه بين الكفر والايمان العميق • شرح شعره كثير من الشراح ، وأغلبهم في العصر العثماني كالنابلسي • توفي سنة ٦٣٢ •
ـ وفيات الأعيان : ١/٣٨٣ •
ـ لسان الميزان : ٤/٣١٧ •

(٤) في الأصل : فقال •

(٥) أبو المؤلف •

وللمنلا عبد الرحمن الجامي[1] قصيدة فارسية ، فيها بعض [أبيات] عربية ، منها قول الجامي :

فاح نشر الصبا وصاح الديكْ

فنظم بهاء الدين على أسلوبها بالعربية الخالصة ، فقال :

يا نديمي بمهجتي أفديك قم وهات الكؤوس من هاتيك
خمرة إن ضللت ساحتها فسنا نور كأسها يهديك
يا كليم الفؤاد داوِ بها قلبي المعنىّ ، لكي تشفيك
فهي نار الكليم فاجتلى بها واخلع النعل واترك / التّشكيك

69

صاح ناهيك بالمُدام تَدُمْ في احتساها مخالفاً ناهيك
لست أنساه إذا أتى سحراً وحده وحده بغير شريك
طرق الباب خائفاً وجلاً قلت : من ؟ قال : كلُّ مَن يرضيك؟
قلت : صرِّح ، فقال : تجهل مَن سيف ألحاظه تحكّم فيك !
بات يسقي وبتُّ أشربها قهوة تترك المُقِلَّ مليك
ثمّ جانبته الرَّضاء[2] وقد خامر الخمر طرفه الفتيك

(1) شاعر وكاتب ايراني مشهور ، ولد في خراسان سنة ٨١٧ وتوفي في هراة سنة ٨٩٨ ، رافق أباه الى سمرقند وتعلم علومه الدينية هناك ، حج فمر بدمشق ، من آثاره : ديوان فارسي ـ مثنوي فارسي ـ نفحات الأنس (نثر) ـ شواهد النبوة (نثر) ،
ـ فرهنك معين : ٤٢٣/٥ ،
ـ الشقائق النعمانية : ١٥٩ ،

(2) تفضل رواية الكشكول : ١١٠/١ : ثم جاذبته الرداء ،

قال : ما تريد ؟ فقلت[1] له : يا منى القلب ، قبلة من فيك
قال : خذها ، فمذ ظفرت بها قلت : زدني . فقال : لا وأبيك
ثم وسّدْته اليمين الى أن دنا الصبح قال لي : يكفيك
قلت : مهلا . فقال : قم فلقد فاح نشر الصباح ، صاح[2] الديك

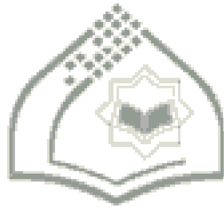
توفي تقريبا سنة ثلاثين وألف في أصفهان .



(١) في الأصل : قلت .
(٢) هذا العجز تضمين . فهو ليس له ، إنما هو للشاعر الجامي .

حـرف الجيـم




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٥٥ ـ الشيـخ جابـر المرْتَحْواني (*)

جابر بن محمد المرتحواني ، من قرية « مرْت احوان » من أعمال معرة مصرين[1]. له شعور بالأشعار، وإلمام بمحاسن المحاضرات والأخبار، ودراية بالفرائض وعراية عن فهم الغوامض . فتيق اللسان ، جريء الجنان ، لم يزل يلبل لسانه بالشعر مغرداً ، ولسان يراعه في مجامع الدفاتر منشداً . كلفَ بالفضل كلفَ النشوان ، وتعطش الى الأدب تعطش الظمآن ، خدم العلماء بقصيدته المنظومة ، راجيا منهم التغافل عن عقيدته المذمومة .

اشتغل بمقدمات العربية على الشهاب أحمد بن المنلا[2] ، وعلى ولديه : الشمس محمد والبرهان إبراهيم، وقرأ في الفرائض على الشيخ إسماعيل المصري ، كما أخبرني .

ورُمي بانحلال العقيدة كأكثر أهل الجبل الأعلى ، وصودر مع أهل قريته بسبب ذلك مراراً .

★ مرتحوان أو مرت أحوان : قرية من نواحي حلب ، ذكرها ياقوت .

(١) معرة مصرين : بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها . بينهما نحو خمسة فراسخ

(٢) أحمد بن محمد بن علي الشيخ شهاب الدين أبو العباس الحصكفي الأصل الحلبي المولد والدار . ولد سنة ٩٣٧ ونشأ في كنف أبيه . له مؤلفات منها : « منتهى أهل الأريب من الكلام على مغني اللبيب » طبع في تونس منذ عهد بعيد .
ـ إعلام النبلاء : ١٣٨/٦ .

أحضر حكام حلب أهل بلاده ـ وهو في صحبتهم ـ قادحين في عقيدتهم فيورد هو عبارة النسفي[1] في عقائده ويقرأ : « قل : هو الله احد » ، ثم إن الحكام يأخذون منهم مالا ويتركونهم ، وكان كثير من الأكابر يُخرج إذن نكاح على بنت منهم، ولو كانت حقيرة، ويقول : هي زوجتي، فيبذلون الأموال الجزيلة ولا يزوّجون أحداً من غير ملتهم أصلا . حتى لو فُرض أن السلطان طلب منهم بنتا ليتزوجها فيمتنعون .

ولا يوجد منهم أحد يأخذ طريق الصوفية أصلا ، ويحجّ بعضهم . وقد وقفت قديما على بعض كتبهم ؛ يعتقدون إلهيّة الحاكم بأمر الله ، ويسمون محمداً ﷺ بالناطق ، ويأمرون بثلاثة أشياء : بالصدق ، والأمانة ، وترك الضرر لعباد الله، ويكتبون الصدق بالسين ، ويستنبطون له معنى بالسين على مقتضى عقولهم الفاسدة .

ويقولون بالتناسخ ، وإنّ من كان موصوفا بالكمال تنتقل روحه الى جثة طيبة كالطيور ، أو الى جثة إنسان . وإنْ فَشقياً تنتقل روحه الى جثة خبيثة كالكلب ، ويعيبون على مَن حج البيت .

والمذكور ــ على ما سمعنا ــ كان قدوتهم يحلفون به ويقولون : « وحق ما يتلى من الحكمة في بيت جابر » . ويبيحون وطء المحارم. وقد حضر إليّ المذكور وقال : أُشهد الله وأشهدك أنني مؤمن بالله ، معتقد بالجنة والنار . أطلب هذه الشهادة منك يوم القيامة، وإنني أقضي جميع الصلوات الماضية أيام كفري ، والصيام . فقلت : كيف تطأ زوجتك وهي مرتدة ؟ فقال : كبرت وما بقي لي قدرة على الجماع . قلت : هلا

(١) عبد الله بن أحمد ، أبو البركات النسفي الفقيه الحنفي ، نسبة الى « نسف » ببلاد السند بين جيحون وسمرقند . له مصنفات جليلة في التفسير والأصول والفروع .
ـ الدرر الكامنة : ٢/٢٤٧ .
ـ الجواهر المضية : ١/٢٧٠ .

خرجت من بينهم ؟ قال : أخاف القتل . وكان يحضر مجلس وعظي ، فيبكي بكاء شديداً ، وكان افتخر بين أهل ملته أنه لا أعلم منه ، وأنه يقدر على أن يسأل ابن العـُرضي سؤالا يعجز عنه ، ويقصدني ، ولكن من الخوف لا يُظهر نفسه . فجاء رجل بسؤال منظوم مضمونه : ماذا تقول في رجل نادى رجلا آخر ، فقال له : أنت عمي وابن أختي ؟ فقال الآخر له : أنت خالي وابن أخي ، فرددت له الجواب : فيما إذا تزوج الأب بنت هند ، وتزوج ابنه بهند ، واستولد كل واحد ذكراً وقلت له هذه الأبيات :

تعلـَّم مقامات الأفاضل واحتفظْ ... على قدرك الداني فتعفى رسومه

فنحن بني العرضي يختص مجدنا ... بـمثوى فـَخار فيه حلّ عـُمومه

ولا نرتضي / الجوزاء موطنقدرنا ... ومَن كان يرضاها لنا فنلومـُه ٧٠

وإنـّا لأبصار المعالي ضياؤها ... وجوهرُ هذا المجد نحن حسومه

وأقلامنا تفري الحسام بحكمة ... تـُعلـِّم بُقراطاً ، فتنشا علومه

إذا كتبتْ كفُّ السـّهام بهامة ... مذلـَّة قوم والزّمان حميمـُه

كتبنا على وجه الزمان قبائحا ... لخاف وفي سوق الهوان نسومـُه

فيفنى ولا تفنى أحاديث ذَمـّه ... فـانّ لسان الطـّرس منا غريمه

ولا نرتضي الدهر الخؤون كفاءة ... لذاك يعادينا جميعاً قديمـُه

لنا أنفس ، لله طال اشتياقها ... محبـَّتـُه بحرٌ ، ونحن نـَعومـُه

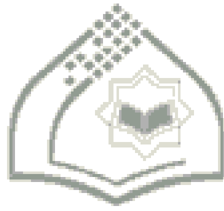
وبالجملة : لنا الظاهر ، والله يتولى السرائر ، ظاهرهم مؤمنون بالله عز وجل ، يصلون ويصومون .

ولما ذهبت دولة ابن معن ، جاء العساكر السلطانية بكتب لهم كثيرة ـ والعياذ بالله ـ كلها صرائح بالكفر ، والاشراك، وإباحة وطء المحارم، والأقاويل الصادرة عمن لا عقل له بالكلية • اللهم إننا آمنا بما أنزلت ، واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين •



حــرف الحــاء




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٥٦ ـ الشيخ حسين العُرْضيّ د(*)

حسين بن عمر العرضي ، أخي من والدي . كوكب سحر طلع بديعا، وغاب سريعا ، وبدر اكتمل في غرة الطلوع ، ومال غبَّ الاشراق إلى الرجوع . محمود الشيم، كريم الخِيم[1]، دمث الأخلاق والسجايا، عزيز المحامد غزير المزايا ، تعلم من شمائله نسيم الصَّبا ، واستنشق من عطر فضائله مازن زهرات الرُّبا ، فطنته تظنها ساوت بين علمي الغيب والشهادة، وفرط ذكائه خالف العادة ، ولما خطفته بُزاة المنايا ، وأثخنت جراحات الكمال بسهام الرزايا ، أقفرت الفضائل ربوعها ، وانهار ينبوعها .

قرأ على والده في مقدمات العلوم من النحو ، والمنطق ، والفقه ، والبلاغة ، وارتقى الى الملكة الكاملة في زمن يسير . وآخر ما كان يقرأ على والده : شرح الشمسية في المنطق ، وعلى الشيخ صلاح الدين في الجامي وحاشيتيه ، وشرح التوضيح للأزهري في النحو[2] ، وكان يسمع

★ أخو المؤلف الصغير ، لم يذكره المحبي بين آل العرضي ، وهو من أم غير أم المؤلف .

(١) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٢) خالد بن عبد الله الأزهري (٨٣٨ ـ ٩٠٥) نحوي من أهل مصر . من مؤلفاته المطبوعة : المقدمة الأزهرية ـ موصل الطلاب الى قواعد الإعراب ـ شرح الآجرمية ـ والكتاب المذكور فوق « التصريح بمضمون التوضيح » وهو في شرح أوضح المسالك ، وهو مطبوع . وكتب أخرى .

ـ الكواكب السائرة : ١/١٨٨ .

للشيخ محمد الداديخي[1] في شرح المنهج بقراءته على الشيخ الوالد ، وكان ـ مع صغره ـ يقرىء الطلبة دروساً ، وكان ـ مع كونه أمرد حسن الشكل ـ يصلي إماما بالجامع الكبير ·

طعن في سنة خمس وألف ، وطعنت والدته ، وكانت أمّ ولد ·

ومات وقت العشاء ، وأمه وقت السَّحر ، وخرجت جِنازتهما معا ، وصارت له الجنازة الحافلة ، لم يعهد أعظم منها · حمل سريره الخاص والعام ، وابتلي الوالد لحزنه عليه بضيق النفس ثلاث سنوات ، وفاجأه الشيب · ورثاه الشعراء بقصائد ومقاطيع ، قول الشيخ سليمان الحفسرجيّ :

سَلوا الشّهباء عن فَقْد الحُسين ... تُجبكم بالبُكاء وبالأنين
ويُنْشدكم لسان الحال منها : ... دَعوني ، إنني فارقتُ عَيني

وقال الشيخ سرور بن سنين[2] :

لي بعدَ يومك أنّةُ المُتفجِّع ... ورقاد مَطرود الرُّقاد مروَّع
حيران أمسح أدمعي بيد ، ولي ... أُخرى تَشدُّ على فؤاد موجع
لك منزلٌ مستَوطن من ناظري ... أخليتَه وسكنته من أضلُعي
قد كان مجلس أُنْسنا بك ناطقا ... فاليوم سَلْ عنه لسان المَجمع
وهَجعْتَ في دعة وأحداث الردى ... قد أرصَدتك عيون من لم يهجع

---

(١) محمد بن الحسين شمس الدين الداديخي ، الشيخ المجوِّد الحلبي الشافعي · أخذ القراءات عن مغربي كان بقرية داديخ ، وبرع فيه · وأخذ عن البازلي بحماة · كان يدرس بجامع عبيس ويؤدب الأطفال · توفي سنة ٩٢٣ ·
ـ سلك الدرر : ١/٤٠ ·

(٢) سرور بن الحسين بن سنين الحلبي الشاعر ، له شعر بديع · فارق حلب الى طرابلس ومدح بني‌سيفا ولا سيما الأمير محمد، فأكرمه ، لكن شعراء الأمير أبغضوه وحاربوه· توفي في حدود العشرين بعد الألف ·
ـ خلاصة الأثر : ٢/٢٠٤ ·
ـ ريحانة الألبا : ١/١١٠ ·

وشريعة الآداب بعدك عطّلت أحكامها ، فكأنها لم تُشرع

والدرس بعدك لم تدرْ أفلاكه حزناً ، وشمس سعودها لم تطلع

خلّيت بعدك للمنون سبيلها فقل: اصنعي ماتشتهي أن تصنعي

أغدو بشمل للدموع مصدّع أبداً ، وشمل للهموم بمجمع

ونَما أساك فأيّ صدر لم يفض جزعاً ، وأيّة مقلة لم تدمع ؟

كم حول قبرك طفت طوفة خاشع كطواف بيت الله للمتضرّع

ووقفت أستبكي الغمام وأبكه[1] ودموعه ملء الفجاج وأدمعي /

جفّ الغمام ولم تجفّ مدامعٌ والطبع يفضح شيمة المتطبّع

حيث الكواكب في الحداد سوافرٌ يسحبن من ثوب الظلام الأسفع[2]

والبرق بين تلهّب قد جدّ في حرقي وجيب للسحاب مقطّع

يا موت كيف رقيته جبلا علا وطلعت منه ثنية لم تطلع ؟

وقصفته فقصفت غصناً ناعماً يختال في ورق الجمال المبدع

وكريم طبع منه يغمد في الثرى سيفاً على غير التقى لم يطبع

سلْ دافنيه : كيف جاز لعقلهم دفن الغمامة بالعراء[3] البلقع ؟

كنا ندافع عنه لواجدي الردى لكنه الحقّ الذي لم يدفع

71

---

(١) ضرورة .

(٢) الظلام الأسفع : المتغير اللون ، أو ما كان أسود مشربا بحمرة .

(٣) البلقع والبلقعة : الأرض القفر .

٥٧ ـ الشيخ حسين الخَلوَتي

حسين بن الشيخ أحمد بن الشيخ عبدو القُصيري الخلوتي · بلبل رياض التوحيد ، وهزار حدائق السلوك والتفريد ، مُجلي عرائس المعاني ، والمُجتلي نفائس المباني ، ساقي مدام الكرام في ألحان معبد النغمات ، وموْصلي الألحان[1] ، المطرب في محاضر النصائح ، والمعرب عن الأسرار واللوائح ، بمزامير أقواله ، وإشارات أحواله ، والمُروي أكباد المشتاقين بسلسبيل زلاله، والجاذب للقلوب بحبال مودّته، والقائد لأفئدة المحبين بمغناطيس نصيحته ·

حاول مشاركة أخيه الكبير في الخلافة عن والده بعد موته ، فامتنع عن ذلك مريدو والده وخلفائه · قال الشيخ أحمد : نصب ابنه الكبير خليفة في حياته، وأمر جميع المريدين والخلفاء بطاعة ابنه الشيخ محمد، فلما مات الشيخ أحمد تعمم بمئزر أسود ، وأخذ يصلي إماما وحده · فأخذ أخوه مئزره ، ونزع كسوته ، فلما وجد أنه لا طاقة له بأخيه رحل الى حلب ، وأخذ يشتغل في قراءة العلم حتى حصّل نوع فضيلة · وحين مات أخوه،وكان أخوه أوصى بالخلافة لابنه الصُلبي الشيخ عبد اللطيف حضر الى قرية والده ، واختصم مع ابن أخيه الشيخ عبد اللطيف عند الحكام ، فدخل المصلحون بينهم ، وجعلوا كل واحد خليفة مستقلا ، وقسموا صلاة الجماعة قسمين،وكل واحد يقيم شعار الخلوات في إنطاكية

---

(١) يعني المغنيين : معبد وإسحاق الموصلي ·

في مسجد الشيخ علي • واقتسم المريدون قسمين : قسما يقال لهم : اللّطيفيّة، وقسما يقال لهم الحسينية • وكان أصحاب الانصاف يرجحون جانب الشيخ عبد اللطيف ؛ لكونه صاحب النفس • ومنهم من يرجح العمّ ؛ لقربه الى الشيخ • وكان الشيخ عبد اللطيف متعبداً كثيراً زاهداً في الدنيا ، لا خبرة له بأحوال أهل الدنيا • وكان الشيخ حسين له مداخلات مع الحكام ، وكان للشيخ عبد اللطيف معرفة بالأسماء والرياضة • قيل : إنه توجه عليه بالأسماء . وكان في قرية ، فوجد في الواقعة أن عمه قد مات • ويقال إن عمه وجد لمعة نورانية كالبرق ضربته، فاشتكى المرض، وقال : هذا من ابن أخي •

ومات الى رحمة الله عز وجل ، وأظن قبيل الألف ، وعمره تقريبا ستون سنة ، وخلف ابنه الشيخ حسنا ، عاش بعده نحو ستين ومات •



٥٨ ـ حسين الكردي[*]

حسين بن جان بولاد الكردي ، أمير الأمراء بحلب ...[١] . ذو همة فوق مجرة الأفلاك مُجراها ، وعزيمة في تيار الأخطار مرسى سفائنها ومَجراها ، ورأي ساطع شهابه على شهب الآفاق ، وفراسة تستنطق لواحق الحادثات قبل السباق . إلا أن للعاقل زلة يستعاذ منها ، وللعالم الخبير غفلة يتحتم التنائي عنها . أغزر الأمراء سحابا ، وأوفرهم في قسم المعالي نصابا ، مديد الباع في الفتوة ، طويل الذراع في العَدد والعُدد والقوة . وارث قلائد الامارة أباً عن جد ، مشمر ساق الاجتهاد في اقتناص أوابد المجد ، صائد المراتب باشراك الصنائع ، ناصب حبائل الوقائع . رجم بالغيب برجوم الأوهام في حركات النجوم ، وحاول بتُرّهات الزّيارج الاحاطة بعلوم ما تحت النجوم ، وخال استقامة معوجّ التقويم . وتصفح صفائح الملاحم لتحدثه عن الحديث القديم ، / فأتعب **٧٢** كميت فكره[٢] ، وجدّ في قفار معانيها جد الوحش في قفره . ولما سار في بيداء الغيوب ، واعوجت فقار ظهره في اقتحام عقبات الكروب ، رجع[٣] القهقرى ، وعلم أنه حديث مُفترى ، فقذفته في الأخطار أيادي الأقدار ، فأعتاض عن وادي منى بوادي الحسرة ، وأوقد في حشاشته الجمرة بعد

★ هو حسين باشا بن جانبولاد الكردي ، أمير الأمراء بحلب . وقد نقل المحبي كامل كلام المرضي مع اقتضاب وتشويه . وجانبولاد : ذو الروح الحديدية ، الجريء . ـ خلاصة الأثر : ٢/٨٤ .

(١) الكلمة غامضة في الأصل : رسمها « اضرا » .

(٢) الكميتة : الأصل ، يقال : آخذه بكميتته : أي أصله .

(٣) في الأصل : فرجع .

الجمرة ، وحل بالسفح حين سال من جفنيه وادي العقيق ، ولاقى عرق القربة في وعثاء الطريق •

كان في ابتداء أمره من المتفرقة ، ثم تولى إمارة كلّس[١] ؛ منصب والده ، وعزله عنه أخوه الأمير حبيب، وشبت العداوة بينهما، ثم استمرا يتعاذلان ، فتولى دوّ[٢] سليمان كلس ، فاحتاج الى جمع السّكمانية ، وكان ابتداء كثرتهم وظهور قوانينهم من عبد الحليم اليازجي ؛ أحد أتباع المسطور • ولما سجن صاحب الترجمة في قلعة حلب ، وبيعت جميع أسبابه وعقاراته بأبخس الأثمان لمال سلطاني ، كان عليه تولي كلس[٣] بعد ذلك • وصمم على الامتناع من تسليمها إنْ عزله آحد • فكان إذا عزل من جانب السلطنة سعى في العود من غير تسليم المتولي الجديد بين الذّروة والغارب[٤] ، فعلم أكابر الدولة السلطانية أنه : إذا صمموا على عزله شق العصا • فتركوه وارتضوا بالمال فكثرت أجناده وأمواله، وكان له مروّة وفتوة ، ومحبة للعلماء والصّلحاء ، إلا أنه كان ظالما لاحتياجه الى عـلافات السكمانية ، وكان له فضيلة في علم الفلك والزّيرجة والتقويمات والرمل ، وصرف أكثر عمره في ذلك •

ولما توجه محمد باشا الوزير ، ابن سنان باشا الوزير الأعظم والده، سردارا على حسين باشا أمير لواء الحبشة ••[٥] ، وكان خرج عن الطاعة،

---

(١) كلس وكلز : قرية من نواحي اعزاز بين حلب وانطاكية ، وهي اليوم في الأراضي التركية •

(٢) أصلها الكلمة الفارسية « ديو » بمعنى الشيطان •

(٣) في الأصل : كليس •

(٤) الغارب : الكاهل أو بين الظهر أو السنام والعنق •

(٥) في الأصل « كان » زيادة هنا ، فأسقطناها •

وشق العصا ؛ وسببه : أنه لما تولى إمارة الحبشة ، وأخذ منه أكابر الدولة السلطانية مالا جزيلا ، استدان غالبه ، ثم عزلوه سريعا ؛ فشق العصا مُغاضبا لهم ، فتوجه صاحب الترجمة لحربه صحبة السردار •

فقدم كليس خارجي من السكمانية يقال [له][1]: رستم بلك باشي[2]، ومعه من البغاة أجناد كثيرة • وكان ضابط كليس عزيز كَتْخُدا من جماعة صاحب الترجمة ، فبعث واستنجد بعساكر حلب منهم القُول الجديد ، فخرجوا لنصرته ، واجتمعوا جميعا ، فتقابلت الأجناد ، وقام بينهم سوق الحرب والطعن والضرب ، فانتصر عساكر رستم على عساكر كلِّز وعساكر حلب ، وقتل عزيز كتخدا ، وقتل من العسكرين ما لا يحصى، وولوا منهزمين • فنهب الخارجي كلز، وصادر أعيان أهل القرى•

ولما تولى نصوح باشا إمارة الأمراء بحلب ، وكان عساكر دمشق تغلبوا على حلب ونواحيها ، أمره[3] السلطان أحمد باخراجهم ، وعجز عن ذلك ، فاستعان بصاحب الترجمة ، فبعث ابن أخيه ، هو : علي بيك بعسكر عظيم ، فأصبح نصوح باشا وقد أخذ القلعة وصنع متاريس تحت قلعة حلب ، واستعدت جماعته ، وكانوا نحو ستمئة ، فأخذت العساكر الدمشقية باب بانقوسة ، واستعدوا وجمعوا عساكرهم نحو الألفين، وهم لا يعلمون أن صاحب الترجمة بعث عساكر[4] ، فأحضر نصوح باشا إليه كنعان بُلك باشي ، سردار الدمشقيين ، وأخبره أن السلطان رفعهم من الاستخدام ، وأمر باخراجهم من حلب بعيالهم ، فامتنعوا عن الامتثال ، وشرعوا في القيل والقال ، الى وقت غروب الشمس •

---

(١) إضافة المحقق •

(٢) بلوك باشي : أمير العشرة •

(٣) في الأصل : وأمره ، أسقطنا الواو لأن الفعل جواب « لما » •

(٤) في الأصل : عساكرا •

فتواردت الأخبار بوصول علي بيك الجَنبُلاطيّ الى قرية حيلان[1]، بعساكر لا تحصى، فخرجوا في الظلام هائمين، ولم يبق منهم رجل واحد.

وفي اليوم الثاني دخل علي بيك بالعساكر المتكاثفة المتكاثرة، وفرح أغلب الناس بانقطاع آثار الدمشقيين، فتبعهم نصوح باشا، ومعه علي بيك، الى قرية كفرطاب[2]، فوقعت الحروب، واشتد الطعن والضرب، فانهزم الدمشقيون بعدما قتل منهم جمٌّ غفير، فصادر نصوح باشا / أقاربهم وأتباعهم. وفعل حسين باشا مع نصوح باشا هذا الفعل الجميل. **٧٣** فأخذ نصوح باشا يتكلم بين الناس، أنه يريد قتل حسين باشا الجانبلاطي أيضا، فسمع الخبر فأخذ في جمع العساكر، وبعث جماعة الى السردار سنان باشا ابن جغَّال[3] الذي أرسله السلطان لقتال شاه العجم.

فبلغ ذلك لنصوح باشا، فاشتدت عداوته لحسين باشا، فعزم نصوح باشا على مفاجأة حسين باشا بالقتال، لكون كلز قريبة من حلب، فخرج في عساكره المتكاثفة حتى في يوم واحد، وصل الى كلز، فقابله حسين باشا بعساكره المتلاطمة الأمواج، المختفين بالفجاج، والتقت الفئتان، واصطدمت الفئتان، وتقابل بالصيحة والتكبير الجمعان. ودُحرجت في

---

(١) حيلان: إحدى قرى حلب، تسقي حلب بمياهها الفوارة (معجم البلدان) على الطريق الى أعزاز.

(٢) كفرطاب: بلدة بين المعرة وحلب في برية مَعطشة ليس لهم شرب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج (معجم البلدان) ومعنى الكلمة: المدينة الطيبة. وتدعى اليوم خان شيخون.

(٣) هو يوسف بن جغال (أشار المحقق في حاشيته أنها وردت في إحدى النسخ بالغين المعجمة)، سنان باشا الوزير. صار قبطانا في البحر سنين، ثم رافق عثمان باشا في غزو العجم سنة ٩٩٣. ثم حل محله في الحرب، فتم فتح تبريز على يديه. تولى دمشق سبعة أيام، ثم صار سردارا على فتح العجم سنة ١٠١٣، فكسرت عساكره، ثم مات في السنة التي بعدها.
ـ لطف السمر: ٢/٧١٢.

ميادين الحروب أُكر[1] الرؤوس ، وطلقت الأجساد والنفوس ، وهطلت سحائب الدماء ، وهملت المكاحل كأمطار السماء ، وطاشت العقول ، وزاغت أبصار الفحول ٠

وشبت جمرات الوطيس[2] ، ورقص طربا اللعين إبليس ، وبيعت نفائس النفوس بالخسيس ، ونادى طائر اليُمن بِشؤم مَن غدر ، وبزغ كوكب حسين في طالع سعيد ، وولى نصوح مدبراً يمسح القفار والبيد ، ورجع شفق الحياء بوجهه مغبراً بقتام[3] الكدر ، وناداه منادي الدهر أين المفرّ ؟٠ ورجع بخفي حنين ، وغنيمته السلامة من الحين ٠

وقتل أكثر عساكره ، ودخل حلب ، ونار الخذلان بين الضلوع ، يا أخا الوجد لا رجعت هذا الرجوع ٠ ثم في اليوم الثاني آخذ في جمع الأجناد ، وبذل الأموال لتكثير العدد والأعداد ، ظناً منه أن صبح سعده أسفر، وليل نصره قد أقمر ٠ هذا جزاء نكث العهود، والتجاوز في الحدود ٠

وغبّ ذلك ، ورد قابجي باشا من السردار[4] سنان باشا بن جغال يخبره بالأوامر السردارية: أنه قد صار حسين باشا كافل الممالك الحلبية، وعُزل نصوح باشا منها ، فتكسرت السهام على السهام ٠ فلبس نصوح جلود النَّمر ، وسال ماء غضبه كالطوفان ، وامتنع عن تسليم حلب لحسين باشا وقال: إذا ولوا حلب لعبد أسود أطيع ذلك، إلا ابن جانبلاط ٠

فما مضى أسبوع إلا وأقبلت عساكر حسين باشا بجموعها الى قرية حيلان ٠ فاستقبلهم نصوح باشا ثانيا بالحرب ٠ وعاد والعود أقبح ٠

---

(١) الأكر : الكرات ، مفردها الأكرة ٠

(٢) الوطيس : التنور ٠

(٣) القتام : الغبار الأسود ، غبار الحرب ٠

(٤) السردار : القائد ٠

وجدّد ملّة الحرب ، وأقام مواسم الطعن والضرب • وعاد من باب النصر متزملا بأخلاق ثياب القهر والكسر • فنزل حسين مع عساكره في محلات حلب خارج السور • وأغلق نصوح أبواب المدينة، وسدها بالأحجار • وفتح باب قنسرين[1] ، وحرسه بعساكر أوقفهم هناك • وقطع حسين الماء عن حلب، ومنع الميرة والطعام عن داخل المدينة • ونصب حسين متاريس على أسوار البلدة • وصفّ نصوح عساكره على الأسوار مع الطوبات • وقام بينهم حرب البسوس •

وأخذ حسين في حفر اللغوم ، والاحتيال على أخذ البلدة • وأخذ نصوح في حفر السراديب لدفع اللغوم • وعم الحلبيين أنواع الكدر من المبيت على الأسوار وحفر السراديب ، ومصادرة الفقراء والأغنياء كل يوم وليلة لطعام السكمانية وعلافتهم وإغلاق الدكاكين ، وتعطل[2] الصناعات ، وحرق الأخشاب للطعام والقهوة بسبب قطع حسين الميرة حتى الحطب • ونزل البلاء من جانب السماء على حلب ، فبيعت الحنطة المكوك بمئة غرش ريالي ، وجرة الشيرج[3] بثمانية عشر غرشا ، ورطل لحم الخيل الكدش بنصف غرش ، والتينة الواحدة بقطعة ، وأوقية بذر البطيخ بأربع قطع ، وأعظم من في البلد يجد أكل البصل والخل من أحسن الأطعمة •

---

(١) باب قنسرين : (شرح قبلا ، ونذكر هنا موقعه) هو أعظم أبواب حلب ، ويتألف من أربعة أبواب : باب يلي المدينة ، وباب يلي البرية ، وبابان بينهما • سمي كذلك لأنه يفضي الى مدينة « قنسرين » وهي الآن مندثرة في جنوبي حلب •
— موسوعة حلب : ٢/١٨ •

(٢) في الأصل : وتعطلت •

(٣) الشيرج : زيت السمسم •

وكان بعضهم يأخذ الشمع الشحمي ، ويضعه في طعام الأرز والبرغل • وكان العساكر لا يجدون التبن ، بل كانوا يأخذون الحصر وينقعونها في الماء ، ويقطعونها ويطعمونها للخيل بدلا عن التبن • /

٧٤

وكتب القاضي صلاح الدين قصيدة لشريف أفندي ، صدرها :

طارقات الردى علينا تحيفُ وطريق الهدى سراه يخيفُ
نكرت حالة الأفاضل طرأ لام فضل من شأنها التعريف

الى أن يقول :

كم أطالوا يدا يرمون تبناً[1] وهو كالتبر معدم معروفُ

وكل فقير يغرّم في اليوم قرشين، والمتوسط عشرة،والغني عشرين• وحفر حسين لغوما سيأتيك في ترجمة نصوح ذكرها •

واستمر الحصار نحو أربعة أشهر وأيام ، فلما وصل السيل الزُبى ، واقتضى الأمر التمام في الشدة وما بعد الشدة إلا الرخاء •

قدم السيد محمد المشهور بشريف أفندي قاضيا بحلب ، فنزل خارج المدينة ، وأخذ يسعى في الصلح كما سيأتي •

ثم عقد الصلح ، ولم يرض نصوح بالصلح ؛ إلا أن يكون بأيمانات السكمانية وعهودهم ، فان لهم عهداً وثيقاً • فحلّفهم جميعا بالسيف ، وببيرهم[2] أن يكون آمنا على نفسه وأمواله ، وأنه إذا تعرضه حسين يقاتلونه معه •

ثم أمر الشريف نصوح أن يذهب بنفسه الى حسين ، ويصالحه لكون نصوح كان ضرب بنت حسين بالجلاد ، وأخذ أموالها • فذهب نصوح

(١) الصدر مكسور في كلمة « يدا » •

(٢) بير : العجوز والشيخ ، وهنا رئيسهم أو شيخهم •

ومعه شاطر واحد الى منزل حسين ، فأكرمه وسقاه شربة سكّر بعدما امتنع نصوح عن شرب السكر ، فلما شرب حسين من إناء نصوح شرب نصوح منه • ولما دخل نصوح لحسين كان لابسا درعا تحت القفطان ، وظن الناس خروج نصوح خفية ليلا خوفا من حسين وعساكره ، فلم يكن الأمر كذلك ، بل خرج بعساكره وطبوله وزموره وقت الغداة • فوادعه حسين • فلما استقبل نصوح الحسين قال له : هذا الميدان ياحسين باشا • فأراد مسابقته فقال له علي بيك ابن أخيه : هذا شاب ، وأنت شيخ يغلبك • فنزل علي بيك للميدان • ثم استولى حسين على كفالة الممالك الحلبية ، وشحنها من السكمان ، وصادر الأغنياء والفقراء لأجل علوفة السكمان •

ثم أمر سنان باشا المشهور بابن جفال لحسين بالتوجه إليه لقتال شاه العجم ، فقدّم رجلا وأخّر أخرى ، وتباطأ حتى سافر حسين ، فوجد سنان قد رجع من المحاربة مكسوراً مقهوراً •

فقابل حسين سنان ، فمجرد ما وجده خنقه في الحال ، وقطع رأسه •

وسيأتي في ترجمة علي بيك تمام الخبر •

وقتل في سنة ثلاث عشرة[1] وألف • واستولى السكمانية على حلب ، يصادرون أهلها • وبالجملة فقد كان حسين محبا للعلماء والصلحاء ، إلا أنه كان مستخفا بالدولة العثمانية أيّد الله سلطنتها على ممر الأيام •

---

(١) في الأصل : عشر •

٥٩ ـ حسين باشا بن يوسف ابن سيفا(*)

نبت النعمة والنضارة ، وفرع دوحة الجلالة والامارة ، والغصن الغض في سرحة الرئاسة ، والثمر الخارج من أفنان الأصل والحماسة • دوحة شجرة غرسها ظهور الخيل ، وليث غابة لا يصده عن الافتراس حزن القفار وغيهب الليل • له تمام الاقدام ، ولو على الضرغام • قتل النفوس أحب إليه من قُبَل العروس ، وأشهى من احتساء المدام ، وأطيب من لذة المنام • لم تحنّكه التجارب ، ولا ينظر في العواقب ، بين سُكر الحداثة والهوى والمدام والمال والامارة • وتجرع منه أهل إقليمه حنظل المرارة ، طاش عقله تنبيهاً وفخراً، وغاب رشده فلم يدخر الأعمال الصالحة للأخرى ، لا يصغي لشاك ، ولا يرق لدمعة باك • قلبه أقسى من الصخور ، وفؤاده ليس فيه بيت الخشية معمور • كم بُسطت أيادي المظلومين بالدعاء عليه في الظلام ، وكم كتبت بالدموع على صفحات الوجوه قصص الجور ورفعتها في ديوان الأسحار ، لدى الملك ذي الانتقام، فقال : وعزتي وجلالي لأنصرنكم ولو بعد حين ، ولأجعلنه حديثاً في الآخرين • إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته • سهام الليل لا تخطيء ولكن لها أمد وللأمد انقضاء • كم فوق الفقراء أيدي سبأ ، وكم من غني اتخذ من أجله في البحر سرباً[1] ، فشتتهم غراب طغيانه ، ونعق فيهم بوم عدوانه •

(*) من أمراء طرابلس ، أخته زوجة الأمير فخر الدين •

(١) السرب : القناة تجري فيها المياه •

تولى في حياة والده كفالة طرابلس الشام ، ثم عزل عنها ، ثم تولى كفالة / الرُّها ثم تركها من غير عزل ، وقدم حلب وكافلها محمد باشا قره قاش[1] فحضر حسين لديه مسلّماً عليه ، فأكرمه ، واحترمه ، ثم دعاه الى وليمته • فجاء مع جماعة قليلة ، فاحتاطت به جماعة قره قاش، وكانوا كمنواله في دار السعادة ، فشهر عبده الأسود سيفاً ، وأخذ يجرّح جماعة قره قاش، حتى أمره أستاذه بترك ذلك، فرفعوه الى القلعة مسجوناً ووضع في مسجد المقام ، يحتاط[2] به الحارسون • فبعث قرقاش الى السلطان أحمد يخبره بذلك ، وبلغ والده الخبر فبعث جماعته ، ووعد السلطان بمئة ألف غرش إن عفا عنه ، فلم يجبه الى ذلك ، وبعث أمراً جليلا بقتله ، فجاء الجلاد ، فقال بقلب جريء وجنان قوي : أيليق أن أكون من الباشوات ، ويقتلني الجلاد ؟! •

75

ثم إنه أشار الى رجل معظم من أتباع قره قاش أن يقتله ، وقال له : اصبر علي حتى أكتب مكتوبا الى والدي أوصيه بعض وصايا • فكتب ورقة أوصاه بأولاده ، وعزّاه في نفسه • ثم صلى ركعتين ، واستغفر الله وقال : رب إني ظلمت نفسي ، وعملت سوءاً[3] بجهالة ، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم •

ووضع محرمة نفسه في عنقه، وأمر ذلك الرجل بخنقه فخنقه• وبكى عليه جماعة كثيرة لحسنه وكونه شابا •

وكان شجاعا بطلا ، إلا أنه كان يبالغ في ظلم العباد •

---

(1) حاكم حلب المشهور بعنفه • و « قره‌قاش » تركية معناها الحاجب الأسود • تكتب بهاء وبغيرها •

(2) يفضل : يحيط •

(3) في الأصل : سواء •

ثم أخرجت أمعاؤه، ودفنت بتربة القلعيين[1] وأرسلت جثته المصبرة الى والــده ، فاستقبلهــا النساء والرجــال بالبكــاء والصراخ والويــل والثبور[2] • وصار يوم دخوله كيوم مقتل الحسين ، وقالت الغواني فيه المراثي يضربن وقت إنشاد أشعار مقتله بالدُّف ، بصوت حزين •

حكى قراقاش : أني كنت في خدمة السلطان أحمد ، وقد خرج الى الصيد ، فعرضوا عليه طيور الصيد ، ثم جاؤوه بطير عظيم لا نظير لــه فتعجب منه وقال : مَن بعث هذا ؟ قالوا : عبدك حسين باشا بن سيفــا أمير الأمراء بطرابلس ، فقال السلطان : آه آه آه من خيانة مماليكي ! الأمر لله ، الى هذا الحسين ، هذا الكافر بالحياة • فأسرَّها قره قاش في نفسه ، وصادره بطيره •

قتل في رابع عشر شهر ربيع الأول، سنة ست وعشرين وألف، وعمره قريب الثلاثين ، تجاوز الله عنه •

---

(1) في داخل القلعة •

(2) الثبور : الهلاك والويل والحزن •

٦٠ ـ حسين بن أحمد الجَزري الحلبي (*)

نسبة الى جزيرة الأكراد ؛ جزيرة ابن عمر ، كانت أجداده منها لكنه ولد بحلب • الشاعر المشهور، الممتد عند تقاصر الشعراء في أبكار المعاني باعاً ، الطويل في مضمار الآداب ذراعا ، الباني من أبيات قصائده رباعا، كاد أن يعترف المتنبي بالعجز عن مزايا إعجازه ، وينتقص أبو تمام نفسه لدى إطنابه بمدائحه وإنجازه • أبو عُذرة القصائد ، وابن بُجدة(1) فرايد الفوايد ، وطلاع ثنايا المنثور والمنظوم ، وابن جلا توضيح المنطوق والمفهوم • كاشف براقع بنات الفصاحة ومفترعها ، مخترع طرائق الأشعار ومبتدعها • تزدحم المعاني على منهل ثغره النُظّام ، وتنفصم قلائد القصائد عند معارضته ولو سمّطها

★ هو حسين بن أحمد بن حسين الجزري ، حلبي أصله من جزيرة ابن عمر ، ونسبته إليها • تنقل بين الشام والعراق وبلاد السلطنة العثمانية • كما مر بطرابلس ومدح بني سيفا فيها • استقر في خاتمة حياته في حلب فحماة ، حيث توفي في حماة سنة ١٠٣٣ • له ديوان شعر ما زال مخطوطاً •

و « الجزري » ينسب بها الى منطقة الجزيرة الشامية في الشمال كذلك كالموصل وسنجار وحران •••

ـ خلاصة الأثر : ٨١/٢ •

ـ اللباب في تهيب الأنساب •

(1) ابن بجدة الأمر : العالم به • وبجدة الأمر : باطنه وحقيقته •

النظام • غشي ابن مقلة[1] بالحيرة حتى تركه ناشف المداد، وصير حظ خطه في حواشي الرقاع مشوها محيًا طاموره[2] بتعليق السواد• شُغف بتعلم الشعر صغيراً، وحفظ قصائد عديدة، وفحص عن معانيها، وأكثر من مطالعة كتب الأدب واللغة حتى صار لذلك نِحريراً • ثم أخذ يمدح الأعيان، ويظهر من مخزونات عيابه الجمان؛ بعض مقدمات نحوية على البرهان بن الملا • وكان إذا تكلم لا يظنه الانسان يعرف شيئا، وكان له خط نسخي في غاية الحسن • وكان رحمه الله سيء الأخلاق جداً • وكان والدي أمرني أن أنظم له قصيدة ليجيبني على طِبقها، فيعلم مقداره من النظم، فبعثت إليه قصيدة ألغزته في اسم إسرافيل مطلعها :

مباديك في نظم القَريض تُترجم   بأنَّ لك الآداب أمرٌ مُسلَّم

فارسل لي الجواب صحبة إبراهيم جلبي الأنصاري، فرأينا له النظم الفائق • وامتدح الأعيان، وجمع ديوانا مشهوراً، وقد مدحني بعد موت والدي بقصيدة فريدة فقال :

٧٦

عوفيت نِضو هواك برْح داؤهُ   ولقد يعزُّ على سواك شفاؤه
أنّى يصور علّة قد جاوزت   أعضاء صب لا ترى أعضاؤه
عبث النُّحول به، فلو جرّدته   من ثوبه لخَفِيَ عليك خَفاؤه
فاستبقِ منه بقية لم يُبْقِها   حُبيّك[3] وهي دموعُه ودماؤهُ

(١) ابن مقلة : محمد بن علي، شاعر أديب وزير، يضرب في خطه المثل • ولد في بغداد سنة ٢٧٢ • عانى كثيراً في حياته، إذ تنقل بين الوزارة والسجون عدة مرات • توفي سنة ٣٢٨ •
— وفيات الأعيان : ٢/٦١ •
(٢) الطامور والطومار : الصحيفة •
(٣) حبيك : حبيبك •

ذهبت بها الأهوال في سُنن الهوى فاسترجعتْها للجوى أهواؤه
أنْميت قلبي وهو في طاموره لولا بقاؤك فيه هان بقاؤه
رِفقاً بمن يرضي الغبيَّ دياره ودِثاره وفِناؤه وفَناؤه
لاتُمس إلبْاً(١) للزمان على شبح سِيانِ فيك صباحُه ومساؤه
تَطوي عليه النائبات كأنّه سرُّ الهوى وكأنّها أحشاؤه
وتَراه يُغضي الطرف منه تكرماً إنَّ الكريم يزينُه إغضاؤه
أبداً يعلّل بالرجاء فُؤادَه دهراً ويخفقُ بالرجال رَجاؤه
أفٌّ لدهر نام عن أعيانه بعُيونه وتيقّظت سُفهاؤه
وترعرعت فيه الصغّار بُعيدَما لبسوا الصغّار وقد ذوت كبراؤه
ولو اعتبرت الأمر فيه سرُّنا بالمنع عنه وساء منه عطاؤه
خُفرت عهود ذِمامه ولو اقتدى بأبي الوفاءِ لصحَّ منه وفاؤه
المستضاء من الخطوب برأيه فكأنّما شُهب الدُّجى آراؤه
وإذا توقّد فكره بذكائه ليلا تبلّج صبحُه وذُكاؤه
ربُّ المعالي الغرُّ من شهبائنا بلغت بهنَّ الشُّهب بل شَهباؤه
الأفضل المولى الامام الأكمل النّد ب الهُمام سمت به أسماؤه
نجل الامام سمي فاروق الهدى(٢) حيّا تُراه حيّا حكاه حَيّاؤه
ما لقّب العَرْضيَّ إلاَّ بعدما عُرضت عليه من العلا علياؤه
ولأنه قامت بجوهر ذاتِه أعراضُ فضل لم تدمْ فُضلاؤه
وإذا تأمّلت الزّمان وجدتَه شيخاً يلوح وروحه عُلماؤه
مولاي ما غالَ السرار كمال مَن ولّى وفيك نموُّه وضياؤه

---

(١) الإلب: القوم تجمعهم عداوةُ واحدٍ.
(٢) يعني «عمر»، وهو والد أبي الوفاء.

كلاّ ولا حجب التراب فضائلا ... منه وعنك الفضل حط غطاؤه
إنّ الكريم بنوه بعد مماته ... خُلفاؤه في الأمر أو حلفاؤه
فاسلم سلم[1] لنا الزمان فاننا ... حرب لديه كأننا عُقلاؤه
وألو العلوم قوى الزمان وقوته ... أبدأ تفر إليهم ضعفاؤه
وإليك أهدي الفكر نبت ثنائه ... ولخير ما يهدى إليك ثناؤه
عذراء فض ختامها عن نفسها ... ببراعة فتأرجت أرجاؤه
وأمدُها صونا فلاح ثناؤها ... والحسن لا يخفى عليك ثناؤه
فاطلع بها في أفق مجدك منحة ... فالبدر أنت وهذه جوزاؤه
ولئن تضاءل عند ذاتك حمدها ... فالبحر أغزر من سحاب ماؤه
والعجز يدرك في صفاتك وصفها ... ما كل فضل ممكن إحصاؤه

وله قصيدة يتشوق فيها الى صاحب له يقال له الشيخ نعمة :

حيٌ بالحي جيرة وفريقا ... ألفوا الجور وارتضوا تفريقا
يا مُلث الحياة ما[2] يشبه الدر ... رفد معي بالسفح سح عقيقا
عربا خيموا العواصم وارتا ... دوا ورود المياه إلا[3] قُويقا
أظلم الناس أعينا وسيوفا ... وأبر الورى لها وحقوقا
كل من فاق بالملاحة حتى ... حجب الأفق بدره أن يفوقا
يخجل الأقحوان ثغرا نضيدا ... واحمرار الشقيق[4] خدا شريقا

(١) بسكون الميم يستوي الوزن ·

(٢) في الأصل : بما ، وأسقطنا الباء للوزن · ملث الحياة : طيبها بوعد لا ينوي وفاءه · والشاعر هنا يخالف ذلك ، ولعله ينوي وفاءه ·

(٣) قويق : اسم نهر حلب ·

(٤) يقصد شقائق النعمان ·

وقـوام الخطـيّ قـدّاً رشيقا ... أي قلب لـم يمس منـه رشيقا ؟
لـم يـدع في بُعدهم بَعـدُ إلا ... رمقـا خافيا وقلبـا خفوقـا
أنـا مـن راح واثقـا بهواهـم ... وبأحـداث دهـره موثوقـا
فهـو نشـوان مغـرم وغرام ... ونزيف الحـالين لـن يستفيقا
هـم أحبّاي بل أخلاّي والرفـ ... ـق بأن يصحب الخليـل رفيقـا
عـلّ دهـراً حرمت فيـه تلاقيـ ... ـهم أراني منهم بهم مرزوقا
فهـو إمـا بؤس وإمـا نعيم ... يحسن البـر دائمـا والعقوقا
روحي نسمة الصبا نحـو ناديـ ... ـهم بروحي عسى تُريحي المشوقا
واسحبي / في ثرى ذراهـا ذيولا ... تصحبي المسك[1] في ذراها فتيقا

77

واحملي لـي منها فتيق عبير ... قبل أن تغتدي محـلا سحيقا
وسليهـم إطـلاق قلب أسـير ... فعسى يأسرون دمعـا طليقـا
وامنحيهم وداً صحيحـا قويـا ... من عليـل مضنى وعهـداً وثيقا
واقرئي منـي السلام خـلا وفيا ... ألمعـي الندى[2] صديقا صدوقا
من نمـا فرعه فأثمر عرفا ... وزكـى أصـله فطاب عروقا
وفـق الله سعيـه للمعالي ... وقليـل مـن يرزق التوفيقـا
نعمـة الله ، يا شقيـق فـؤادي ... لا برحت المـدى شقيقا شفيقـا
غبت عني فـلا وعينيك ما ذُقـ ... ـت منامـا ولا خيـالا طروقـا
وترحلتَ عنك كَرهـا وما أكـ ... ـره ما فارق الصّديق الصّديقا
كـلُ سِلم أراه دونـك حربـا ... لليالـي وكـلُ رحب مَضيقـا

وقال فيمن هجاه :

وقائله : لمْ لا هجوت الذي هجا؟ ... فقلت له : هجوُ اللئيم بتركـهِ
وهب أنـه أورى من الهجوِ ناره ... لسبكي فما ذام[3] النُضار لسبكه

---

(1) في الأصل : من المسك ، اسقطنا « من » للوزن . ذراها : اسم لما ذرته الريح .

(2) في الأصل : ألمعيا نديا ، وما ذكرناه مناسب للوزن ، والمصدر مضطرب .

(3) ذامه ذيما وذاما : عابه وذمه .

تزيف في نقدي وأخلص معدني ... ولا يُعرف الدينار دون محكّه
ولي أسوة بالهاشمي وقد هُجي ... على زهده في الأنبياء ونسكه
أنزّه شعري عن دناءة قدره ... وأنقي يقيني من دناسة شكه
وقومي أدرى يا بثين وقومه ... بصدقي في هذا المقام وإفكه
أما ومجرّ الزاغبية في الوغى ... ومُجري المذاكي في محابي بضنكه
ومد ذراع المشرفي كأنه ... يشير الى صوني احتقاراً لهتكه
ومهوى رجوم من نجوم كنانة ... لمسترق سمعاً تجزه بهُلكه
وملقي الأعادي[1] جحفلا بعد جحفل ... بعزم أفت النائبات بفتكه
وحبّيك من قلبي إليه مغرّم ... عليل هوى مضني عليك[2] بنهكه
يغالب مهما لحت عقدك دمعه ... ويمسي اشتياقا في النحول بسلكه
ولو[3] أن من يرضى المثالب خطة ... ويرفع في صفع الدنيّ وصكه
لنلت منالا منه ما زال بعضه ... إذا ما طغى اليمّ الملم بفُلكه
ولكن لي حلم ابن قيس[4] وصدقه ... وفهم سليمان وغرّة مُلكه

توفي سنة اثنتين[5] وثلاثين وألف، غريبا في حماة، كما توفي والده غريبا بالبصرة وعمره نحو الخمس والثلاثين.

(١) في الأصل: للأعادي.
(٢) نهك الثوب: لبسه حتى خلق، ونهك عرض فلان: بالغ في شتمه.
(٣) في الأصل: لو، أضفنا الواو للوزن.
(٤) يعني: الأحنف بن قيس، المشهور بالحلم.
(٥) في الأصل: اثنين.

٦١ ـ حسين بن عبد الله

عتيق الحاج باكير ، سيده من أغنياء محلة البيّاضة[1] المشهور بالشيخ حسين المملوك ، مستعبد المفاخر ، ومسترق المآثر ، شقيق الهدى وسمير التُّقى ، المتحلي بقلائد السالكين ، والمتطوق بعقود جواهر الناسكين • المغرد بألحان الأشعار ، في حانة التوحيد والأذكار ، استعبد بها معبداً وصيَّر أبا إسحاق لمحاسنها مقلداً ، المترنم بزجل تسبيح الركوع والسجود الذي أوتي مزماراً من مزامير داود ، الكاشف عن قناع القناعة ، الذي استرقَّ العباد فأطاعته إطاعة •

كان من أهل الفضل والدين ، له قدم في التوكل والعزلة وقمع النفس ومنعها عن الشهوات • ولا يخلو عن سوء خلق ،ولا[2] يتعاطى حرفة ، وليس في يده وظيفة ، ولا يتردد الى الحكام أصلا • مقيم بالجامع[3] الكبير بحلب ، في خلوته في الشرقية ، يأكل أحسن الأطعمة ، ويلبس الملابس اللطيفة ، على أساليب الدراويش ، يتعمم بالمئزر العسلي ، ويضع على كتفه الاحرام ، من أهل الخير الاحسان •

وكان يستخدم بعض الناس في بعض حاجاته ، ويقول له : هذا الكانون فيه رماد خذه وكبه في مكان ترى الرماد • فاذا فعل ذلك وجد دراهم بين الرماد ، وضعها له ، وهذا من الصدقة السرية •

---

(١) سميت بهذا الاسم لأنها كانت تشتمل على خان مختص لبيع البيض • وقيل : لأن أرضها كانت حواراً•وعلى هذا يجب أن تلفظ بتخفيف الياء ، وهي من أعمر محلات حلب وأجودها ماء وهواء •
ـ نهر الذهب : ٢/٣٨٠ • وما زالت ، وهي قريبة من القلعة ودار الافتاء •

(٢) في الأصل : لا ، أضفنا الواو •

(٣) في الأصل : بجامع •

قرأ على الشيخ الوالد ، وعلى تلميذه الشمس العمادي ، وأخذ طريق القوم عن الشيخ محمد العمادي / والد الشمس • وكان له قدرة على تأليف مقامات الصوفية بالألحان الطيبة • وينشد كلام القوم في حلقة الشيخ محمد العمادي ، ويُقرىء الطلبة في مقدمات العلوم •

٧٨

هاجر من حلب الى مكة المكرمة ، وجاور بها وساح في البلاد ، ثم استقر في آخر عمره بدمشق • جاور ببعض حجرات جامعها الأموي ، مقبلا على العبادة والماء والمحراب • وله بعض معرفة بكلام القوم الصوفية ، وحسن نظم ونثر وخط • ورأيت له مؤلفا مستقلا في حل ألغاز الشيخ ابن الفارض قدس سره •

من جملة ماقال في الديباجة «طالما طالبني خاطري أن أسرح طرفي في أزهار رياضها ، وأسرح بطرف الهمة بعد الورود من حياضها ، بين غياضها • وأن أشرح ما فيها من الفوائد المنظومة ، في طي الكلام ، وأرشح فرائدها بنشر البيان منثورة طرفها على طرف التمام » •

وقال في لغز سلامة[1] : أراد بنصف « يس » له أولا حرف السين ، وأرد بأن ترد ثانية فهو لا لفظة لا • وأراد بقوله منه تبقي بعد ذا ، قلت : مه ، لفظة مه • واستنبط منه لغزاً آخر في مالك • فقال • • •[2] •

مات سنة أربع وثلاثين وألف •

---

(١) سلامة (اللغز) وهي من مولدات المدينة • أخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وغيره • وإنما سميت « سلامة القس » لأن رجلا يعرف بعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، شغف بها وشهر ، فغلب عليها لقبه • ــ الأغاني : ٣٢٤/٨ •

(٢) لم يتم المؤلف (أو الناسخ) كلامه ، وترك مقدار قطعة من أربعة أبيات فارغا •

٦٢ ـ حسين بن محمد البيمارستاني

نقيب الأشراف بحلب ، وكان يكتب « الحسيني » لبس بُرد الشرف القشيب ، والمجد بالتلبية له مجيب ، وهمل الحظ عليه شؤبوبا[1] وكان كأبيه الى الخمول منسوبا • طاعته الأموال ، وشايعته الآمال ، واتسعت ساحات دنياه ، ودانت حرون المطالب لهواه • اتخذ النّقابة أحبولة أمانيه ، وشرك دولته ، وشباك ما يبتغيه ، مع صباحة وجه زادته كمالا ، ودماثة أخلاق كسته جمالا ، وسلاسة طبع سرق النسيم بعض رقتها ، وسماحة كف دخل الطائي تحت رقمتها ، سوى ما رمي بـه من ارتياحه بالـراح وانشراحه • وقد ضحك المشيب برأسه ، بقهقهة الدّنان لدى معانقة الأقداح ، وعكوفه على الاغتباق والاصطباح ، ومصاهرته لمن لا يدانيه ، ومظافرته لذلك السفيه ، مع أمور ستذكره جرّد الـدهر خيامه عليـه وشهـر ، الى أن ظفر بالسعادة ، وكان تالي الحسين في الشهادة •

تولى نقابة حلب بعد موت والده ، ونازعه الشمس الرام حمداني فانه كان نقيباً قبل والد السيد حسين ، فتقرب السيد حسـين الى يحيى أفندي من بستان بالهدايا حتى قررها عليه وعرض له بها •

وكان صاحب أموال جزيلة، حصلها من التجارات والمداينات • وأخذ أمراً بالتقاعد عن دفتر داريّة حلب ، وكان لا يأخذ مـن الأشراف مالا ولا يصادرهم ، بل كان يبذل لهـم القِـرى ، ويقضي مهمات مصالحهم ، بخلاف غيره من النقباء •

ولما استولى خدا وردي الآتية ترجمته على حلب ونواحيها ، وامتدت يده ، زوّج ابنته لابن خدا وردي ، كما زوّج أبو الجود أفندي ابنتـه لخدا وردي تقربا الى جاهه •

---

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والشدة من كل شيء ، جمعها شآبيب •

ولما تولى نصوح باشا كفالة حلب ، وفهم الشيخ أبو الجود أنه يريد الانتقام من خُدا وردي وبقية / أجناد دمشق المستولين على حلب ، فرّ قبل وقوع الفتنة الى دمشق والسيد حسين ثبت ، وكان يداري الباشا وهو في الباطن يبغضه وينوي له السوء ، ودرويش بيك بن مطاف أحد متفرقة حلب مقبول الباشا كثير البغض للسيد حسين بواسطة أخيه السيد لطفي، فانه كان عدواً للسيد حسين مع كونه أخاه •

٧٩

فكان السيد لطفي يثلب أخاه بحضور درويش بيك، ودرويش بيك ينقل ذلك للباشا ، حتى وقّع الحرب بين نصوح باشا وحسين باشا كما ذكرنا، وانكسر نصوح وعاد الى حلب مقهوراً فوشى السيد لطفي أن أخاه فرح بكسر عسكر الباشا ، وأنه قرأ مولداً في هذه الليلة للفرح • فذهب الباشا ليلا الى دار السيد حسين فسمع ضرب الدفوف وأصوات الغواني، وإمارات السرور • وكان سببه أن بنت السيد حسين ولدت ولداً ذكراً في تلك الأيام ، فاجتمعت النساء للفرح •

ففي اليوم الثاني طلب الباشا السيد حسين صاحب الترجمة، فأخذ معه شريفا من بيت صفّاف الجِبس[1] ورجلا يقال له منصور بن حلاوة فدخل الثلاثة الى دار السعادة، فأمر الباشا بخنقهم خِفية، فخنقوا وألقيت أجسادهم في الخندق ، بحيث لا يشعر بهم احـد • وضبط الباشا أموال السيد حسين ، وهرب السيد لطفي لما قيل له : إن الباشا يقتلك أيضا ، وليوهم الناس أنني ما سعيت في قتل أخي • وقد كان السيد لطفي يحلف الأيمانات العظيمة أن أخاه يشرب الخمر ويلبس شبقـة النصارى[2] ، ويذكر ذلك للباشا ، وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة وألف •

مات السيد حسين وعمره نحو سبعين سنة •

---

(١) الجبس : البطيخ الأحمر•والكلمة حلبية قديمة • ويسمى بلغة الحجازيين «الحبحب»، وسمي « البطيخ الهندي » • وسماه دوزي « البطيخ المأموني » • وهي محرفة عن « زبش » •

(٢) هي القبعة الأجنبية ذات الحافة التي يدعوها نصارى حلب كذلك « البرنيطة »•وقد دخلت بلاد الشام منذ قدوم الصليبيين ، وارتداها نصارى حلب منذئذ •

٦٣ ـ حسين بن الأمير فياض الحياري(*)

يتيم الامارة ، وجوهر الصدارة ، وشبل الضراغم ، ونبت الملاحم ، غصن ريان من نمير النعيم ، وفرع نام من دوحة التعظيم ، ثمل من راح الشباب والقوة ، نشوان من خندريس الأموال ، وغضاضة الفتوة ، غرّه ما سبكته بوادق التجارب ، صلف لم ينظر الى العواقب • التمس الدهر غرّته ، وانتهز غفلته ، وباشر بكلتا يديه صرعته ، لم يرعَ فيه إلا[1]، ولا اصطفاه خِلّا ، خسف بدره قبل التمام ، وباعه بالبخس ولم يقل : « يا بشراي هذا غلام »[2] • أظن أنه بعد موت والده ولي عهد الامارة ، فوضع يديه على خزائن والده،واحتفت به العرب،وإذا بابن عمه الكبير الأمير مدلج بن الأمير ظاهر قدم بجماعة من الأمراء ، وحولوا المذكور عن الامارة وعن خزائن والده ، وحاولوا قتله فهرب ، فانعقدت الامارة لمدلج لكونه أكبر منه وأوجه ، وأقرب الى سلسلة الامارة ، ولكونه كان شريك والده في قتل الأمير شديد ابن عمهما الذي كان أمير العرب ، وكان الأمير فياض عاهده على أنه إذا مات تكون الامارة من بعده له • ثم نزل حسين على باكير شوباصي واستظل بظله ، حتى أصلح بينه وبين مدلج وجعل له جانب من الولاية قليل • ثم وقع في بغداد ونواحيها ثلج عظيم لم يعهد وقوع الثلج قبل ذلك ببغداد ، وحسين هناك ومدلج بعيد عنه ، فأمِن مدلج بسبب ذلك • فركب حسين في الثلج ، وذهب بعد أيام الى منازل مدلج ونزل خِفية حتى أدركه الليل •

★ سبقت ترجمة بعض الحياريين •

(١) الإل : العهد والقرابة •

(٢) الآية : ١٢/ سورة يوسف : ١٩ •

وكان [من][1] عادة مدلج أن يسهر مع جماعته الى نصف الليل ، ويدخل الى نسائه • وكانت زوجة مدلج بنت شديد تُساهر النساء ، وكان مدلج يدخل ثملا من الخمر • فلبس حسين لباس النساء ، ودخل بين النساء ، وأطال الجلوس ، حتى يجد فرصة في قتل ابن عمه ، وكانت شديد زوجة لوالد حسين ، فبالفراسة علمته وتحيرت بين أن تسكت ، فيقتل زوجها وبين أن تتكلم فيقتل ابن زوجها • وإن قالت له : اهرب تخاف أن يسمع زوجها ، فقالت في معرض كلامها بمناسبة: لا ينبغي المخاطرة في الأمور ، وينبغي الاحتفاظ على النفس من القتل • فلما علم حسين أنها / اطلعت ، خرج من بين النساء هاربا ، ثم وقع في خاطرها أنه ربما يقتل زوجها خارج دارها، فصبرت ساعة ، ثم بعثت لزوجها أنني رأيت بين النساء من يشبه الحسين ، وما تحققت هذا الأمر ، فاحتفظ على نفسك • فعند ذلك بعث مدلج جماعته ، فوجدوا الحسين ركب فرسه ، وانهزم ، فأتبعه بالعسكر، فما أدركوه • ثم بعد ذلك كثر أتباع حسين من العرب ، وواعده طائفة من العرب الذين عند مدلج أن يتابعوه ويشايعوه • فأشار عليه قوم بأن يأخذ من مراد باشا حاكم حلب عرضا في الامارة ليتقوّى من جانب السلطنة • بعد ما قال له بعض العرب : الأروام لا وفاء لهم بالعهود • فلم يسمع ، وجاء الى حلب ، وقدم الهدايا الى الباشا ووعده ، وكتب مراد لمدلج يطلب منه خمسة وعشرين ألفا من الغروش ، ليقتل له الحسين فوعده ، فغدر مراد بحسين ووضعه في سجن القلعة ، حتى جاءه المال ، فخنقه ثم بعث عساكره لنهب أمواله وجماعته ، فقاتلوهم فانهزم أتباع مراد باشا • وأخذ عرب حسين جميع ما كان بيد جماعة مراد حتى نزعوا ثيابهم ، وأدخلوهم الى بلاد أريحا عراة حفاة ، كأنهم وردوا الحساب • ثم إن الله سلط الوزير الحافظ حتى قتل مراد باشا ؛ كما تَدين تُدان •

٨٠

(١) إضافة المحقق •

٦٤ ـ حسين بن محمود
الشهير بابن العريفي الشافعي

كدح بالشمال واليمين ، وكدّ بالفضل حتى صادف عرق القربة والجبين ، وسجد في ساحات المشايخ لا أقول الشهور بل السنين • وفر من الحضيض الى العيّوق ، وانتهج سننا غير مطروق • كم شتت والد جموع الأموال ، لينال الابن مجامع الكمال ، الى أن حصل بعد اللّتيا والتي[1] فضيلة طاهرة ومحاسن ظاهرة لا بأس بها • فاعتبر : « نحن قسمنا بينهم »[2] تلقه حقا وبالحق نزل •

قرأ المذكور على الشيخ الوالد ، وعلى الشيخ محمود البيلوني وعلى شيخهما الجمال بن حسن ليه • له فضل متوسط ونظم حسن متوسط •

كان دمث الأخلاق ، محبا للناس ، له حسن مودة ، تولى المدرسة الأرغونية وكان يقرىء دروسا فقهية ونحوية •

توفي في سنة ثمان وثلاثين وألف ، ودفن عند المقام بالقرب من قبر الشيخ أحمد الحموي •

---

(١) تعبير يستخدمونه بمعنى : بعد جدال وخصام • وقالوا : وقع في اللتيا والتي أي في الدواهي المتنوعة •

(٢) جزء من آية ٣٢/ سورة الزخرف : ٤٣ •

٦٥ ـ حسين أفندي الحي زاده

مفتـي الممالك العثمانية • طالما كانت المراتب تُدانيـه والأماني تجيب دعوته وتلبيه ، والسعادة جاثمة لديه ، طوع يديـه ، والفضائل تـزهي بـه مقاما ، والكمالات تقف بعتباتـه احتراما ، وتحط رحـالها لديها نقضا وابراما • رضع ثدى المعالي طفلا ، وتأدب في مهـود المجد علما وفضلا ، ولـم يأل[1] في افتضاض التحقيقات شابا وكهـلا ، حتى أزهرت نيّرات علومه في منازل الارتفاع ، وحلت كواكب سعده في آفق المجد بـلا دفـاع • فارتقى في سمـاء المعالي غبوقا ، وأظهر في أقطـار المناصب شمس رفعته شروقا • فأينعت ثمرات دولته ، في دوحة جلالته ، دانية القطوف ، فهـو في العلم العَلَم المعروف ؛ بابه قِبلة القـُبـل ، ومحط رحـال المطالب والدول • كلمتـه مرفوعة ورافعـة ، وصوارم أحكامه قاطعة ، وأقلامه أصدق أنباء من الحسام ، ومجده الباهر يستنير به الظلام • فبينما هو يرتـع في حدائق دولته ، ويكرع من نمير معالـي رتبته ، هبت عليـه عواصف الأقـدار ، وفاض تنـور القضاء يعارض الوابل المدرار :

يا منزلا لعب الزمـان بأهلـه ... وأبادهم بتشتت لا يُجمـع
عهدي بهم بالأمس كانوا ملجأ ... كان الزمان بهـم يضر وينفع

وجردت عليه صوارم الدهور • انتقل قتيلا من دار الفناء الى منازل السرور • فصار بالشهادة سعيـدا ، وثنـاؤه حميداً • قـدم حلب في في صحبة •••[2] وتزوج ابنته في حلب ، ثم لم يزل يترقى في العلوم

(١) الأصل : يالوا •

(٢) بياض في الأصل قدر اسم ، وهو عمه أبو زوجته •

والمناصب ، حتى تولى قضاء العسكرين على الترتيب / مع فصاحة لسان عربي ، وقوة جنان ومحامد مشهورة ، وفضائل منثورة ٠ ٨١

وبلغنا أنه لما مات المرحوم أسعد أفندي وحاول فتوى الممالك العثمانية محمد أفندي غني زاده ، أرسل يقول للسلطان : كل من وقف على قدميه بحضوركم ، ورفعت إليه ثلاث مائة مسألة وكتب جواب المائتين من غير مراجعة ، فليعط الفتوى ، فلم يُصغ الى هذا ٠

ووجهت الفتوى ليحيى أفندي فسمعت أنه فرح بذلك ، لكونه أكبر منه ، وأقدم في المناصب ، وإنما غضب لو أخذها غني زاده ٠ وحين كان قاضيا بعساكر روم إيلي وكا نالوزير الأعظم مرة حسين باشا ٠

وكانت العساكر متغلبة على الدولة بسبب قتل السلطان عثمان ٠ ونسب القضاة والمدرسون الى الوزير الأعظم أنه قال عن صاحب الرسالة ﷺ : إن من مات من ألف سنة ، كيف نعتبر كلامه ، وقد صار عظما رميما ؟ فسعى صاحب الترجمة في قتله ٠ وعُزل عن الوزارة العظمى ، وقُدّم حسين باشا لضرب عنقه فضج العساكر في الديوان وقالوا : لا تقتلوه إن شاء الله تقتلونه[1] حتى نقتلكم ٠ فلم يبال صاحب الترجمة، بل صعق بصوت هائل ٠ وقال للجلاد : إضرب عنق هذا اللعين ٠ فضرب الجلاد عنقه في الحال ، ولم ينتطح فيها عنزان[2] ٠

ثم بعد ذلك سعى في الفتوى ، وعُزل يحيى أفندي والعسكر متغلبون ، والسلطان مراد ضعيف معهم ، فدخل عيد شهر رمضان ، فصنع العساكر الأراجيح ، وفرقوا الشمع على جميع أكابر الروم ،

---

(١) في الأصل : تقتلوه ٠

(٢) المثل المشهور : « لا ينتطح فيه عنزان » اي لا يكون له تغيير ولا له نكير (مجمع الأمثال : ٢/٢٢٥) ٠

وعلى ما بلغني كانوا يقولون : فلان يعطي مائة غرش ، وفلان يعطي ألف غرش ، حتى فرقوا الشمع على جماعات من أهل السرايا .

وأعطوا الشمع للمفتي حسين أفندي فرده رداً عنيفا . وأحضر شقيق محمد آغا كبير أمراءِ السباهية وقال : أنا أعرف أخاك حين كان أمرد[1] معشوقا لفلان ، واستطال عليه بالكلام ، فخضع له شقيق روم محمد آغا . ثم إن صاحب الترجمة قوّى جنان السلطان مراد حتى جمع السلطان جمعية على السباهية ، وزعزع أركان دولتهم . وجلس السلطان على سرير جلالته القديمة ، وقتل الوزير الأعظم وهو رجب باشا الذي كان مستظلا بظل العساكر . وسيأتيك في ترجمة السلطان مراد كيفية السعي في خذلان الأجناد . ثم إن حضرة السلطان مراد بعد ما قتل صناديد الأجناد أخذ يقتل بعض أعيان القضاة من الموالي ومن غير الموالي .

وكان من عادة بني عثمان ، خلد الله ملكهم ، لا يقتلون العلماء . ففي أثناء ذلك توجه السلطان الى بروسه[2] ، فاجتمع جماعة من الموالي وشكوا فيما بينهم من السلطان وأنه خالف قانون أجداده في قتل العلماء . ثم إن صاحب الترجمة كتب ورقة لحضرة والدة السلطان متضمنة : « إن قوانين السلاطين أن لا يقتلوا العلماء ، وإذا حصل منهم ظلم طردوهم الى بلاد بعيدة ونحن من الدّعاجية لابنك حضرة السلطان ، فنؤمل إذا قدم بالصحة من السفر تذكرين له ذلك بحسن عبارة ، ليترك هذا الأمر » .

---

(١) في الأصل : : أمردا .

(٢) بروسه : مدينة قديمة في الأناضول تقع بالقرب من ساحل بحر مرمرة . فتحها أورخان واتخذها عاصمة الى أن فتحوا القسطنطينية . وتدعى اليوم « بورسا » .

فلما وصلت الورقة إليها ، فكأنه وشى المفسدون أن المفتي والعلماء يريدون الاجتماع على خلع السلطان ، فكتبت الى السلطان ورقة بذلك ، وبعثت بورقة المفتي • فلما وصل الخبر إليه بادر السلطان بالمجيء من بروسه على أجنحة المسير ، ودخل قسطنطينية ، وأحضر المفتي وخنقه في الحال وذلك في خارج قسطنطينية في قرية بساحل البحر ودفنه في مكان لا يعلم قبره ، وبعث بابنه الى قبرس فاختل عقـل ابنه ، ومات ابنـه في غضون ذلـك ، وولي الفتوى ليحيي أفنـدي • ولـه تحريرات حسنة ، وفتاوى مقبولة • وقد كان قرأ بعض دروس في التفسير القاضي على والدنا حين كان في حلب ، وتزوج بها ، وقـد اعترض على المولى أبـي السعود أفندي حيث قال في قوله تعالى : « ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور »[1] فيه إشارة الى أن النزع/إنما كان **٨٢** بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل ، وتأخيره عن وصف بأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل • على أن اليأس من فضل الله ، وقطع الرجاء عن إفاضة مثلـه في العاجل ، إيصال أجره في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة • انتهى •

قال حسين أفندي : العلاوة منظور فيها ، فان اليأس إن كان من باب الكفران فهو حاصل بعد الكفران ، ومتأخر عنه ، وإن لم يكن فهو أيضا متأخر عنه ، فالعلاوة لا تقتضي جواب تقديم الكفران الذي هو مطلوب •

---

(١) الآية : ٩ / سورة هود : ١١ •

٦٦ ـ حسين البقاعي(*)

الشاعر ، له الشعر الفائق ، والنظم الرائق ، سيء الخلق ، حسن الخلائق ، وفطنته أصمعية ، وقريحته ألمعية ، يبرز من أستار فكره المخدرات ، ويُطلع من أفلاك ذهنه النيّرات · نزهة المجالس ، ظرفة المجالس ، أضحوكة المحافل ، سلوة الأفاضل ، ضم الى حسن التطبع قباحة التشيع · المذكور كان لا يأكل طعام أهل الكتاب جهاراً ، وهو مذهب الشيعة المخالف لنص كتاب الله « طعامُ الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم ، وطعامُكم »(١) ·

ومن عجيب أمره الذي شاهدته أنه في الظلام يوضع بين يديه كتاب، ثم يغطى رأسه ، والضوء بعيد عنه جداً ، فيقرأ ما في الكتاب مع كونه ضعيف البصر · وكان يقلد المصريين في لغتهم كأنه مصري ، ويقلد المغاربة في ألسنتهم ، وله فهم حسن ، وإلمام بعلم الطب · وقد مدحني بقصيدة ، قال :

الى كم وقوف العيس في دارس الرسم	وحتّام أستروي من الدمع ما يظمي؟
لقد كان لي عما تجشمته غنى	ولكنما الأقدار تمضي على حتم

★ حسين بن شهاب الدين حسين بن جاندار البقاعي الكركي · كان أديباً وشاعراً مطبوعاً ، وقد جمع مدائحه وسماها « كنز اللآل » ، وجمع أهاجيه ووسمها « السلاسل والأغلال » · من مصنفاته « شرح نهج البلاغة » و « عقود الدرر » في حل أبيات المطول والمختصر و « مختصر الأغاني » ، وغير ذلك · كانت وفاته يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة ست وسبعين وألف ، عن أربع وستين سنة ·

ـ خلاصة الأثر : ٢/٩٠ ·

(١) الآية : ٥ / السورة : ٥ ·

طحا بفؤادي حب عذراء كاعب ... تفوق ضياء الشمس والبدر في التم

أحن لسقمي إذ بها كان أصله ... وحسبك من صبٍّ يحن الى السقم

فماذا يروم العاذلون ، وإنما ... عليَّ سفاهي في الغرام ولي حلمي

وهيهات أسلو إنما تلك خطة ... يجانبها في الحب كل أخي عزم

وكيف وروحي قد تملكها الهوى ... فجردها عن عالم العقل والجسم

يعز على الواشين تمثيل صورتي ... ولكنما المرئي نوع من الوهم

وهل يخطر السلوان يوما بخاطري ... وما لاح في فكري ولا جال في فهمي

كذاك الهوى في أول الأمر جذوة ... وتعقبه الأسقام الى منتهى[1] العدم

ولا عجب من مغرم القلب إن سلا ... فقد تنتج الحرب العوان[2] الى السلم

ورب فتاة يغسل الكحل دمعها ... على ما رأته للنوائب من وسم

فديتكِ لا تستنكري ما ألم بي ... فرب نحيف فاز بالسؤدد الضخم

فأمضى الظبي ما أرهف العين قربه ... وما المجد إلا في نحيل القنا المصمي

وإني صبور ما تقحمت موردا ... فأعذبته حتى أمرَّ له طعمي

خبير بما يرضي الخليط مرامه ... فأصمت عن حلم وأنطق عن علم

إذا سامني خسفا من الأرض منزل ... أحثحث[3] عنه الدهم والشهب في الدهمي

وأسعى لما يرضى به المجد والعلا ... وأسمو الى السامي من الرتب الشُّم

عسى العيس تدنيني وإن شطت النوى ... جناب وفا العرضي ذي النائل الجم

هنالك ترقى في ذرى العز همتي ... وآخذ من أعلى العلا أوفر القسم

ولم لا ؟ وقد وافيت أكرم ماجد ... أنامله تستهلك البحر إذ تهمي

كلا راحتيه معدن الفضل والندى ... ولكنما إنتاجها مصرع العدم

---

(١) العجز مختل ، ويستقيم باسقاط همزة الى ·

(٢) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد مرة ·

(٣) حثحث البرق : اضطرب في السحاب · الدُّهم : ثلاث ليال في آخر الشهر القمري ·

تنـير دياجي الخطب أنوار رأيـه وتشرق منها غـرة الزمن الجهـم
بواعثـه مقصورة عن سِوى العلا فيسمى لما يرضي ويسمو لما يسمي
تضيء به الدنيا إذا الشمس لم تنر من الحلم والرأي المسـدد والحزم
لـه الحب الوضاح تزهـو رياضه كأن رياض العيف باكرها الوسمي
إذا ناضـل الأضداد آب بفضلـه ظهيراً وباؤوا بالمذلـة والرغـم
بديهـة فكـر كالحسام إذا سطـا ووابل جـود كالغمام إذا يهمي
تُعلمني نظـم القريض صفاته ولا عجب فالـدر يحسن بالنظم
إذا ما امتطى طرف اليراع بنانـه رأيت حبابا يمزج الشهد بالسم /
إذا ما دجـا ليـل من البحث مشكل أبان لـه فجـراً يلوح من الفهـم **٨٣**
أبـا المجد والجود المؤثـل بالندى وجاني ثمار الفضل والحلم والعلم
أتتـك عروسا عطر الكون نشرها كنافحة الداري[1] مفضوضة الختم
لهـا حسب في الآخريـن ، وإنمـا بفضلك يا مولاي فاقت على القدم

(١) نفح الطيب : انتشرت رائحته · داري : دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليها : داري (معجم البلدان) ·

٦٧ ـ حسين بن أحمد بن مهنا*

الأردويلي طريقة ، الشافعي أولا ، الحنفي آخراً • فرع دوحة رحاب الأذكار ، والسري[١] المؤدب في خلوات الاستغفار ، شذرة معادن الصفاء ، وثمرة دوحة الوفاء • المودع في خزائن اليقين ، المتولد من سلالة الدين ، والفرع النابت من رياض الصالحين الناصحين • لبس في مبادىء العمر حلل التقشف ، وتحلى بقلائد السلوك والتصوف ، ثم خلع تلك الخلع الفاخرة ، واعتاض عنها بزينة الدنيا الماكرة الساحرة، ودخل في طريق القضاء • وكان يظهر الاحتياج وعدم الرضا • قرأ على الشيخ الوالد وعلى الشيخ أحمد الحموي[٢] مقدمات العلوم ، ثم صارت لـه ملكة حسنة ، ولما مات والده ، وكان المذكور أمرد ، وله أخوان آكبر منه، أوصى والده له بالخلافة عنه، ثم إنه هو قدم أخاه الأكبر الشيخ محمداً • وبالجملة ، فلـه فضل وكمـال وحسن نظم ونثر • صار ملازما لنقيب الأشراف العلامة • وتولى الأقضية • ولـه صوت حسن ، ومعرفة بعلم الموسيقى ، ومعرفة حسنة بالتهليلات المسماة بالمقامات ، وكان قبل أن يتولى القضاء يحضر مع أخيه في مجالس الذكر ، فيملؤها طرباً ، وكـان سألني سؤالا منظوما ، فقال[٣] :

★ هو الشيخ حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بشهاب الدين البغاج بن عبد الرحمن بن مهنا الزيات • كـان يرد دمشق كثيراً • أورد البوريني شيئاً من شعره • ولد سنة ٩٩٦ •
ـ تراجم الأعيان : ٢/١٩٥ •

(١) السري : السيد الشريف السخي •

(٢) هو الشيخ أحمد بن يحيى بن حسن بن ناصر الحموي المعروف بابن (المؤذن) الفقيه الشافعي ، القادري طريقة • كان عالما محققاً • أخذ من علماء الأزهر ، وأقام بدمشق مدة • ثم تصدر للافتاء بحماة • توفي سنة ١٠٨٧ •
ـ خلاصة الأثر : ١/٣٦٧ •

(٣) بياض قدر صفحة ، وهو موضع القصيدة •

٦٨ ـ / حبيب المصري (*)

الشافعي القادري ، مَن أشرقت سرائره ، وأضاءت ضمائره وتعمر باطنه وظاهره ، وأبرقت لوامع أذكاره ، وطلعت في عيوق المجد مطالع أسراره . أقام بالبصرة شعار الأذكار والتوحيد ، ورفع منشور الولاية وعلم التفريد، فكان من الخواص كالخواص، وتلا آثار الحسن البصري فاستخرج لاهوته من طبائع الناسوت(١) ، فاراً بأجنحة الخلاص .

قدم حلب ، فاجتمع بالشيخ الوالد ، وكان مقبلا على العبادات والطاعات والأوراد وحلق الذكر وتربية المريدين ، سالكا طريقة الأستاذ الشيخ القطب عبد القادر الكيلاني ، وكان على ما سمعت يستخدم دعاء السيفي ، وكان يجزل موائده للمريدين ، ويمنح فوائده الوافدين . حج الى بيت الله الحرام ، وأقام معاهد تلك المشاعر والأحكام ، واعتقده سنان باشا بن جغال ، فأعطاه جزيرة في البصرة ، وأخرج له بها براءة ؛ فكان يأتيه منها معيشته ، ولم يزل مثابرأ على التقوى ، رافعا شعار أهل السنة ، فان بالبصرة شيعة شنيعة كثيرة ، الى أن انتقل الى رحمة الله من الفناء الى دار البقاء .

★ هو حبيب الله الشيرازي ثم البغدادي ثم المصري ، الشافعي القادري . خرج من شيراز مما كان يسمعه من سب أكابر الصحابة . فحج ثم قطن بمصر . ولزم الطريقة القادرية . أقام بحلب أياما ثم تحول الى بغداد ، حيث جاور بمشهد الشيخ عبد القادر . ثم ارتحل الى البصرة وأقام فيها الى أن توفي سنة ١٠١٤ .
ـ خلاصة الأثر : ١/٥٠٠ .

(١) الناسوت : الطبيعة الانسانية (وهو الناس) ، زيد في آخره واو وتاء . واللاهوت : بمعنى « إله » . وقد زيدت في آخرهما واو وتاء مثل جبروت وملكوت . والتركيب سرياني للاثنتين .

٦٩ ـ حبيب بن جانبولاد

الكردي الحنفي ، أمير لواء كلّس ، عقد الصدارة ، ويتيمة الامارة، القاهرة دولته ، الباهرة صولته، أسد الغابة ، وسهم الاصابة، المقشعرة[١] من مهابته جلمود[٢] الصخور ، المتخذة مخافة افتراسه أنقاب الأثقاب ذئاب الشرور :

وأخفتَ أهل الشّرك حتى إنّه لتخافُك النّطف التي لم تُخلق

مزق أجسام اللصوصية ، وكانت له خصوصية ، مع قول صاحب المُغرِب[٣] : « الكرد جيل من الناس ، لهم خصوصية في اللصوصية » ٠

تولى إمارة كلس بدلا عن أخيه حسين باشا السابقة ترجمته ، وكان له اهتمام بقتل اللصوص ، بحيث من اتهم بالسرقة ، وكان له أخ[٤] ، لا بد وأن يقتله ٠ حتى اتخذ خوازيق من الأخشاب ، ودهنها بأنواع الألوان ٠ فكان يخير اللص حتى يأخذ مايختار ، حتى قيل إنه مرة خيّر لصا، فاختار الأسود ؛ فسأله : لماذا اخترت السواد مع أنه لم يختره أحد قبلك؟ قال : لأني لم أجد يوما أبيض ، وإنما جميع أيامي سود ٠ فضحك ، ثم أمر باطلاقه ، وأمره أن لا يسكن في إقليم حلب أصلا ٠ وكان قد صار

---

(١) في الأصل : المقتشعرة ٠
(٢) في الأصل : جلود ٠
(٣) يريد المطرزي ، ناصر بن عبد السيد (٥٣٨ ـ ٦١٠) ، وكتابه « المعرب » في اللغة ، شرحه ورتبه في « كتابه المغرب في ترتيب المعرب » جزءان ٠
(٤) في الأصل : أخا ٠

محافظا للمالك الحلبية مرارأ ، حتى اشتهر بقمـــع المفسدين ، وقطـــع جاذرة[1] السارقين ٠

ومات قبيل الألف ، ودفن بمقبرته خارج باب المقام[2] ٠

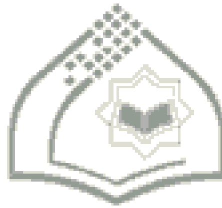


(١) لعلها من : جذره إذا قطعه واستأصله ٠

(٢) باب المقام : أحد أبواب حلب ٠ سلم جزء منه ٠ سمي كذلك لأنـــه يفضي الى مقـــام ابراهيم (ص) في مقبرة الصالحين ٠ وكان يسمى أيضاً الباب القبلي ٠ وعرف مدة بباب النفيس ، والنفيس كان قائداً عسكرياً ٠
ـموسوعة حلب : ١٩/٢ ٠

حـرف الخـاء




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٧٠ ـ خليـل الكرديُّ

المجذوب . مَن استنار لبُّه ، واستطار قلبه ، وانكشفت له مظاهر حبه ، ولاحت له تجليات قربه ، فدهش عقلـه ، وطاش سره ، وحـاش حاشيه ، وارتاع روعه ، فغدا حليف الغرام ، وخليف الهيام ، لا يقر له قرار ، ولا يتسلى باصطبار ولا فرار ، وخلع العذار ، ومزق الأطمار ، وأنف الأوطان والأوطار والأطوار . وانتظم في عقود المولهين ، وسجـل عليه في صكوك المحبين أنه من عقلاء المجانين .

كـان في الابتـداء يسقي المـاء ، فحصلت لـه الجذبـة الربانية في قسطنطينية ، ثم ألف جامع حلب الكبير . وكم فزنا بتقبيل يديـه وكان يحبنا كثيراً ، ويدعو لنا ، وكان يتكلم بالعربية المشوبة بعُجمة الكردية، وأخرى يتكلم بالكردية الخالصة ، وهو ذو شيبة بيضاء ، ورأسه شعـره أبيض ، مع قوة بدنه ، وكان يصلي الصلوات الخمس مع الجماعة ، لكنه من شدة الجذب يتحرك حركات عنيفة تُبطل الصلاة وكان يصرخ دائما بصوت عنيف ، يقول الله الله الله هو ، ويمد لفظة هو . وكان إذا توضأ كأنه يضرب الماء ، ويقول عن السلطان سليمان سليمانو ، وعمن اسمه محمـد محمدو ؛ فان الأكراد هكذا يقولون ، وممـا شاهدنا مـن كراماته أن رجلا من أتباع أكابر، يقال لهم بنو المجلوني، ضربه بخنجر في سكره ، ولم يدّع عليه ، ثم إنه هلك بعد مدة قليلة ، ومن كان منسوبا إليه أذهب الله دولته سريعا .

مات سنة ثمان وألف ، ودفن / بقبور الصالحين بالقرب من مرقـد الشيخ عبد الرحمن البتروني رحمه الله عز وجل ، وصارت لـه جنازة حافلـة . ٨٥

٧١ ـ خليل السرميني(*)

ليس من ضُمَّر هذا الميدان ، ولا ممن يلج ساحته في رهان ، ولا بلبل كمال حري أن يغرد في روض المحامد على عود ، وإنما هو طفيلي تلك المآرب ، دخيل هذا النسب ، بعيد عن عبوق هاتيك المراتب ، بيد أن غريبته الذائعة(١) وعجيبته الشائعة ، التي تصغي إليها آذان الزمان ، وتدخرها في خبايا زواياها الأذهان ، باعثة على نظمها في قلائد هذه العقود ، فانها من ملح الوجود • كان المسطور من سرمين فاستوطن حلب، وكان عجانا يسهر في الفرن لعجن العجين ، وكان شجاعا لا يبالي ، فداوم السهر منفرداً ، فبينما هو في الفرن ليلا برزت له طوائف الجن ، ومعهم عذراء جميلة ، فقالوا له : إن هذه اسمها خاتون ، وقد مالت إليك، تريد أن تتزوج بك بمقتضى شرع الله عز وجل • فرضي بذلك ، وأجروا عقد النكاح ، فغشيتْه حتى وجد لذة الجماع • ولم يزل معها على تلك الحالة، وكان يحب الغلمان ، فكان بمجرد ما ينظر الى غلام ويكلمه ويمازحه تعلـّقه بغير رباط في مكان مرتفع وتضربه أشد الضرب حتى يشفع فيه جماعة من الانس ، فتقبل الشفاعة بعد اللـّتيـّا والتي ، وكانت تتكلم بالتركي• أخبرني الوالد أنه أحضره عنده ليلة للعشاء ، وقال له : ناد(٢) خاتون حتى نتكلم معها • فناداها ، فحضرت وقال لها : شيخ الاسلام يريد أن يتكلم معك فقالت بحيث يسمع الحاضرون ولا يرونها : ماذا يريد مني شيخ الاسلام وأنا امرأة أجنبية ؟ فقال لها زوجها : استحي

★ المنسوب الى « سرمين » : بلدة مشهورة من أعمال حلب • يروي الميداني انها بلدة « سدوم » • وكان أهلها في زمان ياقوت إسماعيلية •

(١) في الأصل : الذائقة •

(٢) في الأصل : نادي •

هذا شيخنا • فقال الوالد : يكفي ياست خاتون ، كلفنا خاطرك• فقالت له : مسّاك الله بالخير • بالتركية ، وتوجهت ، ثم دخل خليل بعد صلاة المغرب الى كنيف الزاوية وجد[1] الوالد معه ضوء في الكنيف ، فلما خرج قال له : مَن وضع الضوء ؟ فقال : خاتون •

وأخبرني الشيخ محمد الموقع[2] عن الشيخ كريم الدين قال:دعوناه الى كرم ، فقال : أستأذن خاتون • فأذنت بشرط عدم المبيت في الكرْم ، فاركبناه حماراً ضعيفا بطيء الحركة • فلما خرجنا خارج باب قنسرين، كان يسبق الخيل ، فسألناه ، فقال : خاتون تنخزه لي • فلما حضر في الكرم أبطأ العَشاء ، فألزمناه بالمبيت ، فرضي على كره ، فرأيناه دخل المنظرة ، وأغلق بابها من غير القفل ، وإذا به معلق وهي تضربه، وعجزنا عن فتح باب المنظرة • وكنت الفقير أراه كثيراً في الجامع الكبير ، وأنا صغير ، فأهاب أن أتكلم معه خوفا من الجن •

وكان أصفر اللون جداً ، شيخا كبيراً يتعمم بالمئزر الأسود ، وكانت تعجن له القنطار في ساعة واحدة • وكان خليل ساكنا في دار الحاج علي الجراكسي ، وكان الحاج علي صاحبا لي ، فكنت كثيراً ما أسأله عنهما ، فيخبرني بعجائب أخبارهما ، وما يقع بينهما •

مات تقريبا في سنة ست وألف ، وعلى ما قيل : كان له أولاد من الجن ، سمع جماعات أصوات أولاده من غير رؤية ، والله أعلم •

---

(١) في الأصل : فوجد •

(٢) كمال الدين محمد بن الموقع ، المتوفى في أواخر القرن العاشر • مصري الاصل ، حلبي المولد • واسمه الكامل : محمد بن أبي الوفاء الشيخ كمال الدين • ـ اعلام النبلاء : ٧٩/٦ •

٧٢ ـ خليل بن الشيخ محمد بن الشيخ خليل

قاضي إدلب الصغرى ، ذكاؤه يتوقد ، وفطنته تكاد تستنبط الماء من الجَلمد ، أصمعي النجابة ، ألمعي الاصابة ، حركاته مختلفة ، بالغرائب المؤتلفة ، استولى عليه سلطان الكيف ، فازداد فهما بالكم والكيف ، مسامرته تُنسي الغريب أوطانه ، ومحاضرته تنشط من البليد عرفانه، لجّ ولجّ في الطلب معاهد الأدب ، الى أن انتزع منه روحه داعي المنون ولم يدمل في الغرام جروحه ٠

لازم الشيخ محمداً القنبري[١] في اقتناص الفضائل مدة مديدة ، أسفرت / عن فريدة ، والاطلاع على مباحث مفيدة ، ثم لازم مدة قليلة ٨٦ من الزمان القراءة على الشيخ أبي الجود في شرح المنار[٢] ٠ ومن عجيب أمره أنه كان لا يهجع عن المطالعة ليلا ولا نهاراً ، بحيث لا ينام إلا قليلا لشدة ما يأكل البَرْش[٣] ٠ وإذا لاحت له مسائل كتبها على هوامش كتبه سواء ناسبت ذلك الكتاب[٤] ، ثم يبدو له عنها ، فيقطعها بالمقراض ولو كان الكتاب لغيره ٠ وكان أعاره أبو الجود أفندي كراريس من حاشية

---

(١) الشيخ محمد بن خليل بن علي بن أحمد ناصر الدين بن قنبر ٠ الحلبي مولدا ، الفارسي محتداً ، المعروف بابن قنبر ٠ توفي سنة ٩٦١ ٠
ـ إعلام النبلاء : ١٥/٦ ٠

(٢) منار الأنوار في أصول الفقه للنسفي ت ٧١٠ ٠

(٣) البرش : الحشيش والأفيون ٠

(٤) الجملة ناقصة من الأصل ٠

المنار لابن الحنبلي مع شرح المنار[1] ، فوضع الكراريس في محفظة ، ثم تركها نسيانا في حافة طريق ، وأخذها رجل ، فترك الدروس مقدار جمعة ، وهو يظن أن الكراريس بين أوراقه ، وأنه كسلا لا يخرجها · فجاء رجل بالكراريس الى أبي الجود أفندي ، وباعه إياها ، وأبو الجود أفندي لا يقول له : الكراريس عندي · بل يقول له مع الناس : تعال الى الدرس ، وهو متحير ، الى أن حضر ، فقال : اقرؤوا ! فقال له : سلطانم[2] ، ما طالعنا · فأخرج له الكراريس ·

سلك طريق الملازمة حتى تولى قضاء إدلب الصغرى ، فقيل له : في إدلب نحو أربعين قدراً يُطبخ فيه الصابون ، فقال انظروا الى حماقة أهل إدلب ، حيث لم يضعوا قدراً واحداً أقل المراتب لطبخ البرش ! وكان من جفافه ينزل منه شيء كالبعر ، وكان يحب الحلوى ؛ فيؤتى بورقة من الحلوى ، ويأكل ما فيها ، ويضع في الورقة بعر روثه على أسلوب وضع الحلاوة ، ومن شدة كسله يتغوط مكانه ، ويضع البعر في الورقة، فيدخل جماعته يظنون أن في الورقة حلاوة ، فيجدون ذلك ! ·

وكان والده صاحب الحكاية العجيبة حيث احترق مع الشيخ محمد الموز في طلب الكيمياء ، كما سيأتي ·

توفي سنة ثمان وثلاثين وألف، ودفن عند باب بانقوسا عند قبر والده ·

---

(1) شرح ابن الحنبلي المنار على شرح ابن الملك ، مسماة بأنوار الحلك على شرح المنار لابن الملك · توفي ابن الحنبلي سنة ٩٧٢ ·

(2) ـ أي سلطاني ·

٧٣ ـ خليل بن عبـد الله

أحد شوربجية عساكر دمشق • لقد شوّه[1] وجه الصحيفة بأجناده، وألبست هذه ثوب الحِداد بفظائع آثاره ، وأسبلت أزمة جواد القلم في ميادينها فتقاعس ، وأيقظت أجفانه للنظر في معرته فتناعس ، فلم يلج في حزن ذكره إلا بالتعنيف ، ولم ينطق ببنت شفة حتى وكزته بالبخس العنيف ، بيد أن نبأه من العبر ، وتقلبات الدهور فيه من عظات الحذر ، وحلم الله حيث لم يعاجله بالانتقام حيرت النظر ، وبعد اللُّتيا والتي كرّ عليه بسيف الانتقام ، وتوالت عليه صوارم المصائب حتى هوى في هوّة الاعدام • كان من آحاد عساكر دمشق ، ثم ترقى حتى صار من آكـابر الشورْبجية •

كان من قديم الزمان ، في دولة بني عثمان ، يرسلون شرذمة مـن عساكر دمشق ، وعليهم شورْبجي لحوالات أموال السلطنة ، فيحصل لهم الانتفاع ، ويخدمون عند الدفتردار ، وفي دار الوكالة ، وفي باب القنصل الافرنجي ، وفي كل مدة يرسلون غيرهـم ، وعليهم شوربجي حتى قطـن بحلب أعداد كثيرة منهم ، واتسعت أموالهم ، وكبر جاههم ، واستولوا على أغلب قوى السلطنة • يعطون مال السلطنة عن القرية ، ويأخذون مـن أهلها أضعافا مضاعفة ، ويبقى أهل القرية جميعا خدمة لهم ، جميـع ما يجمعونه لغيرهم لا لأنفسهم • فلما تولى الحاج إبراهيم باشا[2] كفالة الممالك الحلبية ، وكان رجلا أعدل الأمـر ، فطلب في عرضه أن يجعـل

---

(١) في الأصل : شوهت •

(٢) انظر ترجمته قبل ، رقم (٦) •

السلطان عساكر قلعة حلب ، ويضم إليهم ضميمة ، يكون المجموع خمسمئة ، قُولا جديداً ، ويكون الاستخدام للقُول الجديد ، فأجيب • وكتب القُول الجديد، وترتبوا على هيئة قُول الشام وقُول القسطنطينية وكانوا يلبسون المكجيّات ، ويضعون شبه المكانس من الريش ، فلم يُزد الدمشقيين هذا الأمر إلا نفاراً واستكباراً • ولما قدم علي باشا كافل الممالك كنْجهار[1]، اجتمع الزعماء والمتفرقة ، وجمعوا العلماء وأمروا باخراج الدمشقيين من حلب • ونودي عليهم أن لا يستوطنوا حلب ، فخرجوا ، ثم تقوّى عساكر حلب ، واستطالوا حتى قَتل جمال الدين بلوك باشي[2] أحد قُول حلب رجلا من عساكر دمشق اسمه محمد باشا في الباب ، فحين سمع الدمشقيون / ذلك أخذتهم الحمية الجاهلية حتى فعلوا ما سيأتي • **٨٧**

ثم سعى شريف محمد باشا وكان كافل دمشق بعد عزله من دمشق في كفالة حلب من جانب السلطان ، وأخذ أمراً باستخدام عساكر دمشق في حلب على العادة القديمة ، وتوجه الى السردار حسن باشا المعيَّن على حرب الخارجي عبد الحليم اليازجي ، وسيأتي في العين ذكره •

فقدم حلب ومعه عساكر دمشق عموما ، فخرج لاستقباله كافل الممالك الحلبية بشير باشا ومعه قُول حلب ، فدخل الشريف من باب المقام وخرج من بانقوسة الى الميدان[3]،فوجد عساكر حلب وبشير باشا ناصبين

---

(١) لم نجدها في المعاجم العثمانية ولا الفارسية •

(٢) بلوك باشي : رئيس عشرة جنود •

(٣) الميدان : ساحة لسبق الخيل (فارسية) فمعنى هذا أن الحي كان ميدانا ويدعى الميدان الأخضر قديما ، وموقعه في وادي قويق مملوءاً بالبساتين • وكان من أجمل ملاعب المدينة ومسرحا لاحتفالاتها • وكان معروفاً منذ أيام الزنكيين • وفي أيام الحرب العالمية بنى جمال باشا في شمالي الميدان داراً للمعلمين • وما زال الميدان من أشهر الأحياء •

خيامهم هنالك في التوجه الى حسن باشا أيضا ، فنزل مع الدمشقيين في قرية بابُلَّة[1] ، وإذا بالمساء ورد تقرير لبشير باشا في كفالة حلب من جانب السردار حسن باشا ، متأخر التاريخ ٠

ففي اليوم الثاني وقعت محاربة عظيمة بين الأميرين والعسكرين ٠ واتخذ كل منهم متاريس ، وتصافقوا للحرب ، فأمر بشير باشا بضرب الطوبات من قلعة حلب على شريف محمد باشا والدمشقيين ، فتقهقر الشريف والدمشقيون ، وطووا بساط المحاربة الى المساء ، فارتحلوا ليلا سريعا ٠ ثم لما وقعت هذه الفتنة لزم أن عرض بشير باشا الى حسن باشا، وذكر القصة ، وطلب الاستعفاء من هذه السفرة ٠

وبذل الحلبيون المال لحسن باشا ، فورد الأمر منه بالعفو ، فجلسوا في حلب ٠

ثم لما انقضت تلك الغزوة كما سيأتيك خبرها في ترجمة عبد الحليم اليازجي ، رجع الدمشقيون الى دمشق، وجمعوا أموالا عظيمة ،وكتبوا[2] سكمانية كثيرة ، واستنصروا بأمراء الجبال نحو الأمير ابن معن والأمير ابن سيفا وغيرهم من الأمراء ، فأعانوهم بالعساكر العظيمة ٠

وبشير باشا عزل وفي حلب متسلم من جانب الشريف أيضا، والشريف مع السردار،فوصل الدمشقيون ومعهم ما يقارب العشرة آلاف،والحلبيون نحو ألف وخمسمائة،فخرج الحلبيون لمحاربتهم،وهم في قرية الراموسة[3]

---

(١) بابلة وبابلى : من قرى حلب الواقعة في شماليها ٠ وصواب إملائها بالتاء المربوطة أو بالألف المدودة٠ وقد ورد ذكرها في شعر البحتري ، والكلمة سريانية٠والعامة اليوم يدعونه « باب الله » ، وغدت المنطقة حيا في طرف حلب (موسوعة حلب : ١٩/٢)

(٢) أي جعلوا الرماة كتائب ٠

(٣) الراموسة : تقع جنوبي غربي حلب ٠ كانت منطقة بساتين ٠ واليوم امتد إليها العمران (أحياء حلب وأسواقها : ٢٠٣) ٠

فالتقت الفئتان وبرز الفتيان ، وقام سوق الحرب ، وتلاحق الطعن والضرب ، وأظهر الحلبيون ــ منهم شرذمة من تركمان البكدله ، كانوا انتظموا في أسلاك قول حلب ــ ما يبهر الأعين ، وتكل عنه الألسن ، واستمروا من الصباح الى ما بين الظهر والعصر ، ثم رجعوا وأغلبهم مثخن بالجراحات ، وناموا تلك الليلة فدخل عساكر دمشق ومن معهم الى المحلات الخارجة عن السور ليلا ٠

فلما طلع النهار ، أغلق الحلبيون أبواب المدينة سوى باب قنسرين ٠ فاتخذ الدمشقيون متاريس عند باب النصر وعند باب بانقوسا ، فوضع الحلبيون الطوبات على الأبواب، وأخذوا يضربون بالطوبات من الأبواب ومن القلعة ، والطوبات لا تضر شيئا إلا أقل القليل ، وفي كل ثلاثة أيام يخرج الحلبيون الى جانب باب قنسرين ويحاربون الدمشقيين ٠

وخرج غالب أكابر حلب الى القلعة خوفا من هجوم الدمشقيين على أسوار حلب ٠

وكان معظم ذلك في شهر رمضان ، الى أن قدم قاضي حلب يحيى أفندي بن بستان ، فأنزله الدمشقيون عندهم خارج البلدة ، ونسبوا الى القول الحلبي العصيان ، والخروج عن طاعة السلطان ، فأحضر يحيى أفندي الشيخ الوالد وأبا[1] الجود أفندي وأبا اليمن أفندي وغيرهم من الأعيان ٠ وكتبوا محضرا الى حسين باشا كافل كلس السابقة ترجمته ، وكان عنده من العساكر ما لا يحصى ، وطلبوا حضوره ، وإصلاح ذات البين ، فحضر بعد ثلاثة أيام بعساكر متعددة ٠ ثم دخل الى الجامع[2] الكبير ، وجمع الوالد والأعيان وقال : « هذه الفتنة لا تنطفىء إلا بقتل خليل كيخية ، أعظم أكابر القول الحلبي ، ومحمد جاويش بن النحاس

---

(١) في الأصل : أبو ٠

(٢) في الأصل : جامع ٠

من الشربجية وجمال الدين بن النحاس من الشوربجية الذي قتل محمد باشا الدمشقي » ٠

فأبى عساكر حلب أن يعطوا واحداً منهم ، وطال المطال حتى رضي الدمشقيون بوضع الثلاثة في القلعة ساعة من النهار إهانة لهم ، وإطفاء لنار الدمشقيين ٠ وكانوا يضمرون الغدر في العسكر الحلبي ، فرضوا بذلك وحلفوا على المصحف الشريف على أن الدمشقيين / من أهل حلب، ممن له دار في حلب يقعد في وطنه عزيزاً جليلا ، وإن بقية عساكر دمشق ترجع الى وطنهم ٠ ٨٨

وأمروهم أن يفتحوا باب الفرج لقضاء حوائج الدمشقيين، ففتحوا٠ ووقف بباب الفرج نحو ثلاثين رجلا من القوَل بالعُدد حراسة للباب ٠ فكان الدمشقيون يدخلون لقضاء مصالحهم بغير عُدد ، بل بالأدب الى ثالث يوم وقت ارتفاع الشمس ، فهجم الدمشقيون وقتلوا من كان بالباب وأخذوا في نهب دار محمد جاويش بن النحاس ، فقبض الحلبيون على تركمان حسن ، وكان من أكابر شوربجية الدمشقيين ٠

وخرج الحلبيون الى القلعة ، فبعث حسين باشا يستخلص ويقول : « كان عند الدمشقيين حرارة ، فانطفأت بنهب دار ابن النحاس ، وعفا الله عما مضى » ٠ فانخدع الحلبيون ، وبعثوا بتركمان حسن ، فاستطال الدمشقيون على نهب دور[1] الحلبيين ، وولى حسين باشا الى كلّس وقال : « سلط الله الكلاب على البقر » ٠ فأخذ الدمشقيون في محاصرة القلعة ، وأخذوا يخربون بعض دور الحلبيين ، فوضعوا المتاريس في

---

(١) في الأصل : آدر ٠

سوق السراجين[1] ٠ وكان الحلبيون يهجمون على الدمشقيين ويقتلون منهم ، فاقتضى رأي الدمشقيين أن دخلوا ليلا ، ونقبوا من تحت القسطل المقارب لباب القلعة ، ووضعوا النفط والقطران من تحت جسر باب القلعة ، وأوقدوه بالنار حتى احترق الجسر وسقط ٠ وعجز الحلبيون عن الوصول الى الدمشقيين ، واستمروا في الحصار من العشر الأخير في شهر رمضان الى أول ذي القعدة ٠ فدخل المصلحون بينهم وكان في غضون ذلك قدم حسن باشا بن علي باشا بن الوند كافلا للممالك الحلبية ٠ فبذل الدمشقيون لحسن باشا نحو خمسين ألف غرش حتى ساعدهم على الحلبيين ، حتى كان يحيى أفندي بستان زاده مساعداً لهم ، فاتفقوا على أن يرفعوا القتال ويعرضوا لجهة السلطنة ، فان أعطى السلطان الاستخدام للدمشقيين يستمر الحلبيون قولا بغير استخدام ، وإن أعطى للحلبيين يستمر الدمشقيون من أهل البلد في حلب ولا يعارضهم الحلبيون ولا يضرونهم ، وحلفوا على المصاحف الشريفة ٠ وكان المدير لهم والساعي على تورية الأيمانات أصلان جاويش السابقة ترجمته ؛ أحد أعيان المتفرقة من أهل حلب ، وكان المساعد لهم أيضا عساكر أروان وأميرهم علي خان آغا المُسمَّون بالسرحتلية ، واتفق الحلبيون أنهم يستمرون في القلعة لئلا يستطيل عليهم الدمشقيون ويغدروا[2] كالأول وإن كلا من الفريقين يحمل السلاح فنزل الحلبيون من القلعة ، وآخذوا يشترون الذخيرة والميرة ، فنظر الحلبيون دورهم قد انهدمت ، وأموالهم قد نهبت ، وإمارات الغدر على الدمشقيين لائحة ، قالوا فيما بينهم : « تغدَّوا بهم قبل أن يتعشوا بكم » ٠

---

(١) كانت تصنع فيه سروج الخيل والتطاقات الجلدية وأغلفة المسدسات ٠ ويشكل هذا السوق الامتداد الشمالي لسوق القطن (أحياء حلب وأسواقها : ٢٣٢) ٠

(٢) في الأصل : ويغدرون ٠

فنصبوا ليلا المتاريس ، وهجموا صباحا على الدمشقيين، وأثخنوهم بالجراحة والقتل ، فالتجأ الدمشقيون الى كافل الممالك الحلبية ، والى قاضي حلب والى أهالي حلب والى السرحتلية والى آكابر حلب ، فجاؤوا عصر يوم الجمعة والباشا معهم ، وكتائبهم تتوقد نارا الى الجامع[1] الكبير . وكان الشيخ الوالد على الكرسي يعظ الناس ، فأنزلوا الوالد من كرسيه ، والباشا على باب زاوية الوالد عليه عباءة وعمامة صغيرة ، متدرعا مستعدا ، فقبل يد الشيخ الوالد واستكتبه على المحضر المتضمن: « أن قول حلب خرجوا عن الطاعة ، وأنهم الظالمون المعتدون على عساكر دمشق » . فكتب الوالد ويداه ترجفان من خوفه من هذه الحالة الهائلة . فان الجامع الكبير كان قد امتلأ من العساكر الذين لا يحصون ، ونفَّر الحاكمان رعايا البلد وأقاموا في سوق العطر سوق الحرب ومن جهات متعددة ، حتى بعد اللتيا والتي انكسر الحلبيون ، وعادوا الى حصار قلعتهم ، ورجعوا . يا أخا الوجد لا رجعت مثل هذا الرجوع ، وشددوا على الحلبيين الحصار ، ونصبوا أعلام الحرب على القلعة ، ورموا باب القلعة / بالمكاحل واستمروا ، فلما وجدوا الأحوال هكذا ، وتحقق **٨٩** الحلبيون أنه لا ملجأ لهم ولا منجى[2] ولا معين طلبوا الصلح على أن يتركوا الاستخدام بالكلية ويستمروا على ما كانوا عليه من كونهم من عساكر القلعة ، ويرفعوا الآغا التحتاني ، ويتركوا لبس المكانس . وحلف الدمشقيون على المصاحف أنه من بعدُ لا يتكلمون ، ولا يؤذون القول .

وكان الساعي في هذا الفساد أيضا أصلان جاويش ، وخرج حسن

---

(١) في الأصل : جامع .

(٢) في الأصل : منجا .

باشا بنفسه الى القلعة ومعه القاضي ، فانزل من بقي من الحلبيين فبمجرد ما نزلوا أخذ الدمشقيون في قطع رؤوسهم ، بحضور الباشا والقاضي ، وهما ساكتان لا يتكلمان حتى جمعوا من رؤوس الحلبيين مقدار القبة العظيمة في يوم عرفة ، ووضعوا الرؤوس في السراجين[1] ، فخرج الجالق ـ وكان من أكابر السكمانية المساعد للقول الجديد ـ في حمية ، فتبعه الدمشقيون يوما كاملا ، ولم يقدروا عليه ٠

فذهب تلك الليلة الجالق تعبان الى قرية ، ونزل عند بعض أصحابه فخنقه صاحبه ، وبعث باصبعه وختمه الى خداوردي الذي صار الحل والعقد للدمشقيين ٠

ثم انقضت القضية ، فقُتل محمد الجاويش بن النحاس وخليل كيخية ٠ وقُتل جمال بن النحاس بمكحلة ، وقُتل خلق كثير ، حتى إن ابن المومجي[2] جاء الى قهوة فضربوه بالخناجر حتى قتلوه، وصفا الوقت لخداوردي ٠ وصار السردار على طائفته ، وأخذوا استخدام بيت القاضي وبيت الشوباصي وبيت القنصل وبيت الدفتردار ، وصار يُنادي حسبما رسم بذلك الباشا والقاضي والشوربجي خداوردي ، وصار كلامه أنفذ من الحاكمين واستولوا أعظم من الاستيلاء الأول على حلب ونواحيها ، وتزوجوا ببنات الأكابر ٠ فتزوج خداوردي ببنت الشيخ أبي الجود وتزوج ابنه ببنت السيد حسين نقيب الأشراف ، وعلى هذا القياس ٠

وكنا أخبرناك بذهاب دولتهم في ترجمة حسين باشا بن جانبولاد وآل أمر خداوردي أخيراً[3] ، أن رجلا سكمانيا كان من القُول ، وجده

---

(١) يقصد : سوق السراجين ٠

(٢) المومجي : بائع الشمع أو صانعه ٠

(٣) في الأصل : آخرا ٠

في خان أبرك[1] فقبض على لحيته الطويلة ، ووضع وجهه على التراب والطين ، وأراد ذبحه حتى شفع فيه جماعة .

وصار في أيام دولتهم الرخاء والأمن ، ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأننا وكأنهم أحلام .

مات سنة خمس عشرة وألف ، ودفن ببستان الشيخ أبي بكر قدس سره فانه كان يحب مريديه ــ والله أعلم .



(1) خان أبرك : ويسمى أيضاً خان القصابية ، ويقع في سوق القصابية ، وهو جزء من مجموعة أسواق المدينة المسقوفة . بناه نائب قلعة حلب أمير أبرك في آخر أيام قانصوه الغوري (حلب القديمة : ١٣٤) .

٧٤ ـ خليل بن عبد الله

الوزير الأعظم . نهض للعليا مشمراً ذيله، جالبا في ميدانها رَجلَه وخيله، متردداً بين صفائها[1] وحجونها، لا يصد عن الاقتحام شجون شؤونها . فركب من أجلها تارة الجواري المنشآت، وآونة يقتعد الجياد الصافنات . يخوض لجج بحار الحروب، ولا يثنيه عنها مضائق شعاب شعوب[2]، ويقطع القفار سهلا ونجداً ويقتحم كؤود[3] العقبات كدحا وجداً، مع تطبعه على المكارم، واتصافه بالحلم فوق معاوية وابن عاصم[4]، وتزمُّله بشجاعة تقاصر عنها ليث عفرين[5]، واستصعبها عنترة في عبلة لو كان من الخاطبين . فأقدرته الأقدار على انتهاضه الى القطب المدار، فقام أمداً مديداً لدعائم الوزارة مشيداً، حتى استنار ضوء المشيب، وتقلص ذلك الثوب القشيب، وآذنت شمس الحياة بالمغيب، وعادت الوزارة وشب شبابها، وانقطعت لشيخوخته منه أنسابها، فأنى يفترعها وقد عادت بكارتها، وأنى يدنو بنار مشيبه

---

(١) في الأصل الكلمة مكتوبة « صفاها »، فقرأناها كالمتن فوق . الحجون : الكسلان .

(٢) الشعوب : المنيّة .

(٣) كؤود : شاقة المصعد صعبة المرتقى .

(٤) هو قيس بن عاصم، أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة . اشتهر وساد قومه في الجاهلية، ثم وفد على النبي وأسلم . توفي نحو ٢٠ هـ .

(٥) من أمثالهم : « أشجع من ليث عفرين » . واختلفوا في التأويل . قالوا : هو الأسد، وقالوا : دويبة كالحرباء تنفر من الكواكب وتضرب بذنبها، أو هو ضرب من العناكب (ثمار القلوب : ٣٠٦) .

وقد أينعت نضارتها ، مرعى ولا أكولة[1] من أمثالهم المنقولة ، فطلقت لغته وبانت منه ، لأنه كان كالهدية في متعته . كان آغا للينكجرية .

صحب الوزير الأعظم مراد الباشا الفاتح ، وقدم الى حلب لمحاربة علي باشا الجان بولادي فجد كل الجد حتى استخلص قلعة حلب من يد الجلالية أتباع علي باشا ، كما سبق . واجتمع به الشيخ الوالد حينئذ ، وكنت في خدمته فاذا هو محب للعلماء والصلحاء .

له اسم كبير ، ثم صار قبطان البحر فهجم على بلاد كثيرة للنصارى، وأظهر لهم تمام النكاية . وساعدنا رحمه الله بعد موت الوالد مساعدة كلية . ثم تولى الوزارة العظمى زمن المرحوم السلطان احمد . وتوجه لمحاربة شاه عباس سلطان العجم ، فأجزل الاحسان / والتفضلات . وكان لا يحب جمع المال أصلا ، بل يصرفه في وجوه الصدقات . فلما وصل الى بلاد العجم ، وشرع في الدخول اليها فعل معه الشاه مكيدة وبعث رسول الصلح فبعث خليل باشا رسول إجابة الكلام ، وأرجع الشاه الرسول سريعا ، وأمر رعاياه على هيئة الراحلين أن يمروا على الرسول ، فحضر الرسول وقال : « رأيت رعايا كثيرة ما معهم عساكر كثيرة ، ابعث شرذمة من عسكرك يقتلون الرعايا ويقتلون من معهم » . 90

فاتفق أبازه باشا مولى خليل باشا وكافل الممالك الشامية وسلطان التتر وعساكرهم أن يتوجهوا لذلك ، فقال بعض العقلاء من الوزراء : « هذه مكيدة من الشاه لا تعجلوا » . فقال أبازه : « الجماعة لا يريدون أن يحصل لك اسم كبير » . فغلب الرأي ، وتوجه المذكورون بالجد .

قطعوا الستة مراحل في مرحلتين حتى صادفوا الرعايا ومواشيهم ، وإذا بالشاه ومعه خمسون ألفا فقابلهم ، فلزم أنهم ثبتوا الى أن اشتعلت

---

(1) الأكولة : الشاة تعزل للأكل وتسمن . يضرب للمتمول لا آكل لماله (مجمع الأمثال : ٢/٣٠) .

نيران الحرب ، وقام موسم الطعن والضرب ، فانكسر آبازه والتتر وكافل الشام لقلة عسكرهم • وجد سيرهم فرجعوا وقد قتل منهم ما يقارب نصف عسكرهم • فغلب الخوف على خليل باشا وحسُن عنده أن يرجع الى بلاد سلطانه ، وحسَّن باش دفتردار باقي زاده ذلك له خوفا على زيادة تكليف باقي باشا • ثم إن أصحاب الرأي من الشيوخ قالوا للوزير : « إن رجعت تنتشر الأخبار أن العثمانية انكسروا يصير[1] ذلك عاراً ، فاعتمد على الله وأدخل الى بلادهم فانه قد جرت عادة الله مع العثمانية ، لا يكونون على هيئة ترتيبهم في الحروب ، يجعلون السَّباهية وراء ظهر الوزير أو السلطان والينكجرية أمامه ، ومقدمة ذلك الأمراء وعساكر بقية البلاد إلا وينتصرون » •

فدخل خليل باشا بعزيمة كالجبال وعساكر كالرمال ، وجاس خلال هاتيك الديار بعسكره الجرار • فصادف حلولهم يوم الأضحى محل القتلى من العثمانية الذين قتلوا مع آبازه فأراد الوزير أن ينزل هناك لأجل العيد ، فأشار عليه الأكابر من أرباب الأمراء بأن لا ينزل لئلا تضعف قلوب العساكر ، وكان ذلك نعم الرأي ، ولهذا أشار الله عز وجل الى حسن الاستشارة بقوله : « إني جاعل في الأرض خليفة »[2] •

فاستمر العساكر في جدّ المسير من غير أن يصلّوا صلاة العيد ، ولا أكلوا طعام العيد الى المساء ، حتى تجاوزوا عن القتلى ، فاستمروا سائرين في بلاد العدو حتى بقي لهم عن أردويل[3] مرحلة كبيرة ، فخاف الشاه على مراقد أجداده ، وخراب عُمدة بلاده ، فبعث الرسل المتوالية في طلب الصلح حتى انعقدت صفة الصلح،وأرسل الشاه الهدايا والحرير الى حضرة سلطان الاسلام •

---

(1) في الأصل : ويصير •

(2) الآية : ٣٠ / البقرة •

(3) أردويل : من أشهر مدن آذربايجان ، بينها وبين تبريز سبعة أيام (معجم البلدان) •

ثم قدم الوزير بالتحف والهدايا . وبعد مدة عُزل خليل باشا عن الوزارة العظمى ثم ولاه السلطان الوزارة العظمى وبعثه لقتال شاه عباس سلطان العجم ، وكان خليل حينئذ كبير العمر ، كثير النّسيان ، لا يدرك من الأمور إلا القليل ، وكان مدبر أموره عبد الله النّيشنْجي[1] وكان عبد الله أفندي صاحب كمال وفضيلة وحسن تدبير ، حتى قيل : إنه شرح المثنوي٭ .

وكان خليل باشا محبا للعلماء والصلحاء حتى بعث إلي مكتوبا يطلب مني الدعاء . وكانت السباهية في غاية العلوّ والينكجرية ، فاشتكت الرعايا عليهم فلم يُفد شيئا ، لكن أُقدم في آخر شهر رمضان ، وأدخل في رمضان لئلا يجلب أكابر آغاوات السباهية ، وخنق مصطفى آغا القونوي وألقى جثته ، ولم ينتطح فيها عنزان[2] .

وأضافنا في الليلة الثانية فقال له بعض الحاضرين : «غزو مبارك» . ثم توجه الى حرب شاه عباس ، فحصل له في الطريق جملة معترضة للتشويش لاللتسديد، وذلك أنه بعث في مقدمته دشلي حسين باشا الوزير وابنه معه وأمره أن يأخذ الأبازة ويخرجه من ارزروم ليكونوا مقدمة الجيوش . وكان أبازة تفطّن أنهم يريدون الاحتيال عليه للقتل، إكراما لخاطر / الينكجرية ، فلما وصل حسين باشا الى بلاد أبازة هجم أبازة **٩١** على حسين باشا وعلى عساكره ، فقتل حسين باشا وقَتل ابنه ، وقتل من قدر عليه ، ورجع الباقون الى خليل باشا بخفي حنين ، فلزم أن توجه خليل باشا لمحاربة مولاه ورقيقه المعتق أبازة ، وحصره في آرزروم ، واستمر خليل باشا خارج الأسوار يرمي بالمكاحل ، وأبازة من داخلها ، كذلك تهجم عساكر أبازة على عساكر خليل باشا :

---

(١) النيشنجي : الهدّاف ، من نيشان بمعنى الهدف و « جي » للنسبة .

(٢) مثل يقال عند اشتداد الزمان وقلة النشاط (مجمع الأمثال : ٢/٢٢٨) .

أعلّمـه الرماية كل يوم   فلما اشتدّ ساعده رماني
وكم علّمته نظم القوافي   فلمّا قـال قافيـة[1] هجاني

فطالت المدة حتى سقطت أقدام جماعات مـن العسكر بسبب البرد الشديد • وقام خليل باشا عن المحاضرة ، ولم ينتج شيئا •

فرجع ونيران الغضب تشتعل بضمائره، ثم عزل عن الوزارة واستمر في بيته ، وكان مريدا لمحمود أفندي الأُسكدرلي ، وكان محمود أفنـدي عالما عاملا عارفا تعتقده الملوك والوزراء والأمراء ، حتى إن السلطان مراد قبّل يديه • ورأينا مع خليل باشا تأليفا في أبحاث الصلاة لمحمود أفندي مشتملا على معارف ولطائف في أبحاث الصلاة •

توفي سنة تسع وثلاثين وألف •



(١) نسب البيت الى معن بن أوس في ابن أخت له • وقال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدي « اشتد » في اللسان « استد » بالسين •

٧٥ ـ خنذان[١] بن عبد الله

مولى أحمد أفندي بيك زاده • أناف بالجِد لا بالجَد وأربى على ذوي المجد • فكان عصاميا لا عظاميا[٢] واستبعد الأحرار بالصك والرق بعدما كان في ربقة[٣] الرق • فتمت نفحات شيمه وفرحات كلمه وحكمه على روضات كمالاته وحدائق سماته ، ولين عقد نسبه • ما[٤] عاقه أدبه حتى علا آطام[٥] الرفعة ، ورقي هضبات المنعة ، وسما يناع اليسار والسَّعة • فأثمر غرس تمنّيه ، وأقمر ليل أمانيه •

كان خليفة الحكم العزيز بحلب عن ابن مولاه مصطفى أفندي حسن بيك زاده ، الآتية ترجمته • وهو صاحب الحل والعقد • ومصطفى أفندي إنما هو القاضي صورة • حتى كان ابن مصطفى أفندي لا كلام له مع وجود خنذان • وسلك في أحكامه طريقة العدل والتجافي [في][٦] الرشوة •

ولما عزل مصطفى أفندي تولى القدس ، فترك ابن أستاذه ، فلامه الناس على ذلك • ثم صار نائبا لقاضي بغداد • فلما أصيبت بغداد بأخذ الشاه لها حصل لخنذان ضيم بسبب ذلك وتركه مصطفى أفندي •

فلما تولى مصطفى أفندي دمشق لم يستخدمه أصلا •

---

(١) خنذان : اسم فارسي ، معناه الضاحك •

(٢) أي بنى نفسه بنفسه لا اعتزازا بجدوده •

(٣) الربقة : العروة في الحبل •

(٤) في الأصل : فما •

(٥) آطام الرفعة : أعاليها •

(٦) اضافة المحقق •

٧٦ ـ خضر بن حسين الماردينيُّ

سبط الهندي ، شارح « الكافية »[١] حسبما كان يقول النَّيشنجي • حسن المحاضرة ، لطيف المسامرة ، عذب البيان ، رطب اللسان • تدرج في درجات الكمال ، وترقى معارج المجد والاجلال • كمن في أحناء العلياء ومعاطف الارتقاء ، وبطون فجاج الدولة • حتى امتد بضبعيه[٢] على الجلالة والصولة • فصار للحضرة النصوحية[٣] مثوى أسرارها وكرش مطالبها وأوطارها وسويداء أجفانها ونور إنسانها وروح جثمانها، وحل أرقى محل • فصار رابطة العقد والحل • فحين زادت الرفعة على آمادها انعكست عليه الدوائر بأضدادها • فافترسه ناب النُّوب ، ولفظه الدهر في هوة سوء المنقلب • وقد كان أهدى من الكدر الى الغدر ، فلم يُنجه من مُبرم القدر •

قدم حلب سنة ثلاث عشرة[٤] وألف • فاذا هو يعرف التركية والعربية والفارسية • وله إنشاء فيها حسن ، ونظم حسن ، واطلاع على فضائل العلوم • فسأل من الشيخ الوالد أن يُقرىء أحد تلامذته شرح الرضي[٥] على الكافيـة ، ليسمع • فأمر الوالد الشيخ عبـد الحي بن القوق سبط

---

(١) الهندي هو شهاب الدين أحمد بن عمر الهندي المتوفى سنة ٨٤٩ • وعلى شرح الهندي شروح عديدة (كشف الظنون : ٢/١٣٧١) •

(٢) الضبع : العضد •

(٣) يعني نصوح باشا ، كما يأتي بعد •

(٤) في الأصل : عشر •

(٥) لعلها أفضل شروح الكافية • الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي • فرغ من تأليفه سنة ٦٨٣ (كشف الظنون) •

البيلوني • فكان يسمع ، ويتقن تلك الدروس ، ويحتفل بها • ويستمر عند الوالد من طلوع الشمس الى قبيل الظهر • ويسمع لأخي في « شرح المفتاح » للشريف[1] ، وللفقير في « شرح الطوالع » للأصفهاني[2] •

وتقرب لنصوح باشا حين تولى كفالة حلب ، حتى أحبه وولاه قائم مقام الدفتردارية • ولما تولى نصوح باشا كفالة ديار بكر، ثم مات الوزير الأعظم مراد باشا بها ، وجاءته الوزارة العظمى بعثه نصوح رسولا الى بلاد العجم للصلح بين سلطان أحمد وبين شاه عباس • وكان من جملة ما قال خضر أفندي للشاه : أهل السنة يعترضون عليكم بكونكم تحرّمون طعام اليهود والنصارى مع كونه مخالفا للنص ، قال تعالى : «طعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم »[3] • فأمر الشاه المنلا بهاء الدين بالجواب • فكتب / رسالة صدّرها باسم الشاه عباس ، وقال عنه في أثناء المدح : شاه عباس الصفوي الموسوي الحسيني • أراد المنسوب الى الشيخ صفي الدين والى موسى الكاظم والى الحسين رضي الله عنهم • ٩٢

أما نسبة الشاه الى الشيخ صفي الدين فلا شك في ذلك • وأما نسبته الى الحسين فلم نعهد • وذكر أن استحقاق الامام المرتضى للخلافة ، وتقدّمه على جميع الآل والأصحاب فمما لا يشك فيه أولو الألباب • وأما تحريم طعام أهل الكتاب فأخذ يجيب بأجوبة كلها واهية • وقد رأيتها ليلة ، وأردت الرد عليه ، لكن أخذها صاحبها مصاحبا وسافر • ثم جاء برسول الصلح من جانب الشاه وعقد الصلح •

ولما توجه نصوح باشا الى قسطنطينية ، وصار صاحب الحلّ والعقد

---

(١) شرح الشريف « أبيات الايضاح والمفتاح » •

(٢) طوالع الأنوار في الكلام للبيضاوي (ت ٦٨٥) • صنف عليه أبو الثناء شمس الدين ابن محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني شرحا نافعا (ت ٧٤٩) (كشف الظنون) •

(٣) تكرر النقاش حول هذه النقطة •

عنده خضر أفندي قيل عنه إنه قال...[1] أنا بتدبيري عقدت الصلح • ولو أسمع كلام نصوح باشا وتدبيره ما صار الصلح • فان نصوح باشا لا معرفة لـه بالتدبير • فأسرّها في نفسه نصوح ، وولاه دفترداريـة « وان »[2] ، وأخرجه في الحال من قسطنطينية، وبعث في الطريق وخنقه•

وصار شهيداً ، رحمه الله تعالى ، لقد كان عالما كاملا عارفا ، ذا خطوط حسنة ، وإنشاء حسن • وقـد أسمعني بعض تائيته مـن البحر الطويل ، على نمط تائية ابن الفارض • وذكر لي أنه نظم « الشافية » لابن الحاجب في علـم التصريف ، وإن هذه الأبيات من جملتها ، وهـو نظم حسن •

قتل تقريبا سنة اثنتين وعشرين وألف ، رحمه الله تعالى(*) •



---

(١) كلمة غامضة غير واضحة •

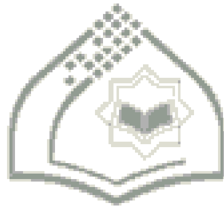
(٢) وان قلعة بين خلاط ونواحي تفليس من عمل قاليقلا (معجم البلدان) عليها الآن بحيرة وان في أقصى شرق تركية •

★ هذا ما يسر الله علينا جمعه من هذا السِّفر « معادن الذهب » • والى هنا ينتهي الكتاب ، وهو القسم المتبقي والمحفوظ في المتحف البريطاني •



الفهـارس العـامـة

أعده وفهرسه محمود الجيزي أقاله الله عثراته



المصادر والمراجع

القرآن الكريم
الآثار الاسلامية والتاريخية : أسعد طلس ـ دمشق ـ ١٩٨٣
آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ـ مصر ـ دار الهلال
أحياء حلب وأسواقها : خير الدين الأسدي ـ دمشق ـ ١٩٨٤
أسماء الكتب : رياضي زاده ـ دمشق ـ ١٩٨٣
الأعلام : خير الدين الزركلي ـ بيروت ـ ١٩٦٩
إعلام النبلاء : راغب الطباخ ـ حلب ـ ١٩٢٦
الأغاني : أبو الفرج ـ مصر دار الكتب
إيضاح المكنون : إسماعيل البغدادي ـ بغداد ـ المثنى
بغية الوعاة : السيوطي ـ مصر ـ ١٣٢٦
تاريخ الدول الاسلامية : أحمد سليمان ـ مصر
تراجم الأعيان : الحسن البوريني ـ دمشق ـ ١٩٥٩
ثمار القلوب : الثعالبي ـ مصر ـ ١٩٠٦
الجواهر المضية : عبد القادر القرشي ـ حيدر آباد ـ ١٣٣٢
حسن المحاضرة : السيوطي ـ مصر ـ ١٢٩٩
حلب القديمة : فايز الحمصي ـ دمشق ـ ١٩٨٣
الخطط المقريزية : المقريزي ـ بيروت ـ أوفست

خلاصة الأثـر : المحبي ـ بيروت ـ أوفست
در الحبب : ابن الحنبلي ـ مصر
الدرر الكامنة : ابن حجر ـ حيدر آباد ـ ١٩٤٥
ديوان ابن الفارض : حلب ـ ١٨٨٤
ديوان الأعشى : مصر ـ ١٩٥٠
الذريعـة : آغا بزرك ـ النجف ـ ١٣٥٥
الروضتـين : أبو شامة ـ مصر ـ ١٢٨٧
ريحانة الألبـا : الخفاجي ـ مصر ١٩٦٧
سلافة العصر : ابن معصوم ـ مصر ـ ١٣٢٤
سلك الدرر : المـرادي ـ مصر ـ ١٣٠١
شذرات الذهب : العماد الحنبلي ـ مصر ـ ١٣٥١
الشقائق النعمانية : طاشكبري زاده ـ بيروت ـ ١٩٧٥
فرهنك معين (قاموس فارسي) : طهران
قاموس الأطبـا : مدين القوصوني ـ دمشق ـ ١٣٩٩
قاموس تركي : سامي ـ استنبول ـ ١٣١٧ .
القاموس المحيط : الفيروز آبادي
الكامـل : ابن الأثـير ـ بيروت ـ ١٩٦٥
كشف الظنون : حاجي خليفة ـ بيروت ـ المثنى
الكواكب السائرة : نجم الدين الغزي ـ بيروت ـ ١٩٧٩
اللباب في تهذيب الأنساب : ابن الأثير ـ بيروت ـ ١٩٨٠

لسان العرب : ابن منظور

لسان الميزان : ابن حجر ـ حيدر آباد ـ ١٣٣١

لطف السمر : نجم الدين الغزي ـ دمشق ـ ١٩٨١

مجلة العاديات : المحقق ـ حلب ـ ١٩٧٧

مجمع الأمثال : الميداني ـ بغداد ـ المثنى

المستقصى : الزمخشري ـ حيدر آباد ـ ١٩٦٢

معجم البلدان : ياقوت ـ بيروت ـ ١٩٥٥

المعجم الذهبي : محمد التونجي ـ بيروت ـ ١٩٨٢

معجم المطبوعات ـ يوسف سركيس ـ مصر ـ ١٣٤٦

مفتاح السعادة : طاشكبري زاده ـ حيدر آباد ـ ١٣٢٩

موسوعة حلب : خير الدين الأسدي ـ حلب ـ ١٩٨٤

نهر الذهب : كامل الغزي ـ حلب ـ المارونية

هدية العارفين : إسماعيل البغدادي ـ بغداد ـ المثنى

وفيات الأعيان : ابن خلكان ـ بغداد ـ المثنى

فهرسة الأعلام

أوقعنا المؤلف في بعض الشكوك من جراء استخدامه للأسماء مفصلة أحياناً ومفردة أحياناً ، حتى تعذر علينا ارجاع كل اسم إلى صاحبه الأصلي . كما أنه كان يذكر الاسم بشكلين من غير أن يوضح ذلك ، كما أنه كان يذكر أسماء من غير توضيح، فما أكثر أسماء « محمد أفندي »و« حسين باشا » ، ومحمد ، ومسعود .. ومع ذلك حاولنا التوفيق ، واذا شككنا ذكرناه كما ورد .

الهمزة

ابن

أبو

الباء

التاء ـ الجيم

الحاء ـ الخاء

الـدال

الراء ـ الزاي

السين ـ الشين

صاد ـ ظاء

العين ـ الغين

الفاء ـ اللام

الميم

النـون

الهاء ـ الياء

فهرسة الأماكن والمواضع

الهمزة ـ الباء

التاء ـ الخاء

الدال ـ الشين

الشين ــ القاف

الكاف ــ الياء



فهرسة الكتب الواردة في المتن

فهرسة الالفاظ الاعجمية المشروحة في الحواشي

فهرسة موضوعات الكتاب





تصويبات

الصفحة	السطر	صوابه	الصفحة	السطر	صوابه
٥٥	٤	ظلالها	١٤٩	١٢	وجماعته
٦٠	١٢	تواجدا	١٥٨	٨	يستجلب
٧٤	٧	الفهوم	١٦٦	١٠	ووعد
٨٢	١٩	ضروريات	١٧٦	١	والوالد
٩٩	١٩	للشيخ	١٩٠	٥	وكان
١١٢	١٣	العالمين	٢٣٣	١٢	فيها
١٢١	٥	العسلي	٣٠٥	١١	سنتين
١٢١	٩	(بدل الشطرات)			
١٣٧	١٧	بالاثمين			



تم وبالله الحمد عملنا في معادن الذهب في مدينتنا حلب ـ عمرها الله ـ بتاريخ ١٩٨٦/١١/٥ وهذا ما استطعنا الوصول اليه من هذا الكتاب الثمين ، آملين من الله أن يهدينا الى تتمته .

عنوان المحقق ـ حلب ـ سورية

صندوق البريد ٦٢٠٤